

من أعلام السلف

تأليف

أحمد فريد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الجزء الأول

دار الإيمان

للطباعة والنشر والتوزيع

إسكندرية © ٥٤٥٧٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م

رقم الإيداع

٩٧/٤٩١٦

الترقيم الدولي

I.S.B.N - 977-5191-34 -3

الناشر

دار الإيمان

للطباعة والنشر والتوزيع

١٧ ش. خليل الخياط - مصطفى كامل

إسكندرية ٥٤٥٧٦٩ ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نسأل الله حسن الخاتمة

الحمد لله الذى هدى من الضلالة ، وعلم من الجهالة ، وأنعم بعد القلة ، وأعز بعد الذلة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، البر الرحيم ، العزيز الكريم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين ، و قدوة للعاملين صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين ، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم من العلماء العاملين ، والأئمة المهديين ، وعلينا معهم ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ثم أما بعد

فإن الله عز وجل قد تكفل بحفظ الذكر فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر ٩١] والذكر هو الكتاب المنزل وسنة النبي المرسل ﷺ ، فقد سمي الله عز وجل السنة ذكراً كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ، فما نزل إليهم هو القرآن بلا شك ولا مرية ، والذكر فى الآية هو السنة فقد أطلق الله عز وجل على السنة اسم الذكر كما فى هذه الآية الكريمة ، وأطلق عليها اسم الحكمة كما فى قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ ، [الأحزاب ٣٤] وعلى كل حال فحفظ السنة من حفظ القرآن ، لأن السنة تبين مجمل القرآن ، وتخص عامه ، وتفيد مطلقه ، وهى التطبيق العملى للقرآن ، فلما سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت : « كان خلقه القرآن » ، وحاجة القرآن إلى السنة أكثر من حاجة السنة إلى القرآن ، فالله عز وجل يقول : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ وأين فى

القرآن مواقيت الصلوات ، وشروط صحة الصلاة ، واجباتها ، وسننها ، وإنما بينت ذلك كله سنة النبي ﷺ ، وأين في القرآن كذلك أنصبة الأموال ، ومقدار الواجب من ذلك ، وإنما بينت السنة كل ذلك وجوهر السنة كفر بالقرآن لأن الله عز وجل أوجب علينا اتباع رسول الله ﷺ ، والاهتداء بهديه ، والاقتداد بسنته فقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] . وقال تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] ومن أعظم أسباب حفظ السنة أن وفق الله عز وجل للسنة رجالاً وقفوا أعمارهم على تدوينها وحفظها ، وتعلمها وتعليمها ، والذب عنها ، وتخليصها مما خلطه الزنادقة بها .

أمر الخليفة هارون الرشيد رحمه الله بضرب عنق زنديق فادعى أنه وضع أربعة آلاف حديث ، وخلطها بسنة النبي ﷺ ، فقال له هارون الرشيد : « أين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري ، وعبد الله بن المبارك ينخلانها نخلاً ، فيخرجانها حرفاً حرفاً » .

و من مفاخر هذه الأمة أن دون تاريخها ، وترجم لرجالها ، وتاريخ الإسلام حافل زاخر بالأحداث العظيمة التي تفتخر بها الأمم والشعوب ، كما أنه غني كذلك بالرجال الأفاضل والعلماء الأعلام ، الذين يمثلون عظمة الإسلام ، ويصدقون دعوة النبي عليه الصلاة والسلام ، فالعلماء الأعلام والأئمة الكرام ثمرات طيبة مباركة لدعوة الإسلام الخالدة ، رجال تربوا بالإسلام وتربوا للإسلام ، رفع الله عز وجل بهم رايته ، وأعز شريعته .

فما أحوج طلاب العلم إلى معرفة أقدار العلماء الأعلام في أزمنة اندرست فيها أعلام السنن ، وكثرت فيها الإحسان والحن ، وضعفت فيها همم الطلاب ، وتشاغل الناس بزينه الدنيا عن دار الثواب والعقاب ، وجهلوا أسباب الرفعة والشرف في الدنيا والآخرة ، من العلم النافع ، والعمل الصالح .

فالعلماء هم ملوك الدنيا كما أنهم ملوك الآخرة .

دخل رجل البصرة فقال : من سيد هذه القرية ؟ فقالوا : « الحسن البصرى » فقال : « بم سادهم ؟ » ، قالوا : « احتاجوا إلى علمه ، واستغنى عن دنياهم » .

وقال سفيان بن عيينة : « أرفع الناس منزلة من كان بين الله وبين عباده ، وهم الأنبياء والعلماء » .

وقال سفيان الثوري : « إن هذا الحديث عَزُ ، فمن أراد به الدنيا وجدها ، ومن أراد به الآخرة وجدها » .

العلم يرفع العبد المملوك حتى يُجَلِّسَهُ مجالس الملوك ، روى مسلم في صحيحه من حديث الزهري عن أبي الطفيل أن نافع بن الحارث أتى عمر بن الخطاب بعسفان وكان قد استعمله على أهل مكة فقال له عمر : « من استخلفت على أهل الوادي ؟ » قال : « استخلفت عليهم ابن أبيزى » ، فقال : « من ابن أبيزى ؟ » فقال : « رجل من موالينا » ، فقال عمر : « استخلفت عليهم مولى ؟ » ، فقال : « إنه قارئ لكتاب الله ، عالم بالفرائض » فقال عمر : « أما إن نبيكم ﷺ قال : « إن الله يرفع بهذا العلم أقواماً ويضع به آخرين » ^(١) .

قال إبراهيم الحربي : « كان عطاء بن أبي رباح عبداً أسود لامرأة من مكة وكانت أنفه باقلاة ، قال : وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وإبناه فجلسوا إليه وهو يصلي ، فلما صلى انفتل إليهم ، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم ، ثم قال سليمان لابنيه : « قوماً » فقاما ، فقال : « يا بني لا تنيا في طلب العلم ، فإنني لا أنسى ذلنا بين يدي ذلك العبد الأسود » .

قال الحربي : « وكان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عنقه داخلاً في بدنه ، وكان منكباة خارجان كأنهما زجان ، فقالت أمه : « يا بني لا تكون

(١) رواه مسلم (٩٨/٧) صلاة المسافرين .

ففي مجلس قوم إلا كنت المضحوك منه المسخور به ، فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك » ، فولّى قضاء مكة عشرين سنة ، قال : « و كان الخصم إذا جلس إليه بين يديه يرعد حتى يقوم :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
عل الهدى لمن استهدى أدلاً
والجاهلون لأهل العلم أعداء
الناس موتى وأهل العلم أحياء
ففرز بعلم تمش حياً به أبداً

دخل عبد الله بن المبارك خراسان فخرج لاستقباله آلاف الطلاب فسألت أم ولد للخليفة هارون الرشيد عنه ، فقيل : « هذا عبد الله بن المبارك محدث خراسان » ، فقالت : « هذا الملك لا ملك هارون » .

وروى الحافظ الخطيب البغدادي بسنده في شرف أصحاب الحديث عن يحيى بن أكثم قال : « قال لى الرشيد : « ما أنبل المراتب ؟ » قلت : « ما أنت فيه يا أمير المؤمنين » قال : « فتعرف أجّل منى ؟ » قلت : « لا » قال : « لكنى أعرفه ، رجل فى حلقة يقول حدثنا فلان عن فلان قال : قال رسول الله ﷺ ، قال قلت : « يا أمير المؤمنين هذا خير منك و أنت ابن عم رسول الله ﷺ وولى عهد المسلمين ؟ » قال : « نعم و يلك هذا خير منى لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ﷺ لا يموت أبداً ، نحن نموت و نفنى ، و العلماء باقون ما بقى الدهر » (١)

و قال الإمام مسلم لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور : « ما رأيت والياً ولا عالماً فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به ، استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث » .

قال الحافظ : « و لما رجع بخارى عائداً من رحلته الدراسية نصبت له القباب

(١) شرف أصحاب الحديث (٩٩ - ١٠٠) .

على فرسخ من البلد ، واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكور ونشر عليه الدراهم والدنانير .

ولا شك في أن هذا التكريم وهذه الحفاوة بالعلم والعلماء كانت في أزمنة الخير والبركة . والناس يتمتعون بالتحاكم إلى شرع الله عز وجل ، والدولة دولة الإسلام ، والجولة جولته ، ونحن اليوم في زمن من أزمنة الغربة ، التي يرفع فيها أعداء الله عز وجل الفاسقين والفاسقات ، ويطلقون عليهم اسم النجوم ، ويهتمون بأخبارهم ، ويرصدون حركاتهم وسكناتهم ، ويجعلونهم القدوة للعباد ، فهم كالنجوم بالنسبة إليهم ، ينظرون إليهم كما ينظرون إلى النجوم في السماء ، والسعيد عندهم من اقتفى أثرهم ، وسار على دربهم ، واقتدى بهديهم ، وهذا لا شك من علامات الشقاء ، ومن أعظم أسباب الشر والبلاء ، فكما يخطط أعداء الله عز وجل للصد عن سبيل رب العالمين وصرف الناس عن صراطه المستقيم فأولى بالدعاة إلى الله عز وجل والذين يحبون أن تكون كلمة الله هي العليا ، أن يحصنوا أنفسهم ومن يلوذ بهم من هذا الشر الفاضح ، والإفك الواضح ، وأن يرفعوا لهم أئمة العلم والدين على رؤوسهم كالنجوم الزواهر ، الذين يسعى للاهتداء بهديهم والنسج على منوالهم الأصاغر والأكابر .

ولا شك أن في دراسة تراجم العلماء الأفاضل ، وأصحاب المنن والفواضل فوائد فمن ذلك :-

١- تربية شباب الصحوة الإسلامية على ما تربي عليه العلماء الأعلام حتى ينسج على منوال الكرام ، ويتبوأ منازل الخير والإنعام فيقرأ سيرهم من لم يعاين صورهم ، ويشاهد مجاسنهم من لم يعاصرها ، فيعرف مناصبهم ومراتبهم ، فيجد في الطلب ليلحق بهم ، ويتمسك بهديهم .

٢- ومن ذلك أن المسلم تجتمع له خلاصة التجارب وعصارة الأفكار والمواقف ، فيأخذ بالحسن ويجد في الطلب ، فكأنه يضم عمر غيره إلى

عمره :

إذا علم العبد أخبار من مضى
وتحسبه قد عاش آخر عمره
توهمته قد عاش من أول الدهر
إذا كان قد أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من كان عالماً
حليماً كريماً فاغتنم أول العمر

٣- ومن ذلك معرفة شرف العلم و حملته فإذا كان أهل التجارات قد
شغلوا أنفسهم بالتجارة ، و الملوك شغلوا أنفسهم بأمور الملك ، فإن العلماء قد
شغلوا أنفسهم بحراسة دين محمد ﷺ و إحياء سنته و نشر شريعته :

قنايل دين الله تسمى بحملها
هم حملوا الآثار عن كل عالم
رجال بهم يحيى حديث محمد
تقى صدوق فاضل متعبد
قناديل حبر ناسك وسط مسجد
محابرهم زهر تضيئ كأنها
ومن صنف الأحكام من كل مسند
تساق إلى من كان في الفقه عالماً

٤- و من هذه الفوائد أن يزداد حب المسلم للعلماء الأعلام و قد قال النبي
ﷺ : « المرء مع من أحب » فطوبى لمن أحب أهل العلم و الشرف الدائم
والعز الباقي .

٥- و من ذلك نشر علمهم و الاستفادة بفقهم ، و الاعتبار بمواعظهم
ونصائحهم .

٦- و من ذلك أن الرحمت تنزل عند ذكر الصالحين .

٧- و من ذلك أن تنزل أنفسنا المنازل اللائقة بها ، كما قال بعضهم :
« إذا ذكر السلف افتضحنا » .

٨- و من ذلك أننا في أزمنة غابرة متأخرة عز فيها العلماء العاملون فدراسة
تراجم العلماء الأعلام و الأئمة الكرام يعوض شيئاً من هذا النقص و يجبر شيئاً
من هذا الفقر .

٩- و من ذلك ما يستفيده طالب علم الحديث من معرفة طبقات هؤلاء
الأعلام ، و معرفة شيوخهم و تلامذتهم .

١٠- و من ذلك أن القارئ الكريم قد تتجدد له همة فيلحق ولو بساقه القوم أو يجد أثرًا من غبارهم :

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنها تكن مثل ما أعجبتك
فليس على الجود والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك
ثم أما بعد أيضاً . . .

فهذه سلسلة تراجم تربوية تم انتقاء أخبارها بعناية خاصة ، حتى يتربى عليها شباب الإسلام ، وقد ابتدأت هذه الترجمة بذكر أسماء العلماء وألقابهم وميعاد مولدهم ومواطنهم ، وإن وقفت على شيء من صفاتهم الخلقية أثبتته حتى يستحضر القارئ الكريم صورة الشيخ فكأنه يصحبه في الترجمة ويتعلم منه ، ويأنس به ، ويزداد حباً له ، ثم أردفت ذلك بذكر ثناء العلماء عليه ، حتى يعرف رتبته ودرجته ، ثم ألفت الضوء على ما تميز به هؤلاء العلماء من الزهد والورع ، والعبادة والخشية ، واتباع السنة ، وبينت طبقة هؤلاء العلماء بذكر شيوخهم وتلامذتهم ، وذكرت بعض أقوالهم ثم ذكر تاريخ وفاتهم رحمهم الله ، وقد أبدت اهتماماً خاصاً بأئمة الفقه أصحاب المذاهب المتبعة ، وكذا أئمة الحديث ، وأئمة الجرح والتعديل ، وأئمة الزهد والعبادة ممن لهم في السنة باع ، وخرج إلى النور بعض هذه التراجم في رسائل مفردة ولقيت بحمد الله عز وجل قبولاً عند إخواننا طلاب العلم وكذا عامة الناس ، وهذا مما شجعنا على الاستمرار في هذه السلسلة المباركة ، وقد رتبنا التراجم بحسب وفاة أصحابها ، وجمعنا في كل جزء من الكتاب عشرين ترجمة ، تسهيلاً لإخواننا ، وبعد أن قطعت شوطاً ليس بالهين في تراجم هؤلاء العلماء ترجمت لبعض الصحابة رضی الله عنهم ، وهم العشرة المبشرون بالجنة ، ولا شك في أن الصحابة رضی الله عنهم هم أئمة السلف ، ولكن لارتفاع رتبته على من بعدهم وعلو درجتهم أفردتهم بسلسلة كما

نصح بذلك أخونا الفاضل الشيخ أبو اسحاق الحويني ، وأسمايت سلسلة تراجم الصحابة رضي الله عنهم (من أعلام الصحابة) وهذه السلسلة سلسلة علماء السلف من التابعين فمن بعدهم بـ (من أعلام السلف) .
وأسأل الله الغني الكريم أن يتقبل منا صالح الأعمال ، وأن يتجاوز عما في أعمالنا وأعمارنا من خلل وتقصير وأن يمنحنا من فضله وكرمه الثواب الجزيل ،
والحمد لله رب العالمين .

أحمد فريد

من أعلام السلف



مسروق بن الأجدع

١ - مسروق بن الأجدع

بين يدي الترجمة :

فهذه الترجمة الأولى من سلسلة التراجم التربوية (من أعلام السلف)
التي يقصد بها تربية شباب الصحوة الإسلامية على ما تربي عليه العلماء
الأعلام ، و الأئمة الكرام ، من الزهد و العفاف ، و الورع و الكفاف ،
و العبادة و الخشية ، حتى ينسجوا على منوال الكرام ، و يتبوأوا منازل الخير
و الإنعام ، و هي لعلم من أعلام التابعين ، و إمام من الأئمة العاملين ، و هو
(مسروق بن الأجدع الهمداني) تتلمذ على علماء الصحابة رضي الله عنهم
عبد الله بن مسعود ، و علي ، و عائشة ، و كان ذو زهد و ورع و عبادة رحمه
الله ، فكان مثلاً طيباً لأن نفتح به هذه السلسلة المباركة ، و الله يتقبل منا سائر
الطاعات و يجمعنا بعلمائنا الكرام في أعلى الدرجات ، و صلى الله وسلم وبارك
على المبعوث رحمة للعالمين ، و آل بيته الطيبين ، و أصحابه الغر الميامين ،
و الحمد لله رب العالمين .

١ - اسمه ومولده

اسمه : مسروق بن الأجدع الهمداني الوادعي أبو عائشة الكوفي وهو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن سلمان - ويقال : سلمان - بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وادة^(١) .
قال الحافظ أبو بكر الخطيب : « يقال أنه سُرِقَ وهو صغير ثم وجد فسمي مسروقاً ، وأسلم أبوه الأجدع^(٢) » .

مولده : لم يصرح أحد ممن ترجم له مما وقفت عليه بتاريخ ميلاده إلا أنهم صرحوا بأنه توفي سنة اثنين و ستون أو ثلاث و ستين ، وقال هارون بن خاتم عن الفضل بن عمرو : « مات وله ثلاث و ستون سنة » ، فيكون ميلاده في السنة الأولى من الهجرة أو قبلها بسنة والله أعلم .

(١) تهذيب الكمال (٢٧ / ٤٥٢ ، ٤٥١) .
(٢) تاريخ بغداد (١٣ / ٢٣٢) .

٢ - ثناء العلماء عليه

* عن مالك بن مغول قال : « سمعت أبا السفر غير مرة قال : « ما ولدت همدانية مثل مسروق » ^(١) .

* وعن عامر الشعبي قال : « ما علمت أن أحداً أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق » ^(٢) .

* وعن منصور عن إبراهيم قال : « كان أصحاب عبد الله الذين يقرؤون الناس ويلمونهم السنة (علقمة ، والأسود ، وعبيدة ، ومسروق ، والحارث بن قيس ، وعمرو بن شرحبيل) ^(٣) .

* وقال الشعبي لما قدم عبيد الله بن زياد الكوفة قال : « مَنْ أفضّل الناس ؟ » قالوا له : « مسروق » ^(٤) .

* وقال ابن المديني : « أنا ما أقدم على مسروق أحداً صلى خلف أبي بكر » ^(٥) .

* وقال أحمد بن حنبل : « قال ابن عيينة : « بقي مسروق بعد علقمة لا يُفضّل عليه أحد » ^(٦) .

* وعن ابن أبيجر عن الشعبي قال : « كان مسروق أعلم بالفتوى من شريح ، وكان شريح يستشير مسروقاً » ^(٧) .

* وقال يحيى بن معين : « مسروق ثقة ، لا يسأل عن مثله ، وسأل عثمان بن سعيد يحيى عن مسروق وعروة في عائشة فلم يُخير » ^(٨) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٦) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٧) .

(٧) طبقات ابن سعد (٦ / ٨٢) .

(٨) سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٧) .

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ٢٣٣) .

(٢) تاريخ بغداد (١٣ / ٢٣٣) .

(٣) تاريخ بغداد (١٣ / ٢٣٣) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٦) .

- * وقال ابن سعد : « وكان ثقة ، وله أحاديث صالحة »^(١)
- * وقال العجلي : « تابعي ثقة ، كان أحد أصحاب عبد الله الذين يقرأون ويفتون ، وكان يصلي حتى ترم قدماءه »^(٢)
- * وقال أبو نعيم : « ومنهم العالم بربه ، الهائم بحبه ، الذاكر لذنبه ، في العلم معروق ، وبالضمان موثق ، ولعبادة الله معشوق أبو عائشة المسمى بمسروق »^(٣)
- * وعن مجالد عن الشعبي عن مسروق قالت عائشة : « يا مسروق إنك من ولدي ، وإنك لمن أحبهم إلي فهل لك علم بالمخدج »^(٤)

(١) طبقات ابن سعد (٦ / ٨٤)

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٧)

(٣) حلية الأولياء (٢ / ٩٥)

(٤) سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٧)

٣ - عبادته رحمه الله

- * عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر قال : « كان مسروق يرخى الستر بينه وبين أهله ، ويقبل على صلاته ، ويخليهم ودياهم »^(١) .
- * وقال أنس بن سيرين عن امرأة مسروق : « كان مسروق يصلي حتى تورم قدماه ، فربما جلست خلفه أبكى مما أراه يصنع بنفسه »^(٢) .
- * وعن فطر بن خليفة عن الشعبي قال : « غشي على مسروق بن الأجدع في يوم صائف وهو صائم ، وكانت عائشة زوج النبي ﷺ قد تبنته ، فسمى ابنته عائشة ، وكان لا يعصى ابنته شيئا » ، قال : « فنزلت إليه فقالت : يا أبتاه أظفر واشرب » ، قال : « ما أردت بي يا بنية ؟ » ، قالت : « الرفق » ، قال : « يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »^(٣) .
- * وعن أبي اسحاق قال : « حج مسروق فما بات إلا ساجدا »^(٤) .
- * قال إبراهيم بن محمد بن المنتشر : « أهدى خالد بن عبد الله بن أسيد عامل البصرة إلى عمى مسروق ثلاثين ألفاً وهو يومئذ محتاج ، فلم يقبلها » .
- * وقال أبو اسحاق السبيعي : « زوج مسروق بنته بالسائب بن الأقرع على عشرة آلاف لنفسه ، يجعلها في المجاهدين والمساكين »^(٥) .
- * وعن الأعمش بن أبي الضحى قال : « كان مسروق يقوم فيصلي كأنه راهب ، وكان يقول لأهله هاتوا كل حاجة لكم فاذكروها لى قبل أن أقوم إلى الصلاة »^(٦) .
- * وعن سعيد بن جبير قال : « لقينى مسروق فقال : يا سعيد ما بقى شيء يرغب فيه إلا أن نعفر وجوهنا في التراب »^(٧) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٦) .

(٦) حلية الأولياء (٢ / ٩٦) .

(٧) حلية الأولياء (٢ / ٩٦) .

(١) حلية الأولياء (٢ / ٩٦) .

(٢) تهذيب الكمال (٢٧ / ٤٥٥) .

(٣) تاريخ بغداد (١٣ / ٢٣٤) .

(٤) حلية الأولياء (٢ / ٩٥) .

٤ - موقفه رحمه الله في الفتنة

* عن الشعبي قال : « كان مسروق إذا قيل له أبطأت عن عليٍّ و عن مشاهدته فأراد أن يناصهم الحديث قال : « أذكركم بالله ، رأيتم حين صف بعضكم لبعض ، وأخذ بعضكم على بعض السلاح يقتل بعضكم بعضاً ، فتح باب من السماء وأنتم تنظرون ، ثم نزل منه ملاك حتى إذا كان بين الصنفين قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٢٩) ﴿ (١) ، أكان ذلك حاجزاً بعضكم عن بعض ؟ » ، قالوا : « نعم » قال : « فوالله لقد فتح الله لها باباً من السماء ، ولقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم ﷺ ، وإنها لمحكمة في المصاحف ما نسخها شيء » (٢) .

* وقال الذهبي : « قال وكيع : « تخلف عن عليٍّ مسروق ، و الأسود ، والربيع بن خثيم ، وأبو عبد الرحمن السلمى ، ويقال : « شهد صفين ، فوعظ و خوف ولم يقاتل » ، وقيل : « شهد قتال الحرورية مع عليٍّ ، واستغفر من تأخره عن عليٍّ » ، وقيل : « إن قبره بالسلسلة بواسط » (٣) .

(١) الآية ٢٩ النساء .

(٢) طبقات ابن سعد (٦٧ / ٤) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٦٧ / ٤) .

٥ - ورعه وزهده رحمه الله

* عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن مسروق : « أنه كان لا يأخذ على القضاء أجراً ويتأول هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ ^(١) .

* عن الأعمش عن أبي الضحى قال : « غاب مسروق عاملاً على السلسلة سنتين ثم قدم ، فنظر أهله في خروجه فأصابوا فأساً ، فقالوا : « غبت سنتين ثم جئنا بفأس بلا عود » ، قال : « إنا لله استعربنا نسينا نردها » ^(٢) .

* قال أبو الضحى : « سئل مسروق عن بيت شعر فقال : « أكره أن أجد في صحيفتي شعراً » ^(٣) .

* و عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن المنتشر قال : « كان مسروق يركب كل جمعة بغلةً ويحملني خلفه ، ثم يأتي كناسة بالحيرة قديمة ، فيحمل عليها بغلته فيقول : « الدنيا تحتنا » ^(٤) .

* و عن حمزة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : « بلغني أن مسروقاً أخذ بيد ابن أخ له ، فارتقى به على كناسة بالكوفة ، قال : « ألا أريكم الدنيا ، هذه الدنيا أكلوها فأفئوها ، و لبسوها فألبوها ، و ركبوها فأنضوها ، سفكوا فيها دماءهم ، و استحلوا منها محارمهم ، و قطعوا فيها أرحامهم » ^(٥) .

* و عن محمد بن عقبة قال سمعت الأصمعي يقول : « كان مسروق يتمثل :

و يكفيك مما أغلق الباب دونه وأرعى عليه الستر ملح و جردق
و ماء فرات بارد ثم تغتدي تعارض أصحاب الشريد الملبق ^(٦)
تجشأ إذا ما هم تجشأوا كأنما غذيت بألوان الطعام المفتق ^(٧)

(٥) حلية الأولياء (٢ / ٩٦ ، ٩٧) .

(١) حلية الأولياء (٢ / ٩٦) .

(٦) الشريد الملبق : الملبس بالدم .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٦) .

(٧) حلية الأولياء (٢ / ٩٧) ، و الطعام الملبق الكثير الخصب .

(٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٩) .

(٤) حلية الأولياء (٢ / ٩٦) .

٦ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

قال المزي : « روى عن أبي بن كعب ، و خباب بن الارت ، و زيد بن ثابت ، و عبد الله بن عمر بن الخطاب ، و عبد الله بن عمرو بن العاص ، و عبد الله بن مسعود ، و عبيد بن عمير الليثي و هو من أقرانه ، و عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب ، و عمر بن الخطاب ، و معاذ بن جبل ، و معقل ابن سنان الأشجعي ، و المغيرة بن شعبة ، و أبو بكر الصديق ، و سبيعة الأسلمية ، و عائشة زوج النبي ﷺ ، و أمها أم رومان ، يقال مرسل ، و أم سلمة زوج النبي ﷺ »^(١)

تلامذته :

قال المزي : « روى عنه : إبراهيم النخعي ، و أنس بن سيرين ، و أيوب بن هاني ، و حبال بن رفيدة ، و أبو وائل شقيق بن سلمة ، و عامر الشعبي ، و عبد الله بن مرة الخارقي ، و عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، و عبيد بن نضلة ، و عمارة بن عمير ، و القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، و ابن أخيه محمد بن المنتشر بن الأجدع ، و محمد بن بشر الهمداني ، و أبو الضحى مسلم بن صبيح ، و مكحول الشامي ، و يحيى بن الجزار ، و يحيى بن وثاب ، و أبو الأحوص الجشمي ، و أبو اسحاق السبيعي ، و أبو الشعثاء المحاربي ، و امرأته قمير بنت عمرو »^(٢)

(١) تهذيب الكمال للمزي (٢٧ / ٤٥٢ ، ٤٥٣) .

(٢) تهذيب الكمال للمزي (٢٧ / ٤٥٣) .

٧ - من أقواله وأفعاله رحمه الله

- * عن مسلم عن مسروق قال : « كفى بالمرء علماً أن يخشى الله ، و كفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله » ^(١) .
- * وقال مسروق : « المرء حقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها فيذكر ذنوبه فيستغفر الله » ^(٢) .
- * وعن أبي الضحى أن مسروقاً شفع لرجل بشفاعة فأهدى له جارية فغضب وقال : « لو علمت أن هذا في نفسك ما تكلمت فيها ولا أتكلم فيما بقي منها أبداً سمعت عبد الله بن مسعود يقول : من شفع شفاعة ليرد بها حقاً ، أو يدفع بها ظلماً ، فأهدى له فقبل فذلك السحت » ، قالوا : « ما كنا نرى السحت إلا الأخذ على الحكم » قال : « الأخذ على الحكم كفر » ^(٣) .
- * وعن الشعبي أن مسروقاً قال : « لأن أقضى بقضية فأوافق الحق ، أو أصيب الحق أحب إلي من رباط سنة في سبيل الله » ^(٤) .
- * وعن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن مسروق قال : ما من شيء خير للمؤمن من لحد قد استراح من هموم الدنيا ، وأمن من عذاب الله » ^(٥) .
- * وعن مسلم أو غيره عن مسروق قال : « إن أحسن ما أكون ظناً حين يقول لى الخادم ليس فى البيت قفيز ولا درهم » ^(٦) .
- * وعن هلال بن يساف قال : « من سره أن يعلم علم الأولين والآخرين ، وعلم الدنيا والآخرة فليقرأ سورة الواقعة » .
- * قال الذهبي : « هذا قاله مسروق على المبالغة لعظم ما فى السورة من جعل أمور الدارين ، ومعنى قوله : « فليقرأ الواقعة » أى يقرأها بتدبر وتفكر وحضور ، ولا يكن مثل الحمار يحمل أسفاراً » ^(٧) .

(١) طبقات ابن سعد (٦ / ٨٢) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦ / ٨٠) .

(٣) طبقات ابن سعد (٦ / ٨١) .

(٤) طبقات ابن سعد (٦ / ٨٢) .

(٥) حلية الأولياء (٢ / ٩٧) .

(٦) حلية الأولياء (٢ / ٩٧) .

(٧) سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٨) .

٨ - وفاته رحمه الله

* عن شقيق قال : « كان مسروق على السلسلة سنتين ، فكان يصلى ركعتين ركعتين ، يتغنى بذلك السَّنة » .

* عن الأعمش عن شقيق قال : « قلت لمسروق : « ما حملك على هذا العمل ؟ » ، قال : « لم يدعني ثلاثة زياد و شريح و الشيطان حتى أوقعوني فيه » ^(١) .

* عن أبي وائل أن مسروق حين حضره الموت قال : « اللهم لا أموت على أمر لم يسنه رسول الله ﷺ ، ولا أبو بكر ولا عمر ، والله ما تركت صفراد ولا بيضاء عند أحد من الناس ، غير ما في سيفي هذا فكفونني فيه » ^(٢) .

* قال سفيان بن عيينة : « مات مسروق سنة ثلاث و ستين ، وكان ثقة وله أحاديث صادقة » ^(٣) .

* وقال أبو نعيم : « مات سنة اثنتين و ستين » ، وقال يحيى بن بكير وابن سعد وابن نمير : « مات سنة ثلاث و ستين » ^(٤) .

(٣) طبقات ابن سعد (٦ / ٨٤) .

(٤) حلية الأولياء (٢٠ / ٦٨) .

(١) طبقات ابن سعد (٦ / ٨٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦ / ٨٣) .

من أعلام السلف

٢

سيد التابعين
سعيد بن المسيّب

بين يدي الترجمة :

فهذه الترجمة الثانية من السلسلة المباركة « من أعلام السلف » والعلم الذى ترفعه اليوم ، والعالم الذى نتشرف بترجمته ليس مشهوراً عند العوام ، إلا أنه جبل من جبال العلم ، يعرف قدره ويقدر علمه أهل العلم ، إنه سيد التابعين « سعيد بن المسيب » عاصر الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ عمر وعثمان وعلى وأبى هريرة وعائشة وأم سلمة رضوان الله عليهم ، وكان آية فى الحفظ ، والذكاء ، والورع والصدع بالحق ، والصبر على الابتلاء فى سبيل نصرته ، رآه ابن عمر رضى الله عنهما فقال : لو رأى هذا رسول الله ﷺ لسره .

قال أبو نعيم فى ترجمته : فأما أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن الخزومى كان من المتحنين امتحن فلم تأخذه فى الله لومة لائم ، صاحب عبادة وجماعة ، وعفة وقناعة ، وكان كاسمه بالطاعات سعيداً ، ومن المعاصى والجهالات بعيداً ^(١) .

ويكفى فى بيان سعة علمه أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يسأله عن قضاء عمر ، لأنه كان أعلم الناس بقضاء أبى بكر وعمر وعثمان ، وكان أروى الناس لحديث أبى هريرة ، وقد زوجه أبو هريرة رضى الله عنه ابنته ، ما فاتته صلاة الجماعة من أربعين سنة أو خمسين سنة ، ولا نظر فى أقفيه الناس ، لأنه كان يصلى فى الصف الأول .

عن عمرو بن دينار قال : لما مات زيد بن ثابت قال ابن عباس : هكذا يذهب العلم . قال : فحدث به سعيد بن المسيب فقال : وكذلك كان ابن عباس قال : وأنا أقول : كذلك كان سعيد بن المسيب ^(٢) .

قال ابن حبان الثقات : كان من سادات التابعين فقهاً وديناً وورعاً

(١) حلية الأولياء (١٦١/٢) .

(٢) تهذيب الكمال (٧٥/١١) .

وعبادة وفضلاً ، وكان أفقه أهل الحجاز وأعبر الناس لرؤيا ، ما نودي بالصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد ينتظرها ^(١) .

ويقدر ما كان سيد التابعين شديداً صعب القياد مع الخلفاء الظالمين ، كان لين الجانب سهل المعاملة مع الأتقياء والصالحين ، رفض أن يخرج إلى باب المسجد ليكلم الخليفة عبد الملك بن مروان ، وكذا ابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وذهب بابنته إلى تلميذه ابن وداعه بعد أن زوجها لها بدرهمين أو ثلاثة ، ومنعها من عبد الملك بن مروان عندما خطبها لابنه الوليد ، تحمل الحبس والضرب ورفض أن يتابع بولاية العهد بعد عبد الملك لولديه الوليد وسليمان ، فرحمه الله عز وجل رحمة واسعة وأدخله جنة عالية قطوفها دانية .

وصلّى الله وسلّم وبارك على محمد وآله وصحبه .

اسمه وكنيته ومولده وصفته

اسمه : سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشى المخزومي المدني سيد التابعين .
كنيته : أبو محمد .

روى ابن سعد بسنده عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب بن حزن أن جده حزنا أتى النبي ﷺ فقال : « ما اسمك قال : أنا حزن قال : بل أنت سهل قال : يا رسول الله اسم سماني به أبواي فعرفت به في الناس . قال : فسكت عنه النبي ﷺ » .

فقال سعيد : هازلنا نعرف الحزونة فينا أهل البيت ^(١) .
 قلت : والترجمة شاهدة لصحة الخبر والله أعلم .

مولده : قال الذهبي : ولد في خلافة عمر ، لأربع مضيئ منها . وقيل لستين مضتا منها ^(٢) .

وقيل : ولد سعيد قبل موت عمر بستين .

قال ابن سعد : قال محمد بن عمر : والذي رأيت عليه الناس في مولده سعيد بن المسيب أنه ولد لستين خلثا من خلافة عمر ، ويروى أنه سمع منه ، ولم أر أهل العلم يصححون ذلك ، وإن كانوا قد روه ^(٣) .

(١) طبقات ابن سعد (١١٩/٥) .

قال الذهبي : هذا حديث مرسل ، ومراسيل سعيد محتج بها ، والحديث مروي بإسناد صحيح متصل (٢٢١/٤) سير أعلام النبلاء . والحزن هو الصعب عكس السهل ، وهذه القصة شبيهة بقصة الأعرابي الذي عادته النبي ﷺ وقال : لا بأس طهور ، فقال : بل هي حمى نفور على شيخ كبير تزيره القبور . قال : « فنعيم إذا » فمات الرجل .

(٢) تاريخ الإسلام (٦٠ / ٣٧١) .

(٣) طبقات ابن سعد (١١٩/٥) .

صفته : عن عمران بن عبد الملك قال : قال سعيد بن المسيب : ما خفت على نفسي شيئاً مخافة النساء ، قال : فقالوا : يا أبا محمد إن مثلك لا يريد النساء ولا تريده النساء ، قال : هو ما أقول لكم . قال : وكان شيخاً كبيراً أعمش ^(١)

وعن أبي الغصن أنه رأى سعيد بن المسيب أبيض الرأس واللحية ^(٢) .
وعن محمد بن هلال أنه رأى سعيد بن المسيب يعم ، وعليه قلنسوة لطيفة بعمامة بيضاء ، لها علم أحمر يرخيها وراءه شبراً ^(٣)

(١) طبقات ابن سعد (١٣٦/٥) ، وسير أعلام النبلاء (٢٤١ / ٣) .
(٢) طبقات ابن سعد (١٤٠/٥) ، وسير أعلام النبلاء (٢٤٤/٤) .
(٣) طبقات ابن سعد (١٣٥/٥) ، والمسير (٢٤٢ / ٤) .

٢ - ثناء العلماء عليه

عن مكحول ^{سكحول} قال : طفت الأرض كلها في طلب العلم ، فما لقيت أحداً أعلم من سعيد بن المسيب ^(١) .

وقال علي بن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ، هو عندي أجل التابعين ^(٢) .

وقال أحمد بن عبد الله العجلي : كان رجلاً صالحاً ، فقيهاً ، وكان لا يأخذ العطاء ، وكانت له بضاعة أربع مئة دينار ، وكان يتجر بها في الزيت ، وكان أعور ^(٣) .

وقال أبو زرعة : مدني قرشي ثقة إمام ^(٤) .

وقال أبو حاتم : ليس في التابعين أنبل من سعيد بن المسيب ، وهو أثبتهم في أبي هريرة ^(٥) .

وعن ميمون بن مهران قال : أثبت المدينة فسألت عن أفقه أهلها ، فدفعت إلى سعيد بن المسيب ، فسألته ^(٦) .

وعن مكحول قال : لما مات سعيد بن المسيب استوى الناس ، ما كان أحد يأنف أن يأتي إلى حلقة سعيد بن المسيب ، ولقد رأيت فيها مجاهداً وهو يقول : لا يزال الناس بخير ما بقى بين أظهرهم ^(٧) .

وسئل القاسم بن محمد عن مسألة فقيـل له : إن سعيد بن المسيب قال فيها كذا ، قال معن في حديثه . فقال القاسم : ذاك خيرنا وسيدنا ، وقال محمد بن عمر في حديث : ذلك سيدنا وعالمنا ^(٨) .

(٥) تهذيب الكمال (٧٤/١١) .

(٦) طبقات ابن سعد (٣٨١/٢) .

(٧) طبقات ابن سعد (٣٨٢/٢) .

(٨) طبقات ابن سعد (٣٨٠/٢) .

(١) تاريخ الإسلام (٣٧٢/٦) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٧٣/٦) .

(٣) تهذيب الكمال (٧٤/١١) .

(٤) تهذيب الكمال (٧٤/١١) .

٢ - عبادته رحمه الله

عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه قال : ما فاتتني الصلاة في الجماعة منذ أربعين سنة ^(١) .

وعن عثمان بن حكيم قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ما أذن المؤذن من ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد ^(٢) .

وعن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال : صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة ، وقال سعيد بن المسيب : ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين ، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة ^(٣) .

وعن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه اشتكى عينه فقالوا له : لو خرجت يا أبا محمد إلى العقيق فنظرت إلى الخضرة لوجدت لذلك خفة قال : فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح ^(٤) .

وعن يزيد بن حازم قال : كان سعيد بن المسيب يسرد الصوم فكان ، إذا غابت الشمس أتى بشراب له من منزله المسجد فشربه ^(٥) .

وعن عمران بن عبد الله قال : قال سعيد بن المسيب : ما أظلني بيت بالمدينة بعد منزلي ، إلا أن أتى إيتة لي فأسلم عليها أحياناً ^(٦) .

وعن ابن حرملة قال : قلت لبرد مولى ابن المسيب : ما صلاة ابن المسيب في بيته ؟ قال : ما أدرى ، إنه ليصلي صلاة كثيرة ، إلا أنه يقرأ بـ (ص والقرآن ذي الذكر) ^(٧) .

(٥) طبقات ابن سعد (١٣٣ / ٥)

(٦) طبقات ابن سعد (١٣١ / ٥)

(٧) طبقات ابن سعد (١٣١ / ٥) والسير (٢٤٠ / ٤)

(١) حلية الأولياء (١٦٢ / ٢)

(٢) حلية الأولياء (١٦٢ / ٢)

(٣) حلية الأولياء (١٦٣ / ٢)

(٤) طبقات ابن سعد (١٣٢ / ٥)

وعن عاصم بن العباس الأسدي قال : كان سعيد بن المسيب يُذكر ويخوف وسمعته يقرأ في الليل على راحلته فيكثر ، وسمعته يجهر باسم الله الرحمن الرحيم ، وكان يحب أن يسمع الشعر ، وكان لا ينشده ، ورأيت يمشي حافياً وعليه بت ، ورأيت يحفى شاربته شبيهاً بالخلق ، ورأيت يصافح كل من لقيه ، وكان يكره كثرة الضحك ^(١) .

(١) طبقات ابن سعد (١٣٢/٥) ومسير أعلام النبلاء (٢٤٠/٤) .
وقوله : (وعليه بت) أى طيلسان من خز ونحوه .

٤ - علمه رحمه الله

عن يحيى بن حبان قال : كان رأس من بالمدينة في دهره ، المقدم عليهم في الفتوى سعيد بن المسيب ، ويقال : فقيه الفقهاء ^(١) .
وقال قتادة : ما رأيت أحداً أعلم بالحلال والحرام من سعيد بن المسيب ^(٢) .

وعن هشام بن سعد قال : سمعت الزهري يقول وسأله سائل عن أخذ سعيد بن المسيب علمه فقال : عن زيد بن ثابت ، وجالس سعيد بن أبي وقاص وابن عباس وابن عمر ودخل على أزواج النبي ﷺ عائشة وأم سلمة ، وكان قد سمع من عثمان بن عفان ، وعلى ، وصهيب ، ومحمد بن مسلمة ، وجلُّ روايته المسندة عن أبي هريرة ، وكان زوج ابنته ، وسمع من أصحاب عمر وعثمان ، وكان يقال : ليس أحد أعلم بكل ما قضى به عمر وعثمان منه ^(٣) .

قال عباس الدوري : سمعت يحيى بن معقل يقول مرسلات سعيد بن المسيب أحب إلي من مرسلات الحسن ، ومرسلات إبراهيم صحيحة ، إلا حديث تاجر البحرين ، وحديث الضحك في الصلاة ^(٤) .

وقال أبو طالب : قلت لأحمد بن حنبل : سعيد بن المسيب ؟ فقال ومن مثل سعيد بن المسيب ، ثقة من أهل الخير . قلت : سعيد عن عمر حجة قال : هو عندنا حجة قد رأى عمر وسمع منه ، وإذا لم يقل سعيد عن عمر فمن يقبل ^(٥) .

وعن مالك أن القاسم بن محمد سأله رجل عن شيء ، فقال : سألت أحداً

(٤) تهذيب الكمال (٧٣/١١)

(٥) تهذيب الكمال (٧٣/١١)

(١) تهذيب الكمال (٧١/٩١)

(٢) تهذيب الكمال (٧١/٩١)

(٣) طبقات ابن سعد (٢ / ٣٨٠)

غيرى ؟ قال : نعم عروة ، وفلاناً ، وسعيد بن المسيب . فقال : أطع ابن المسيب ، فإنه سيدنا وعالمنا ^(١) .

وقال مالك : كان يقال لابن المسيب « راوية عمر » فإنه كان يتبع أقضية عمر يتعلمها ، وإن كان ابن عمر ليرسل إليه يسأله ^(٢) . وعن أبي على بن حسين قال : سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار وأفقههم في رأيه ^(٣) .

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : كان السبعة الذين يسألون بالمدينة وينتهى إلى قولهم : سعيد بن المسيب ، وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعروة بن الزبير ، وعبد الله بن عبد الله بن عتبة ، والقاسم ابن محمد ، وخارجية بن زيد ، وسليمان بن يسار ^(٤) . وقد نظمهم بعض الفضلاء فقال :

فَقَسَمَتْهُ ضِيْزَى عَنِ الْحَقِّ خَارِجُهُ
سَعِيدُ سُلَيْمَانَ أَبُو بَكْرٍ خَارِجُهُ ^(٥)

أَلَا كُلُّ مَنْ لَا يَقْتَدِي بِأُثْمَةٍ
فَخَذَهُمْ عَبِيدُ اللَّهِ عُرْوَةُ قَاسِمُ

(١) تاريخ الإسلام (٦ / ٣٧٢) .

(٢) تاريخ الإسلام (٦ / ٣٧٢) .

(٣) طبقات ابن سعد (٥ / ١٢١ ، ١٢٢) .

(٤) طبقات ابن سعد (٢ / ٣٨٤) .

(٥) نذرات الذهب (١١ / ١٠٤) .

٥ - علمه بالتعبير رحمه الله

قال الذهبي : قال الواقدي : كان سعيد بن المسيب من أعبر الناس للرؤيا ، أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وأخذته أسماء عن أبيها .
وروى ابن سعد في الطبقات عدة منامات وتفسير ابن المسيب لها ، ونقله عنه الذهبي في سيره ، فمن ذلك ما رواه عمرو بن حبيب بن قريع قال : كنت جالسا عند سعيد بن المسيب يوما ، وقد ضاقت بي الأشياء ، ورهقني دين ، فجاء رجل فقال : رأيت كأنني أخذت عبد الملك بن مروان ، فأضجعتني إلى الأرض وبطحته ، فأوتدت في ظهره أربعة أوتاد ، قال : ما أنت رأيته . قال : بلى . قال لا أخبرك أو تخبرني . قال ابن الزبير رآها . وهو بعثني إليك . قال لعن صدقت رؤياه قتله عبد الملك ، وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة . قال : فرحلت إلى عبد الملك بالشام فأخبرته ، فسر ، وسألني عن سعيد وعن حاله فأخبرته ، وأمر بقضاء ديني ، وأصبحت منه خيرا ^(١) .
وعن اسماعيل بن أبي الحكم قال : قال رجل : رأيت كأن عبد الملك ابن مروان يبول في قبلة مسجد النبي ﷺ أربع مرات ، فذكرت ذلك لسعيد بن المسيب فقال : إن صدقت رؤياك قام فيه من صلبه أربعة خلفاء ^(٢) .
وقيل له : يا أبا محمد : رأيت كأنني في الظل فقممت إلى الشمس فقال : إن صدقت رؤياك لتخرجن من الإسلام قال : يا أبا محمد إني أراني أخرجت حتى أدخلت في الشمس فجلست قال : تكره على الكفر قال : فأسر وأكره على الكفر ثم رجع ، فكان يخبر بهذا بالمدينة ^(٣) .

(١) طبقات ابن سعد (١٢٣ / ٥) وسير أعلام النبلاء (٢٣٥ / ٤)

(٢) طبقات ابن سعد (١٢٣ / ٥) وسير أعلام النبلاء (٢٣٤ / ٤)

(٣) طبقات ابن سعد (١٢٥ / ٥) وسير أعلام النبلاء (٢٣٦ / ٤ ، ٢٣٧)

وعن عمران بن عبد الله قال : رأى الحسن بن علي كأن بين عينيه مكتوب ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فاستبشر به وأهل بيته ، فقصوها على سعيد بن المسيب فقال : إن صدقت رؤياه فقلما بقي من أجله ، فمات بعد أيام ^(١) .

وعن شريك بن أبي نمير قال : قلت لابن المسيب رأيت في النوم كأن أسناني سقطت في يدي ثم دفنتها . فقال ابن المسيب : إن صدقت رؤياك دفنت أسنانك من أهل بيتك ^(٢) .

وعن شريك بن أبي نمر عن ابن المسيب قال : التمر في النوم رزق على كل حال ، والرطب في زمانه رزق ^(٣) .
وعن ابن المسيب قال : آخر الرؤيا أربعون سنة . يعني تأويلها ^(٤) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٢٣٧) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥ / ١٢٤) .

(٣) السابق (٥ / ١٢٥) .

(٤) السابق (٥ / ١٢٥) .

٦ - عزة نفسه وصدقه بالحق

عن عمران بن عبد الله قال : كان لسعيد بن المسيب في بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاءً ، وكان يدعى إليها فيأبى ، ويقول : لا حاجة لى فيها ، حتى يحكم الله بينى وبين بنى مروان ^(١) .

وعن علي بن زيد : أنه قيل لسعيد بن المسيب : ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يحركك ، ولا يؤذك ؟ قال : والله ما أدرى إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد فصلى صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها ، فأخذت كفاً من حصي فحصبته بها ، زعم أن الحجاج قال : ما زلت بعد أحسن الصلاة ^(٢) .

وعن عمران بن طلحة الخزاعي قال : حج عبد الملك بن مروان ، فلما قدم المدينة ووقف على باب المسجد أرسل إلى سعيد بن المسيب رجلاً يدعوه ولا يحركه ، فأتاه الرسول وقال : أجب أمير المؤمنين واقف بالباب يريد أن يكلمك . فقال : ما لأمر المؤمنين إلى حاجة ومالى إليه حاجة ، وإن حاجته لى لغير مقضية . فرجع الرسول فأخبره فقال : ارجع فقل له : إنما أريد أن أكلمك ولا تحركه فرجع إليه فقال له : أجب أمير المؤمنين . فرد عليه مثل ما قال أولاً . فقال : لولا أنه تقدم إلى فيك ما ذهبت إليه إلا برأسك يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول مثل هذا ! فقال : إن كان يريد أن يصنع بى خيراً فهو لك ، وإن كان يريد غير ذلك فلا أحل حبيوتى حتى يقضى ما هو قاض فأتاه فأخبره فقال : رحم الله أبا محمد أبى إلا صلابة ^(٣) .

وعن عمرو بن عاصم عن سلام بن مسكين عن عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعي قال : فلما استخلف الوليد قدم المدينة فدخل المسجد فرأى شيخاً

(١) طبقات ابن سعد (١٢٨ / ٥) وسير أعلام النبلاء (٢٢٦ / ٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٢٩ / ٥) ، سير أعلام النبلاء (٢٢٦ / ٤) .

(٣) طبقات ابن سعد (١٢٩ / ٥) ، سير أعلام النبلاء (٢٢٧ / ٤) .

قد اجتمع عليه الناس ، فقال : من هذا ؟ قالوا : سعيد بن المسيب ، فلما جلس أرسل إليه فأتاه الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : لعلك أخطأت باسمي أو لعله أرسلك إلي غيري ، فردّ الرسول فأخبره فغضب وهمّ به ، وفي الناس يومئذ تقية ، فأقبلوا عليه فقالوا : يا أمير المؤمنين : فقيه المدينة ، وشيخ قریش ، وصديق أبيك ، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه ، فما زالوا به حتى أضرب عنه ^(١) .

ولعله رحمه الله لم يجبههم لما كان يراه من ظلمهم ، وقد أجاب عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة .

روى ابن سعد في الطبقات عن مالك بن أنس قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يقضى بقضاء حتى يسأل سعيد بن المسيب ، فأرسل إليه إنساناً يسأله فدعاه فجاءه ، حتى دخل فقال عمر : أخطأ الرسول ، إنما أرسلنا يسألك في مجلسك ^(٢) .

وعن سلام بن مسكين : ثناء عمران بن عبد الله قال : أرى نفس سعيد بن المسيب كانت أهون عليه في الله من نفس ذباب ^(٣) .

(١) طبقات ابن سعد (٥ / ١٢٩ ، ١٣٠) ، سير أعلام النبلاء (٤ / ٢٢٧) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥ / ١٢٢) .

(٣) تاريخ الإسلام (٦ / ٣٧٤) وهو في الحلية (٢ / ١٦٤) .

٧ - تزوجيه ابنته

عن أبي بكر بن أبي داود قال : كانت بنت سعيد كان قد خطبها عبد الملك لابنه الوليد فأبى عليه ، فلم يزل يحتال عبد الملك حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد ، وصب عليه جرّة ماء ، وألبسه جبة ضنوف ، ثم قال : حدثني أحمد بن أخي (عبد الرحمن) بن وهب حدثنا عمر بن وهب عن عطاء بن خالده ، عن ابن حرملة ، عن ابن أبي وداعة - يعني كثيراً - قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً ، فلما جئته قال : أين كنت ؟ قلت : توفيت أهلي فاشتغلت بها ، فقال : ألا أخبرتنا فشهدناها ، ثم قال : هل استحدثت امرأة ؟ فقلت : يرحمك الله ، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ قال : أنا فقلت : وتفعل ؟ قال : نعم . ثم تحمّد وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين - أو قال : ثلاثة - فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح ، فصرّت إلى منزلي وجعلت أفكر فيمن أستدين ، فصليت المغرب ، ورجعت إلى منزلي ، وكن وحدي صائماً ، فقدمت عشائي أفطر ، وكان خبزاً وزيتاً ، فإذا يبأي يقرع . فقلت : من هذا ؟ فقال : سعيد فأفكرت في كل من اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد ، فخرجت فإذا سعيد ، فظننت أنه قد بدا له . قلت : يا أبا محمد ألا أرسلت إلي فأتيك ، قال : لا أنت أحق أن تؤتني ، إنك كنت رجلاً عزياً فتزوجت ، فكرهت أن تبسبب الليلة وحدك ، وهذه امرأتك فإذا هي قائمة من خلفه في طوله ، ثم أخذ بيدها فدفعها إلى الباب وردّ الباب ، فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ، ثم وضعت القصعة في ظل السراج لكي لا تراه ، ثم صعدت السطح فرميت الجيران ، فجأؤوني فقالوا : ما شأنك ؟ فأخبرتهم ، ونزلوا إليها ، وبلغ أمي فجاءت وقالت : وجهي من وجهك حرام إن مستهها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها ، فإذا هي من أجمل

الناس وأحفظ الناس لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق زوج ، فمكثت شهراً لا آتى سعيد بن المسيب ، ثم أتيتته وهو فى حلقة ، فسلمت فردّ على السلام ، ولم يكلمنى حتى يقبوض المجلس ، فلما لم يبق غيرى قال : ما حال ذلك الإنسان ؟ قلت خيراً يا أبا محمد على ما يحب الصديق ، ويكره العدو . قال : إن رايلك شيء فالعصا ، فانصرفت إلى منزلى فوجه إلى بعشرين ألف درهم^(١) .

قال أبو بكر بن أبى داود : ابن أبى وداعة هو كثير بن عبد المطلب بن أبى وداعة .

قال الذهبي : هو سهمى مكى روى عن أبيه المطلب أحد مسلمة الفتح ، وعنه ولده جعفر بن كثير وابن حرملة .

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢ / ١٦٧) ، وذكره الذهبي فى السير (٤ / ٢٣٣) ، قال الذهبي : تفرد بالحكاية أحمد بن عبد الرحمن ابن وهب وعلى ضعفه قد احتج به مسلم وفى هامش السير وثقه ابن أبى حاتم وغيره إلا أنه تغير بآخره .

٨ - محنته رحمه الله

عن عبد الله بن جعفر وغيره قالوا : استعمل ابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهرى على المدينة فدعا الناس إلى البيعة (لابن الزبير) فقال سعيد بن المسيب : لا حتى يجتمع الناس ، فضره ستين سوياً ، فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إلى جابر يلومه ويقول : مالنا ولسعيد دعه ^(١)

وعنهم أن عبد العزيز بن مروان توفي بمصر سنة أربع وثمانين فعقد عيد الملك لابنيه : الوليد وسليمان بالعهد ، وكتب بالبيعة لهم إلى البلدان ، وعامله يؤمئذ على المدينة ، وأبى سعيد بن المسيب أن يبايع لهما وقال حتى أنظر ، فضره هشام ستين سوياً ، وطاف به فى تبان من شعر حتى بلغ به رأس الشنية ، فلما كروا به قال : أين تكرون بى قالوا : إلى السجن . فقال : والله لولا أنى ظنته الصلب ، مابست هذا التبان أبداً ، فردوه إلى السجن ، فحبسه ، وكتب إلى عبداً للملك يخبره بخلافه ، فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع به ، ويقول سعيد كان والله أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه ، وإنا لنعلم ما عنده خلاف ^(٢)

عن سفيان عن رجل من آل عمر قال : قلت لسعيد بن المسيب : ادع على بنى أمية قال : اللهم أعز دينك ، وأظهر أولياءك ، واخر أعدائك ، فى عافية لأمة محمد ﷺ ^(٣)

وعن أبى يونس القوى قال : دخلت مسجد المدينة فإذا سعيد بن المسيب جالس وحده ، فقلت : ما شأنه ؟ قيل : نهى أن يجالسه أحد ^(٤)
وعن قتادة : أن ابن المسيب كان إذا أراد أحد أن يجالسه قال : إنهم قد جلدوني ومنعوا الناس أن يجالسوني ^(٥)

(١) طبقات ابن سعد (١٣٢ / ٥) ، وسير أعلام النبلاء (٢٢٩ / ٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٢٥ / ٥ ، ١٢٦) ، وسير أعلام النبلاء (١٢٩ / ٤ ، ٢٣٠) .

(٣) طبقات ابن سعد (١٢٨ / ٥) ، وسير أعلام النبلاء (٢٣٢ / ٤) .

(٤) طبقات ابن سعد (١٢٨ / ٥) ، وسير أعلام النبلاء (٢٣٢ / ٤) .

(٥) حلية الأولياء (١٧٢ / ٢) ، وسير أعلام النبلاء (٢٣٢ / ٤) .

٩ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه : قال الحافظ : روى عن أبي بكر مرسلًا ، وعن عمر ، وعثمان ، وعلى وسعد بن أبي وقاص ، وحكيم بن حزام ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو بن العاص ، وأبيه المسيب ، ومعمار بن عبد الله بن نضلة ، وأبي ذر ، وأبي الدرداء ، وحسان بن ثابت ، يزيد بن ثابت ، وعبد الله بن زيد المازني ، وعتاب بن أسيد ، وعثمان بن أبي العاص ، وأبي ثعلبة الخشني ، وأبي قتادة ، وأبي موسى ، وأبي سعيد ، وأبي هريرة وكان زوج ابنته ، وعائشة ، وأسما بنت عميس ، وخولة بنت حكيم ، وفاطمة بنت قيس ، وأم سليم ، وأم شريك وخلق^(١) .

تلامذته : قال الحافظ : وعنه ابنه محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، والزهرى ، وقتادة ، وشريك بن أبي نمر ، وأبو الزناد ، وسمي ، وسعد بن إبراهيم ، وعمرو بن مرة ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وداود بن أبي هند ، وطارق بن عبد الرحمن ، وعبد الحميد بن جبير بن شعبة ، وعبد الخالق بن سلمة ، وعبد المجيد بن سهيل ، وعمرو بن مسلم بن عمارة بن أكيم ، وأبو جعفر الباقر ، وابن المنكدر ، وهاشم بن هاشم بن عتبة ، ويونس بن يوسف وجماعة^(٢) .

(١) تهذيب التهذيب (٤ / ٧٤ ، ٧٥) وانظر لمزيد الفائدة تهذيب الكمال (٦٨ ، ٦٧ / ١١) .

(٢) تهذيب التهذيب (٤ / ٧٥) وانظر لمزيد الفائدة تهذيب الكمال (٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠) .

١٠ - درر من أقواله

عن عبد الله بن محمد قال : حدثنا سعيد بن المسيب قال : ما أكرمت العباد أنفسهم بمثل طاعة الله عز وجل ، ولا أهانت أنفسهم بمثل معصية الله ، وكفى بالمؤمن نصرة من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله ^(١) .

عن ابن حرملة قال : قال سعيد بن المسيب : لا تقولوا مصيحف ولا مسيحد ؛ ما كان لله فهو عظيم حسن جميل ^(٢) .

وعن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : ما أيسر الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء ، ثم قال لنا سعيد وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه ، وهو يعيش بالأخرى ، ما شيء أخوف عندي من النساء ^(٣) .

وعن عبد الرحمن بن حرملة أنه سأل سعيد بن المسيب قال : وجدت رجلاً سكران افتراه يسعني ألا أرفعه إلى السلطان ؟ فقال له سعيد : إن استطعت أن تستره بثوبك فاستره ^(٤) .

وعن أبي عيسى الخرساني عن سعيد بن المسيب قال : لا تملؤ أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم ، لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة ^(٥) .

وعن سفيان بن عيينة قال : قال سعيد بن المسيب : إن الدنيا نذلة وهي إلى كل نذلٍ أميل ، وأنذل منها من أخذها بغير حقها ، وطلبها بغير وجهها ، ووضعها في غير سبيلها ^(٦) .

(١) حلية الأولياء (٢ / ١٦٤) وابن سعد (٥ / ١٣٧) وذكره الذهبي (٤ / ٢٣٨) السير

(٢) حلية الأولياء (٢ / ١٧٣) وطبقات ابن سعد (٥ / ١٣٧) .

(٣) حلية الأولياء (٢ / ١٦٦) وسير أعلام النبلاء (٤ / ٢٣٧) .

(٤) الطبقات (٥ / ١٣٤) .

(٥) حلية الأولياء (٢ / ١٧٠) .

(٦) السابق (٢ / ١٧٠) .

١١ - مرضه ووفاته رحمه الله

عن عبد الرحمن بن حرمة قال : دخلت على سعيد بن المسيب وهو شديد المرض ، وهو يصلى الظهر ، وهو مستلق يومئ إيماءً ، فسمعتة يقرأ بالشمس وضحاها ^(١) .

وعن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي قال : اشتد وجع سعيد بن المسيب ، فدخل عليه نافع بن جبير يعودوه فأغمى عليه ، فقال نافع : وجهوه ففعلوا فأفاق ، فقال : من أمركم أن تحولوا فراشي إلى القبلة أنافع ؟ قال : نعم . قال له سعيد : لئن لم أكن على القبلة والملة والله لا ينفعني توجيهكم فراشي ^(٢) .

وعن يحيى بن سعيد قال : لما احتضر سعيد بن المسيب ترك دنائير فقال : اللهم إنك تعلم أني لم أتركها إلا لأصون بها حسي وديني ^(٣) .

وعن عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة قال : مات سعيد بن المسيب بالمدينة سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وكان يقال لهذه السنة التي مات فيها سعيد سنة الفقهاء ، لكثرة من مات منهم فيها ^(٤) .

وقد توفى في هذه السنة من فقهاء المدينة السبعة أبو محمد عمرو بن الزبير ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وكذا زين العابدين علي بن الحسين الهاشمي من أكابر العلماء والزهاد ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أحد الأئمة الكبار فرحمة الله على الجميع .

وصلّى الله وسلّم وبأرك على محمد وآله وصحبه ...

(١) الطبقات (٥ / ١٤١) والسير (٤ / ٢٤٤) .

(٢) الطبقات (٥ / ١٤٢) والسير (٤ / ٢٤٤ ، ٢٤٥) .

(٣) الطبقات (٥ / ١٤٣) والسير (٤ / ٢٤٥) .

(٤) الطبقات (٥ / ١٤٣) .

من أعلام السلف

٣

عروة بن الزبير

بين يدي الترجمة :

مازلنا مع سلسلة « مع أعلام السلف » سلسلة التراجم التربوية وإمامنا في هذه الحلقة من السلسلة المباركة ، إمام من أئمة التابعين ، من فقهاء المدينة السبعة ، كان بحرأ من بحور العلم ، وإماماً في الصبر واليقين .

قال أبو نعيم في وصفه : ومنهم المُعْطَى ما تمنى ، حمل العلم عنه إذ فيه تعنى ، مكن من الطاعة فاكْتَسَب ، وامْتَحَن بالحنة فاحتسب ، عروة بن الزبير ابن العوام ، المجتهد الصَّوَّام ^(١) .

وقوله : « المُعْطَى ما تمنى » إشارة إلى ما رواه ابن أبي الزناد عن أبيه قال : اجتمع في الحجر مصعب ، وعبد الله ، وعروة بنوا الزبير ، وابن عمر . فقالوا : تمنوا ، قال عبد الله : أما أنا فأتمنى الخلافة ، وقال عروة : أتمنى أن يؤخذ عني العلم ، وقال مصعب : أما أنا فأتمنى إمرة العراق ، والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ، وأما ابن عمر فقال : أتمنى المغفرة ، فنالوا ما تمنوا ، ولعل ابن عمر قد غفر له ^(٢) .

وأئمة المسلمين هم أئمة في العلم والعمل والصبر واليقين ، فهذا عروة بن الزبير يحكم ما عند خالته عائشة رضى الله عنها قبل وفاتها بثلاث سنين ، ثم هو يسرد الصوم ، ويقوم الليل بربع القرآن كل ليلة ، ثم يصاب بقرحة في ساقه فتبت ساقه ، ويرفض أن يأخذ ما يذهب بعقله حتى لا يحرم من عبادة ربه عز وجل ، ثم هو ينظر إليها في الطست بعد أن قطعت فيقول : والله ما مشيت بها إلى معصية ، وفي هذه الأثناء ، يموت أحد أبنائه السبعة فيحمد الله أن أخذ أحد أبنائه وأبقى له ستة ، وأخذ أحد أعضائه وأبقى له ثلاثة ، والرجل يتلى على قدر دينه ، فرحم الله أئمتنا ، وغفر لنا ولهم ، وجمعنا وإياهم في فردوسه الأعلى ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين .

(١) حلية الأولياء (٢ / ١٨٩) .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١٧٦ / ٢) ، وذكره الذهبي في السير (٤ / ٤٣١) .

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي ، الأمدى ، أبو عبد الله المدنى الفقيه ، أحد الفقهاء السبعة .

مولده : قال خليفة : ولد عروة سنة ثلاث وعشرين .

وقال مصعب بن عبد الله : ولد لست سنين خلت من خلافة عثمان .
وقال مرة : ولد سنة تسع وعشرين ^(١) .

صفته : عن محمد بن هلال قال : رأيت عروة بن الزبير لا يحفى شاربه جداً ، يأخذ منه أخذاً حسناً ^(٢) .

وعن إسحاق بن يحيى قال : رأيت عروة يلبس رداءً معصفاً ^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٢٢)

(٢) طبقات ابن سعد (٥ / ١٧٩)

(٣) طبقات ابن سعد (٥ / ١٧٩)

٢ - ثناء العلماء عليه

- قال محمد بن سعد : كان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالماً مأموناً ثباً^(١) .
- وقال أحمد بن عبد الله العجلي : مدني تابعي ثقة ، وكان رجلاً صالحاً لم يدخل في شيء من الفتن^(٢) .
- وعن عمر بن عبد العزيز قال : ما أحد أعلم من عروة بن الزبير وما أعلمه يعلم شيئاً أجهله^(٣) .
- وعن الزهري قال : رأيت عروة بحرراً لا تكدره الدلاء^(٤) .
- وعن هشام قال : والله ما تعلمنا جزءاً من ألفي جزء من حديث أبي^(٥) .
- وعن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن قال : دخلت مع أبي المسجد ، فرأيت الناس قد اجتمعوا على رجل . فقال أبي : أنظر من هذا ، فنظرت فإذا هو عروة ، فأخبرته وتعجبت فقال : يا بني لا تعجب لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه^(٦) .
- وعن سفیان بن عيينة قال : كان أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة : القاسم ابن محمد ، وعروة بن الزبير ، وعمرة بنت عبد الرحمن^(٧) .
- وعن أبي الزناد قال : ما رأيت أحداً أروى للشعر من عروة^(٨) .
- وقال الذهبي : وكان ثباً حافظاً فقيهاً عالماً بالسيرة ، وهو أول من صنف المغازي^(٩) .
- وعن الزهري قال : كنت أتى عروة ، فأجلس بيابه ملياً ، ولو شئت أن أدخل دخلت ، فأرجع وما أدخل إعظاماً له^(١٠) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٢٥) .

(٧) تهذيب الكمال (٢٠ / ٨) .

(٨) تاريخ الإسلام (٦ / ٤٢٦) .

(٩) تاريخ الإسلام (٦ / ٢٤٦) .

(١٠) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٣٢) .

(١) طبقات ابن سعد (٥ / ١٧٩) .

(٢) تهذيب الكمال (٢٠ / ١٥ ، ١٦) .

(٣) تهذيب الكمال (٢٠ / ١٧) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٢٥) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٢٥) .

٢ - حرصه على طلب العلم

عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : العلم لواحد من ثلاثة : لذي حسب يزينه به ، أو لذي دين يسوس به دينه ، أو مختبئ سلطاناً يتحفه بعلمه ، ولا أعلم أحداً أشرط لهذه الخلال من عروة ، وعمر بن عبد العزيز^(١) .

وعن هشام عن أبيه قال : لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج وأنا أقول لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته ، ولقد كان يبلغني عن الرجل من المهاجرين الحديث ، فأتيه ، أجده قد قال ، فأجلس على بابه فأسأله عنه يعني إذا خرج^(٢) .

وعن قبيصة بن ذؤيب قال : كنا في خلافة معاوية وإلى آخرها نجتمع في حلقة بالمسجد بالليل ، أنا ومصعب وعروة ابنا الزبير وأبو بكر بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وكنا نتفرق بالنهار ، فكنت أنا أجالس زيد بن ثابت ، وهو مترئس بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض في عهد عمر وعثمان وعلى ، ثم كنت أنا وأبو بكر بن عبد الرحمن نجالس أبا هريرة ، وكان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٢٦) ، والمختبئ الذي يسالك بلا وسيلة ولا معرفة .
(٢) تاريخ الإسلام (٦ / ٤٢٦) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٢٤) .

٤ - عبادته رحمه الله

عن حماد بن زيد عن هشام بن عروة : أنا أباه كان يسرد الصوم ^(١)
وعن علي بن المبارك الهنائي قال : حدثنا هشام بن عروة أن أباه كان
يصوم الدهر كله : إلا يوم الفطر ويوم النحر ، ومات وهو صائم ^(٢)
وعن مالك بن أنس عن هشام بن عروة قال : كنا نسافر مع عروة فيصوم
ونفطر ، فلا يأمرنا بالصيام ، ولا يفطر هو ^(٣)
وعن ابن شاذب قال : كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف
نظراً ، ويقوم به الليل ، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله ، وكان وقع فيها الأكلة
فنتشرت ، وكان إذا كان أيام الرطب يثلم حائطه ، ثم يأذن للناس فيه ،
فيدخلون يأكلون ويحملون ^(٤)
وعن عبد الله بن محمد بن عبيد قال : لم يترك عروة بن الزبير ورده إلا
في الليلة التي قطعت فيها رجله . قال : وتمثل بأبيات معن بن أوس :

لَعُمْرِكَ مَا أَهْوَيْتَ كَفَيْ لِرَبِّيَّةٍ وَلَا حَمَلْتَنِي نَحْوَ فَاحِشَةِ رَجُلِي
وَلَا قَادَنِي سَمْعِي وَلَا بَصْرِي لَهَا وَلَا دَلَّنِي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِي
وَأَعْلَمَ أَنِّي لَمْ تَصِيبْنِي مُصِيبَةٌ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا قَدْ أَصَابَتْ فَتَى قَبْلِي ^(٥)

(١) طبقات ابن سعد (١٨٠ / ٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٨٠ / ٥) .

(٣) طبقات ابن سعد (١٨٠ / ٥) ، (١٨١ / ٥) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٢٦) .

(٥) حلية الأولياء (٢ / ١٧٨) .

٥ - هرازة من مخالطة الناس وبناء قصره

عن هشام بن عروة قال : لما اتخذ عروة قصره بالعقيق قال له الناس : جفوت مسجد رسول الله ﷺ فقال : إني رأيت مساجدهم لاهية ، وأسواقهم لاهية والفاحشة في فجاجهم عالية فكان فيما هنالك عما هم فيه عافية ^(١) ولعروة في قصره بالعقيق :

بَحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ الْعَقِيقِ	بَنِيانَهُ فَأَحْسَنًا بِنَاهُ
يَلُوحُ لَهُمْ عَلَيَّ وَضَحُ الطَّرِيقِ	تَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ شِزْرًا
لَأَعْبُدَ أَيْ وَسُرُّهُ صَدِيقِي	فَسَاءَ الْكَاشِحِينَ وَكَانَ غَيْظًا
وَمُعْتَمِدٍ إِلَى الْبَيْتِ الْعَقِيقِ	يَرَاهُ كُلُّ مُخْتَلِفٍ وَسَارِ

وقيل لما فرغ من بنائه وبشاره دعا جماعة فطعم الناس ، وجعلوا يبركون وينصرفون ^(٢)

وعن عبد الله بن حسن قال : كان علي بن حسين بن علي بن أبي طالب يجلس كل ليلة هو وعروة بن الزبير في مؤخر مسجد رسول الله ﷺ بعد العشاء الآخرة ، فكنت أجلس معهما ، فتحدثنا ليلة ، فذكر جور من جار من بني أمية والمقام معهم وهم لا يستطيعون تغيير ذلك ، ثم ذكروا ما يخافان من عقوبة الله لهم . فقال عروة لعلي : يا علي إن من اعتزل أهل الجنور والله يعلم منه سخطه لأعمالهم ، فإن كان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله ، رجي له أن يسلم مما أصابهم . قال : فخرج عروة فسكن العقيق ^(٣)

(١) حلية الأولياء (٢ / ١٨٠)

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٢٨) ، وقوله وبشاره أي حفر آباره . قال الذهبي : وبشر عروة مشهور بالعقيق طيب الماء .

(٣) طبقات ابن سعد (٥ / ١٨١)

٦ - قصة قدومه على عبد الملك بعد مقتل أخيه

قال ابن عيينة : لما قتل ابن الزبير خرج عروة إلى المدينة بالأموال فاستودعها ، وسار إلى عبد الملك فقدم عليه قبل البريد بالخبر ، فلما انتهى إلى الباب قال للبواب : قل لأمر المؤمنين : أبو عبد الله بالبواب فقال : من أبو عبد الله ؟ قال : قل له كذا ، فدخل فقال : ها هنا رجل عليه أثر السفر . قال : كيت وكيت ، فقال : ذاك عروة فائذن له ، فلما رآه زال له عن موضعه وجعل يسأله : كيف أبو بكر يعني عبد الله بن الزبير . فقال : قتل رحمه الله ، فنزل عبد الملك عن السرير ، فسجد ، فكتب إليه الحجاج إن عروة قد خرج والأموال عنده . قال : فقال له عبد الملك في ذلك ، فقال : ما تدعون الرجل حتى يأخذ سيفه فيموت كريماً ، فلما رأى ذلك كتب إلى الحجاج أن أعرض عن ذلك ^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٣٢ ، ٤٣٣) .

٧ - قصة زواجه من سودة ابنة عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

عن أبي الأسود عن عروة قال : خطبت إلى ابن عمر بنته سودة ونحن في الطواف فلم يجيئني بشئ ، فلما دخلت المدينة بعده مضيت إليه فقال : أكنت ذكرت سودة ؟ قلت : نعم قال : إنك ذكرتها ونحن في الطواف تتخايل الله بين أعيننا ، أفلك فيها حاجة ؟ قلت : أحرص ما كنت . قال : يا غلام ، ادع عبد الله بن عبد الله ، ونافعا مولى عبد الله ، قال : قلت له : وبعض آل الزبير ؟ قال : لا . قلت : فمولى خبيب ؟ قال : ذاك أبعد . ثم قال لهما : هذا عروة بن أبي عبد الله ، وقد علمتما حاله ، وقد خطب إلى سودة ، وقد زوجته إياها بما جعل الله للمسلمات على المسلمين من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وعلى أن يستحلها بما يستحل به مثلها ، أقبلت يا عروة ؟ قلت : نعم . قال : بارك الله لك ^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٣٢) .

٨ - صبره رحمه الله

عن هشام بن عروة عن أبيه : وقعت الأكلة في رجله فقبل له ألا ندعوا لك طبيباً ؟ قال : إن شئتم . فجاء الطبيب فقال : أسقيك شراباً يزول فيه عقلك فقال : امض لشأنك ما ظننت أن خلقي يشرب شراباً يزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه . قال : فوضع المنشار على ركبته اليسرى ، ونحن حوله فما سمعنا له حساً ، فلما قطعها جعل يقول : لكن أخذت لقد أبقيت ، ولئن ابتليت لقد عافيت ، وماترك حزبه من القراءة تلك الليلة ^(١) .

وقال عامر بن صالح عن هشام بن عروة : إن أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك ، حتى إذا كان بوادي القرى وجد في رجله شيئاً فظهرت به قرحة ، ثم ترقى به الوجع ، فلما قدم على الوليد قال : يا أبا عبد الله اقطعها . قال : دونك فدعا له الطبيب وقال له : اشرب المرقد فلم يفعل ، فقطعها من نصف الساق ، فما زاد على أن قال : حس حس . فقال الوليد : ما رأيت شيئاً قط أصبر من هذا .

وأصيب عروة في هذا السفر بابنه محمد ، ركضته بلغة في اصطبل ، فلم نسمع منه كلمة في ذلك ، فلما كان بوادي القرى قال : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ (٦٢) (الكهف : ٦٢) . اللهم كان لي بنون سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت لي ستة ، وكان لي أطراف أربعة فأخذت طرفاً وأبقيت ثلاثة ، فإذا ابتليت لقد عافيت ، ولئن أخذت لقد أبقيت ^(٢) .

وعن عبد الله بن عروة : أنا أباه نظر إلى رجله في الطست فقال : الله يعلم أني ما مشيت بها إلى معصية قط وأنا أعلم ^(٣) .

(١) تهذيب الكمال (٢٠ / ٢٠ ، ٢١) .

(٢) تاريخ الإسلام (٦ / ٤٢٧) .

(٣) تاريخ الإسلام (٦ / ٤٢٧ ، ٤٢٨) .

وعن عبد الملك بن عبد العزيز وغيره أن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة ابن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك ، وقد قطعت رجله ، فقال لبعض بنيهِ : أكشف لعمرك عن رجلى ينظر إليها فنظر . فقال عيسى بن طلحة : يا أبا عبد الله ما أعددتك للصراع ولا للسباق ، ولقد بقى الله لنا ما كنا نحتاج إليه منك رأيك وعلمك . فقال عروة : ما عزاني أحد عن رجلى مثلك ^(١) .

وقال ابن خلكان : كان أحسن من عزاء إبراهيم بن محمد بن طلحة ، فقال : والله ما بك حاجة إلى المشى ، ولا أرب فى السعي ، وقد تقدمك عضو من أعضائك ، وابن من أبنائك إلى الجنة ، والكل تبع للبعض إن شاء الله ، وقد أبقي الله لنا منك ما كنا إليه فقراء من علمك ورأيك ، والله ولى ثوابك والضمين بحسابك ^(٢) .

(١) تهذيب الكمال (٢٠ / ٢١) .

(٢) وقايا الأعيان (٣ / ٢٥٦) .

٩ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

قال الحافظ : روى عن أبيه وأخيه عبد الله ، وأمه أسماء بنت أبي بكر ، وعلى بن أبي طالب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وحكيم بن حزام ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأسامة بن زيد ، وأبي أيوب ، وأبي هريرة ، وحجاج الأسلمي ، وسفيان بن عبد الله الثقفي ، وعمرو بن العاص ، ومحمد بن مسلمة ، والمسور بن مخرمة ، والمغيرة بن شعبة وتاجية الأسلمي ، وأبي حميد الساعدي ، وهشام بن حكيم بن حزام ، ويثار بن مكرم ، وبسرة بنت صفوان ، وزينت بنت أبي سلمة ، وعمر بن أبي سلمة ، وأمهما أم سلمة زوج النبي ﷺ ، وأم هانئ بنت أبي طالب ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وجابر ابن عبد الله الأنصاري ، والنعمان بن بشير ، وأبي حميد الساعدي ، وعبيد الله بن عدي بن الخيار ، ومروان بن الحكم ، وبشير بن أبي مسعود الأنصاري ، وحرمان مولى عثمان ، وعبد الله بن زمعة بن الأسود ، وعبد الرحمن بن عبد القاري ، ونافع بن جبير بن مطعم ، وأبي مرواح الغفاري ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، وهو من أقرانه ، وخلق كثير ^(١) .

تلامذته : قال الحافظ : وعنه أولاده عبد الله ، وعثمان ، وهشام ، ومحمد ، ويحيى ، وابن ابنه عمر بن عبد الله بن عروة ، وابن أخيه محمد بن جعفر بن الزبير ، وأبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل يقيم عروة ، وحبيب مولاة ، وزميل مولاة ، وسليمان بن يسار ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وأبو بردة بن أبي موسى ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وهم من أقرانه وتميم بن سلمة السلمى ، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ،

وسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وصالح بن كيسان ،
والزهري ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وأبو الزناد ،
وابن أبي مليكة ، وعبد الله بن دينار بن مكرم الأسلمي ، وعبد الله البهي ،
وعراك بن مالك ، وعطاء بن أبي رباح ، وعمر بن عبد العزيز ، وعمرو بن
دينار ، ومحمد بن إبراهيم التيمي ، ويزيد بن عبد الله بن خصيفة ، وأبو بكر
ابن حفص ابن عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وجعفر بن محمد بن محمد بن
علي بن الحسين بن علي ، وصفوان بن سليم ويحيى بن أبي كثير ، وقيل : لم
يسمع منه ، وآخرون ^(١) .

١٠ - درر من أقواله رحمه الله

عن هشام بن عروة قال : قال عروة لبنيه : يا بني لا يهدين أحدكم إلى ربه عز وجل ما يستحى أن يهديه إلى كريمه ، إن الله عز وجل أكرم الكرماء ، وأحق من اختيار إليه .

وكان يقول : يا بني تعلموا فإنكم إن كنوا صغراء قوم عسى أن تكونوا كبراءهم ، واسوأته ، ماذا أقبح من شيخ جاهل .

وكان يقول : إذا رأيتم خلة شرّ رائعة من رجل فحذروه ، وإن كان عند الناس رجل صدق ، فإن لها عنده أخوات ، وإذا رأيتم خلة خير رائعة من رجل فلا تقطعوا عن إياكم ، وإن كان عند الناس رجل سوء ، فإن لها عنده أخوات ، وقال : الناس بأزمنتهم أشبه منهم بأبائهم وأمهاتهم^(١)

وعن هشام عن أبيه قال : مكتوب في الحكمة : لتكن كلمتك طيبة ، وليكن وجهك بسطاً ، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء^(٢)

وعن معاوية بن إسحاق عن عروة قال : ما بر والسه من شدّ الطرف إليه^(٣)

وقال هشام : قال أبي : ربّ كلمة ذلّ احتملتها أورثتني عزاً طويلاً^(٤)

وقال : ما حدثت أحداً بشيء من العلم قط لا يبلغه عقله إلا كان ضلالة عليه^(٥)

(١) حلية الأولياء (٢ / ١٧٧) .

(٢) حلية الأولياء (٢ / ١٧٨) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٣٣) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٣٦) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٣٧) .

١١ - وفاته رحمه الله

قال الزبير : توفي عروة وهو ابن سبع وستين سنة ، وقال ابن المديني : مات عروة سنة ثلاث وتسعين ، وقال الهيثم والواقدي ، وأبو عبيدة ، ويحيى بن معين والفلاس : سنة أربع وتسعين ^(١) .

وقال معاوية بن صالح عن يحيى بن معين في تسمية تابعي أهل المدينة ومحدثيهم : أبو بكر بن بعد الرحمن مات سنة أربع وتسعين ، وعروة بن الزبير ، وسعيد ، وعلي بن الحسين ، وكان يقال سنة الفقهاء ^(٢) .

وعن عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة قال : مات عروة بن الزبير في أمواله بمجاح من ناحية القرع ، ودفن هناك يوم الجمعة سنة أربع وتسعين ^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٣٤) .

(٢) تهذيب الكمال (٢٠ / ٢٤) .

(٣) طبقات ابن سعد (٥ / ١٨٢) .

من أعلام السلف



سعيد بن جبير

بين يدي الترجمة :

فمع السلسلة المباركة « من أعلام السلف » والفارس في هذه الجولة إمام من أئمة المسلمين ، اشتهر بالعبادة والبكاء ، وكان كاسمه بالطاعة سعيداً ونرجوا أن يكون عند الله شهيداً .

ولكى من أولياء الله الصالحين ، مستجاب الدعوة ، عن أصبغ بن زيد قال : كان لسعيد بن جبير ديك كان يقوم من الليل بصياحه ، فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح ، فلم يصل سعيد تلك الليلة ، فشق عليه ، فقال : ماله قطع الله صوته ؟ فما سمع له صوت بعد . فقالت له أمه : لا تدع على شيء بعدها ^(١) .

هذا السعيد عذبه الحجاج حتى قتله ، وكان يمكن أن يدعو علي الحجاج فلم يفعل ، والذي دعا به أن يكون آخر من يقتله الحجاج ، وقلع الله الحجاج ، وأراح البلاد والعباد من نشره ، وكان ذلك بعد مقتل سعيد بمدة يسيرة ، كان ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن إذا سأله أحد من أهل الكوفة يحيل عليه ويقول : أليس فيكم ابن أم الدهماء .

إنه السعيد الذي بكى بالليل حتى عمش .

تابع ابن الأشعث عندما خرج على الحجاج ، ودعا الناس إلى قتال الحجاج لجوره ، وتجبره ، وإماته الصلاة ، واستذلال المسلمين ، فلما انهزم ابن الأشعث فر سعيد بن جبير إلى مكة ، وظل مختفياً اثنتى عشرة سنة ، ثم ظفر به الحجاج في السنة التي هلك فيها ، لما أَرَادَهُ اللهُ عز وجل للحجاج الشقى لعنة الله على الظالمين من سوء الخاتمة ، وكذا لسوق السعادة والشهادة بن جبير ، فقتله أشنع قتلة وهو صابر محتسب ، راغب في فضل الله عز وجل والجنة ، فنسأل الله عز وجل أن يرفعه فوق كثير من خلقه لصبره وعبادته ، وبذله وشهادته ، ونسأله عز وجل أن يرزقنا شهادة في سبيلة ، مقبلين غير مدبرين ، وصلى الله وبارك على المبعوث رحمة الله للعالمين ، وآل بيته الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين ، والحمد لله رب العالمين .

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم أبو محمد ويقال : أبو عبد الله .

الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد أحد الأعلام .

مولده : لم يصرح أحد من المترجمين بميعاد مولده ، وصرحوا بأن مقتله في شعبان سنة خمس وتسعين ، وقد قال لابنه ما بقاء أبيك بعد سبعة وخمسين ، وعلى ذلك يكون ميلاده سنة ثمانية وثلاثين من الهجرة ، وقد صرح الذهبي ، بأن ميلاده في خلافة أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وقال بعضهم : له تسع وأربعون ، فيكون ميلاده سنة ست وأربعين .

صفته : قال الذهبي : روى أنه كان أسود اللون .

عن عبد الله بن تمير عن فطر قال : رأيت سعيد بن جبير أبيض الرأس واللحية ^(١) .

عن أيوب قال : سئل سعيد بن جبير عن الخضاب بالوسمة فكرهه وقال : يكسو الله العبد النور في وجهه ثم يطفئه بالسواد ^(٢) .

وعن إسماعيل بن عبد الملك قال : رأيت على سعيد بن جبير عمامة بيضاء ^(٣) .

وعن القاسم الأعرج قال : كان سعيد بن جبير يكي بالليل حتى عمش ^(٤) .

(١) تاريخ الإسلام (٦ / ٣٦٧) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٦٧) .

(٣) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٦٧) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٢٣) .

٢ - ثناء العلماء عليه

عن جعفر بن أبي المغيرة : كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول : أليس فيكم ابن أم الدهماء ؟ يعني سعيد بن جبير ^(١) .

وعن عمرو بن ميمون عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه ^(٢) .

وعن أشعق بن اسحاق قال : كان يقال : سعيد بن جبير جهيد العلماء ^(٣) .

وعن أسلم المتقري : عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن فريضة فقال : أئت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني ، وهو يفرض منها ما أفرض ^(٤) .

قال أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري : هو ثقة إمام حجة على المسلمين ^(٥) .

وقال إبراهيم النخعي : ما خلف سعيد بن جبير بعده مثله ^(٦) .

وعن خصيف قال : كان أعلمهم بالقرآن مجاهد ، وأعلمهم بالحج عطاء ، وأعلمهم بالحلال والحرام طاووس ، وأعلمهم بالطلاق سعيد بن المسيب ، وأجمعهم لهذه العلوم سعيد بن جبير ^(٧) .

وعن علي بن المديني قال : ليس في أصحاب ابن عباس مثل سعيد بن جبير ، قيل : ولا طاووس ؟ قال : ولا طاووس ولا أحد ^(٨) .

(٥) نهذب الكمال (١٠ / ٣٧٦) .

(٦) تاريخ الإسلام (٦ / ٣٦٧) .

(٧) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٤١) .

(٨) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٤١) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٢٥) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٢٥) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٣٣) .

(٤) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٥٨) .

٢ - عبادته رحمه الله

عن هلال بن خباب قال : خرجنا مع سعيد بن جبير في جنازة ، فكان يحدثنا في الطريق ويذكرنا ، حتى بلغ ، فلم جلس لم يزل يحدثنا حتى قمنا فرجعنا ، وكان كثير الذكر لله ^(١) .

وعن هلال بن خباب قال : خرجت مع سعيد بن جبير في أيام مضين من رجب فأحرم من الكوفة بعمره ، ثم رجع من عمرته ، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة ، وكان يخرج كل سنة مرتين مرة للحج ، ومرة للعمرة ^(٢) .

وعن نصيف قال : رأيت سعيد بن جبير صلى ركعتين خلف المقام قبل صلاة الصبح . قال : فأتيته فضليت إلى جنبه ، وسألته عن آية من كتاب الله فلم يجبنى ، فلم صلى الصبح قال : إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكر الله حتى تصلي الصبح ^(٣) .

وعن أبي جرير : أن سعيد بن جبير قال : لا تطفثوا سرجكم ليالي العشر ، تعجبه العبادة ، ويقول : أيقظوا خدمكم يتسحرون لصوم يوم عرفة ^(٤) .

وعن عبد الله بن مسلم بن هومز : عن سعيد بن جبير أنه كان ينكر أن يتكفأ الرجل في صلاته ، قال : وما رأيته قط يصلي إلا وكأنه وتد ^(٥) .

وعن هشام بن حسان قال : قال سعيد بن جبير : إني لا أزيد في صلاتي من أجل ابن هذا . قال هشام : رجاء أن يحفظ فيه ^(٦) .

وعن عمر بن ذر : كتب سعيد بن جبير إلى أبي كتاباً أوصاه بتقوى الله

(٤) حلية الأولياء (٤ / ٢٨١) .

(٥) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٦٦) .

(٦) تهذيب الكمال (١٠ / ٣٦٦) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٢٧) .

(٢) حلية الأولياء (٤ / ٢٧٥) .

(٣) حلية الأولياء (٤ / ٢٨١) .

وقال : إن بقاء المسلم كُلِّ يوم غنيمة ، فذكر الفرائض والصلوات وما يرزقه الله من رزقه ^(١) .

وعن القاسم بن أيوب : سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٨١] ^(٢) .

وعن أبي شهاب قال : كان سعيد بن جبير يصلي العتمة في رمضان ثم يرجع فيمكث هنيهة ثم يرجع فيصلّي بنا ست ترويعات ، ويوتر بثلاث ، ويقنت بقدر خمسين آية ^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٢٦) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٢٤) .

(٣) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٦٠) .

٤ : توكله وخشيته رحمه الله

عن ضرار بن مرة الشيباني : عن سعيد بن جبير قال : التواكل على الله
جماع الإيمان ^(١) .

وعن أبي سنان عن سعيد بن جبير أنه كان يدعو : اللهم إني أسألك صدق
التواكل عليك وحسن الظن بك ^(٢) .

عن موسى بن رافع قال : دخلت على سعيد بن جبير بمكة ، وقد أخذه
صداع شديد ، فقال له رجل ممن عنده : هل لك أن تأتيك برجل يريقك من
هذه الشقيقة ؟ قال : لا حاجة لي في الرقي ^(٣) .

وعن أبي سنان : عن سعيد بن جبير قال : لدغتنى عقرب فأقسمت على
أمي أن أسترقى ، فأعطيت الراقي يدي التي لم تلدغ وكهرت أن أحشها ^(٤) .

وعن القاسم الأعرج قال : كان سعيد بن جبير يبكى بالليل حتى
عمش ^(٥) .

وروى عن سعيد بن جبير : لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد
على قلبي ^(٦) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٣٣)

(٥) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٣٣)

(٦) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٣٤)

(١) نهذب الكمال (١٠ / ٣٦٤)

(٢) نهذب الكمال (١٠ / ٣٦٥)

(٣) حلية الأولياء (٤ / ٢٨٠)

٥ - محنته رحمه الله

قال الذهبي : خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، ثم إنه اختفى وتنقل في النواحي اثنتي عشرة سنة ، ثم وقعوا به فأحضره إلى الحجاج ، فقال : يا شقي بن كسير - يعني ما أنت سعيد بن جبير - أما قدمت الكوفة وليس يوم بها إلا عري فجعلتك إماماً ؟ قال : بلى . قال : أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا : لا يصلح للقضاء إلا عري فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى الأشعري وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك ؟ قال : بلى . قال : أما جعلتك في سمارى وكلهم رؤوس العرب ؟ قال : بلى . قال : أما أعطيتك مائة ألف تفرقها على أهل الحاجة . قال : بلى . قال : فما أخرجك على ؟ قال : بيعة كانت في عنقي لابن الأشعث . فغضب الحجاج وقال : أما كانت بيعة أمير المؤمنين في عنقك من قبل ! يا حرسى اضرب عنقه فضرب عنقه رحمه الله (١)

وعن أبي حصين قال : رأيت سعيداً بمكة . فقلت : إن هذا قادم - يعني خالد بن عبد الله - ولست آمنة عليك قال : والله لقد فررت حتى استحييت من الله (٢)

قال الذهبي : طال اختفاؤه فإن قيام القراء على الحجاج كان في سنة اثنين وثمانين ، وما ظفروا بسعيد إلا سنة خمس وتسعين ، السنة التي قلع الله فيها الحجاج (٣)

وعن أبي اليقظان قال : كان سعيد بن جبير يقول يوم دير الجماجم وهم يقاتلون : قاتلوهم على جورهم في الحكم ، وخروجهم من الدين وتجبرهم على

(١) تاريخ الإسلام (٦ / ٣٦٨) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٢٣٥) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٣٥) .

عباد الله ، وإمامتهم الصلاة ، واستذلالهم المسلمين ، فلما انهزم أهل دين الجماجم ، لحق سعيد بن جبير بمكة فأخذه خالد بن عبد الله فحمله إلى الحجاج مع إسماعيل بن أوسط البجلي (١) .

قال محمد بن سعد : كان الذي قبض على سعيد بن جبير والى مكة خالد ابن عبد الله القسري ، فبعث به إلى الحجاج ، فأخبرنا يزيد عن عبد الملك ابن أبي سليمان قال : سمع خالد بن عبد الله صوت القيود . فقال : ما هذا قيل : سعيد بن جبير وطلق بن جبيب وأصحابهما يطوفون بالبيت ، فقال : اقطعوا عليهم الطواف (٢) .

وعن أبي صالح قال : دخلت على سعيد بن جبير حين جئ به إلى الحجاج ، فبكى رجل ، فقال سعيد : ما يبكيك ؟ فلا : لما أصابك . قال : فلا تبك ، كان في علم الله أن يكون هذا : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَهِيَ أَنْفُسُكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ (٣) . (الحديد : ٢٢) .

وعن سالم بن أبي حفصة قال : لما أتى سعيد بن جبير الحجاج قال : أنت شقي بن كسير : قال : أنا سعيد بن جبير . قال : لأقتلنك . قال : أنا إذا كما سمتني أمي ، قال دعوني أصلي ركعتين قال : وجهوه إلى قبلة النصارى قال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ (البقرة : ١١٥) قال : إني أستغيذ منك بما عاذب به مريم . قال : ما عاذت به مريم ؟ قال : قالت : ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ (مريم : ٨) .

قال سليمان التيمي : كان الشعبي يرى التقية ، وكان ابن جبير لا يرى التقية ، وكان الحجاج إذا أتى بالرجل - يعني من قام عليه - قال له : أكفرت

(١) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٦٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٦٤) والسير (٤ / ٣٣٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٣٧) .

بـخروجك على؟ فإن قال : نعم ، خلى سبيله ، فقال لسعيد : أكفرت ، قال : لا . قال : اختر أى قتلة أقتلك قال : اختر أنت فإن القصاص أمامك ^(١) .

وعن داود بن أبى هند قال : لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال : ما أرانى إلا مقتولاً ، وسأخبركم إنى كنت أنا وصاحبان لى دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء ، ثم سألناه الله الشهادة ، فكلنا صاحبي رزقها ، وأنا أنتظرها . قال : فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء .

قال الذهبي : ولما علم من فضل الشهادة ثبت للقتل ولم يكثرث ، وإلا عامل عدوه بالتقية المباحة له رحمه الله تعالى ^(٢) .

قال الذهبي : ويروى أن الحجاج روى فى النوم ، ف قيل ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلنى بكل قتيل قتلة ، وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة .

روى أنه لما حضر كان يغوص ثم يفيق ويقول : مالى ومالك ياسعيد بن جبير ^(٣) .

وقال ابن عيينة : لم يقتل بعد سعيد إلا رجلاً واحداً ^(٤) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٣٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٤٠) .

(٣) تاريخ الإسلام (٦ / ٣٦٩) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٢٨) .

٦ - علمه رحمه الله بالتفسير

سعيد بن جبير هو أكبر تلامذة ابن عباس رضى الله عنهما خبر الأمة وترجمان القرآن ، وقد أخذ عنه علماً كثيراً ، وقد كان أهل الكوفة يسألونه فيقول : أليس فيكم ابن أم الدهماء ، أى سعيد بن جبير ، وهذه بعض آثاره فى التفسير رحمه الله .

عن الربيع بن أبى راشد عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى : ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة ﴾ قال : إذا عمل فى أرضٍ بالمعاصي فخرجوا ^(١) .

وعن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قوله عز وجل : ﴿ اذكروني أذكركم ﴾ قال : اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي ^(٢) .

وعن عطاء عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى : ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ قال : ما ستوا ^(٣) .

وعن أبى سنان ضرار بن مرة عن سعيد فى قوله تعالى : ﴿ وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ قال : الصلاة فى الجماعة ^(٤) .

وعن سالم عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى : ﴿ أولي الأيدي والأبصار ﴾ قال : الأيدي : القوة فى العلم ، والبصر فيما هم فيه من أمر دينهم ^(٥) .

وعن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير ﴿ يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾ قال : يقول : سوف أتوب ^(٦) .

وعن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير فى قوله عز وجل ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ قال : لا ترضوا أعمالهم ^(٧) .

(٥) حلية الأولياء (٤ / ٢٨٤) .

(٦) الزهد للإمام أحمد (٣٧٠) .

(٧) الزهد للإمام أحمد (٣٧١) .

(١) حلية الأولياء (٤ / ٢٨٤) .

(٢) حلية الأولياء (٤ / ٢٨٤) .

(٣) حلية الأولياء (٤ / ٢٨٤) .

(٤) حلية الأولياء (٤ / ٢٨٦) .

٧ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه : قال المزي : روى عن أنس بن مالك ، والضحاك بن قيس الفهرى ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مغفل ، وعدى بن حاتم ، عمرو بن ميمون الأودي ، وأبى سعيد الأنصارى ، وأبى موسى الأشعرى ، وأبى هريرة ، وعائشة ^(١) .

تلامذته : قال الحافظ : وعنه أبناء عبد الملك ، وعبد الله ، ويعلى بن حكيم ، ويعلى ابن مسلم ، وأبو إسحاق السبيعي ، وأبو الزبير المكي ، وآدم بن سليمان ، وأشعث بن أبى الشعثاء ، وأيوب ، وبكير بن شهاب ، وثابت بن عجلان ، وحبيب بن أبى ثابت ، وجعفر بن أبى وحشية ، وجعفر بن أبى المغيرة ، والحكم بن عتيبة ، وحصين بن عبد الرحمن ، وسماك بن حرب ، والأعمش ، وابن خثيم ، وذو بن عبد الله المربعي ، وسالم الأقطس ، وسلعة بن كهيل ، وطلحة بن مصرف ، وعبد الله بن سليمان ، وعطاء بن السائب ، وعمرو بن أبى عمرو مولى المطلب ، وعمرو بن مرة ، والقاسم بن أبى بزة ، ومحمد بن سوقة ، ومنصور بن المعتمر ، والمنهال بن عمرو ، والمغيرة بن النعمان ، ووبرة بن عبد الرحمن ، وخلق ^(٢) .

(١) تهذيب الكمال (١٠ / ٣٥٨ ، ٣٥٩) .

(٢) تهذيب التهذيب (٤ / ١١) .

٨ - درر من أقواله رحمه الله

عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال : إن الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيتك ، فتلك الخشية ، والذكر طاعة الله ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يعطه فليس بذاكر ، وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن (١)

وعن حبيب بن أبي ثابت قال : قال لى سعيد بن جبير ، لأن أنشر علمي أحب إلي من أن أذهب به إلى قبري (٢)

وعن هلال بن خباب قال : قلت لسعيد بن جبير : ما علامة هلاك الناس ؟ قال : إذا ذهب علمائهم (٣)

وعن عمر بن حبيب قال : كان سعيد بن جبير بأصبهان لا يحدث ثم رجع إلى الكوفة فجعل يحدث ، فقلنا له في ذلك فقال : انشر برك حيث تعرف (٤)

وعن عبد الملك بن سعيد بن جبير قال : قال أبي : أظهر اليأس مما في أيدي الناس ، فإنه عناء ، وإياك وما يعتذر منه ، فإنه لا يعتذر من خير (٥)

وعن عبد الكريم : عن سعيد بن جبير قال : لأن أضرب على رأسي أسواطاً أحب إلي من أن أتلكم والإمام يخطب يوم الجمعة (٦)

وعن أيوب قال : حدث سعيد بن جبير بحديث قال : فتبعته أستزيده فقال : ليس كل حين أحلب فأشرب (٧)

وعن جعفر عن سعيد قال : من عطس عنده أخوه المسلم فلم يشمته كان ديناً يأخذه به يوم القيامة (٨)

(٥) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٦١ ، ٢٦٢)

(٦) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٦٠)

(٧) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٥٩)

(٨) حلية الأولياء (٤ / ٢٨٩)

(١) حلية الأولياء (٤ / ٢٧٦)

(٢) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٦٢)

(٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٢٦)

(٤) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٢٤)

٩ - وفاته رحمه الله

قال الذهبي : وكان قتله في شعبان سنة خمس وتسعين ، ومن زعم أنه عاش تسعاً وأربعين سنة لم يصنع شيئاً ، وقد مر قوله لابنه : ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين ^(١) .

(١) مير أعلام النبلاء (٤ / ٣٤١ ، ٣٤٢) .

من أعلام السلف

٥

الخليفة الزاهد
عمر بن عبد العزيز

وبين يدي الترجمة :

فهذه الترجمة الخامسة من هذه السلسلة المباركة « من أعلام السلف » وهي في ترجمة الخليفة الزاهد ، والإمام العابد عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، ولو أنصفناه لكان هو المستفتح به هذه السلسلة لتقدمه في المجد على من سلف ، ولزيد الفضل والشرف ، إنه المجدد الأول لشباب الإسلام على رأس المائة الأولى ، ومن أعطر الناس سيرة وأطيبهم سريرة ، أقبلت عليه الدنيا بخيلها ورجلها فأعرض عنها ، رغبة في النعيم المقيم ، والملك العظيم في جوار رب العالمين ، ملأ الأرض عدلاً بعد أن ملأت ظلماً وجوراً ، وغير وجه الأرض في سنتين وخمسة أشهر قضى بعدها نجه ولقى ربه .

قال أبو نعيم في ترجمته : كان واحد أمته في الفضل ، ونجيب عشيرته في العدل ، جمع زهداً وعفافاً ، وورعاً وكفافاً ، شغله آجل العيش من عاجله ، وألهاه إقامة العدل عن عاذله ، كان للرعية أمناً وأماناً ، وعلى من خالفه حجة وبرهاناً ، كان مفوهاً عليمًا ومفهمًا حكيمًا ^(١) .

ونحن إذ نتشرف بنشر فضائله ، ونظم مآثره ، نرجوا من الله الجليل الخير الجزيل .

قال أحمد بن حنبل رحمه الله : إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز ويذكر محاسنه وينشرها ، فاعلم أن من وراء ذلك خيراً إن شاء الله ^(٢) . ومن يقرأ سيرة هذا الإمام ولا يمتلأ قلبه بحبه ، وقد جمع الفضائل وتنزهت نفسه عن القصور والرزائل ، ظهرت عليه علامات النجاة منذ الصغر فختم القرآن ولم يشتغل بما يشتغل به الأمراء من الترف والثراء ، ولكنه طلب الشرف الحقيقي والعز الدائم ، فرحل إلى مدينة رسول الله ﷺ وجالس فقهاء المدينة وأخذ من علمهم وهديهم وسمتهم ، وما تطلع يوماً للخلافة ولم يكن في نسل من

(١) حلية الأولياء (٥ / ٢٥٤) .

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي حققه نعيم زرزور (٧٥) طبعة دار الكتب العلمية .

تصيبه فقد كان من ولد عبد العزيز بن مروان ، وكان الخلافة في نسل عبد الملك بن مروان ، ولكن القدر الأعلى اختاره لها ، وعلى حداثة سنه وقصر مدته حيث كانت شبيهة بخلافة الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه ، رد المظالم ، واستعمل أهل الخير والصلاح ، وعزل أهل الجور الفساد ، حتى صار استعماله للرجل تعديلاً له عند أئمة الجرح والتعديل . يقولون : استعمله عمر بن عبد العزيز ، فأعز الله به الملة ، ورفع منار السنة ، وأخمد نار البدعة ، فصار أهل البدع مقهورين أذلاء ، لا يجروون على الجهر ببدعتهم ، وأمر بكتابة الحديث وجمعه ، فكثر الخير ، وعمّ الصلاح ، وانتظمت أمور العباد .

عن عوانة بن الحكم قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد الشعراء إليه فأقموا بيابه أياماً لا يؤذن لهم ، فبينما هم كذلك يوماً وقد أزمعوا على الرحيل إذ مرّ بهم رجاء بن حيوة - وكان من خطباء أهل الشام - فلما رآه جرير داخلاً على عمر بن عبد العزيز أنشد يقول :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرْخِي عَمَامَتَهُ هَذَا زَمَانُكَ فَاسْتَأْذِنَ لَنَا عُمْرَا

قال : فدخل ولم يذكر من أمرهم شيئاً ثم مرّ بهم عدى بن أرطاه فقال

جرير :

يَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمَرْجِي مَطِيَّتَهُ هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمْنِي
أَبْلَغُ خَلِيفَتَا إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ إِنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرْنِ
لَا تَسْ حَاجَتُنَا لَقَيْتَ مَغْفِرَةً قَدْ طَالَ مَكْثِي عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي

قال : فدخل عدى على عمر . فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الشُّعْرَاءُ بِيَابِكَ ، وسهامهم مسمومة ، وأقوالهم نافذة . قال : ويحك يا عدى !! مالي وللشُّعْرَاءِ ؟ قال : أعز الله أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ امتدح فأعطى ، ولك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، قال : كيف ؟ قال امتدحه العباس بن مرداس السلمى فأعطاه حلة قطع بها لسانه ^(١) .

فأذن رحمه الله لجبرير في الدخول عليه فدخل وهو يقول :

إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا جَعَلَ الْخَلَائِفَةَ لِلْإِمَامِ الْعَادِلِ
 وَسِعَ الْخَلَائِفَةُ عَدْلُهُ وَوَقَارُهُ حَتَّى ارْعَوَى وَأَقَامَ مِثْلَ الْمَائِلِ
 إِنِّي لأَرْجُو فَيْكَ خَيْرًا عَاجِلًا وَالنَّفْسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ

فقال : يا جبرير ما أرى لك فيما هاهنا حقاً . قال : بلى يا أمير المؤمنين أنا ابن سبيل ومنقطع بى . فأعطاه من صُلبِ ماله مائة درهم ، ثم خرج فقال له الشعراء : ما وراءك ؟ قال مايسؤوكم . خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطى الفقراء ويمنع الشعراء ، وإنى عنه لراضٍ وأنشأ يقول :

رَأَيْتُ رَقِي الشَّيْطَانُ لَا تَسْتَفْزُهُ وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنَ الْجِنِّ رَاقِيًا ^(٢) .

ونسأل الله عز وجل أن يمن على أمة الإسلام بعمر ، يعيد إلى الأمة عزها ومجدها ، والله الموفق للطاعات ، والهادى لأعلى الدرجات .

(١) سيرة عمر لابن الجوزى (٢٠٠) مختصراً .
 (٢) سيرة عمر بن عبد العزيز (٢٠١) مختصراً .

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب . الإمام ، الحافظ ، العلامة ، المجتهد ، الزاهد ، العابد ، السيد ، أمير المؤمنين حقاً ، أبو حفص ، القرشي ، الأموي ، المدني ، ثم المصري ، الخليفة الزاهد ، الراشد ، أشج بني أمية ^(١)

مولده : ولد عمر بـحُلوان قرية بمصر ، وأبوه أمير عليها سنة إحدى وقيل : ثلاث وستين ، وأمّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ^(٢) قال الفلاس : سمعت الخريبي يقول : الأعمش ، وهشام ابن عروة ، وعمر بن عبد العزيز ، وطلحة بن يحيى ، ولدوا سنة مقتل الحسين يعني سنة إحدى وستين ، وكذلك قال خليفة بن خياط وغير واحد في مولده ^(٣)

صفته رحمه الله : قال سعيد بن عفير : كان أسمر رقيق الوجه ، حسنه ، نحيف الجسم ، حسن اللحية ، غائر العينين ، بوجهه أثر نفخة دابة ^(٤)

قال حمزة بن سعيد : دخل عمر بن عبد العزيز إصطبل أبيه وهو غلام فضربه فرس فشجه ، فجعل أبوه يمسح عنه الدم ويقول : إن كنت أشج بني أمية إنك إذا لسعيد ^(٥)

وعن يحيى بن فلان قال : قدم محمد بن كعب القرظي على عمر بن

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١٤ / ٥) .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٨٨) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١١٥ / ٥) .

(٤) السابق (١١٦ / ٥) .

(٥) سير أعلام النبلاء (١١٥ / ٥ ، ١١٦) .

عبد العزيز قال : وكان عمر حسن الجسم ، قال فجعل ينظر إليه نظراً شديداً لا يطرف قال : فقال : ابن كعب مالى أراك تنظر إلى نظراً لم تكن تنظر إلى من قبل ذلك . قال يأمرير المؤمنين : عهدي بك حسن الجسم ، وأراك وقد أصفر لونك ، ونحل جسمك ، وذهب شعرك . فقال : يا ابن كعب : فكيف بك لو قد رأيتني فى قبرى بعد ثلاث ، وقد انتدرت الحدقتان على وجنتى ، وسال منخرأى وفمى صديداً ودوداً ، لكنت لى أشد نكرة ^(١) .

قال الشعبي فى لطائف المعارف : كان عمر بن الخطاب أصلع ، وعثمان ، وعلي ، ومروان بن الحكم ، وعمر بن عبد العزيز ، ثم انقطع الصلع عن الخلفاء ^(٢) .

(١) طبقات ابن سعد (٥ / ٣٧٠) وانظر سير ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى (١٥) .

(٢) نقلاً عن تاريخ الخلفاء للسيوطى (٢٤٤) .

٢ - ابتداء طلبه للعلم واستخلافه رحمه الله

عن الزبير بن بكار عن العتبي قال : إن أول ما استبين من عمر بن عبد العزيز أن أباه ولي مصر وهو حديث السن يشك في بلوغه ، فأراد إخراجه ، فقال : يأبى أو غير ذلك ؟ لعله أن يكون أنفع لى ولك ، ترحلنى إلى المدينة ، فأقعد إلى فقهاء أهلها ، وأتأدب بأدابهم ، فوجهه إلى المدينة ، فاشتهر بها بالعلم والعقل مع حداثة سنه . قال : ثم بعث إليه عبد الملك ابن مروان عند وفاة أبيه وخطبه بولده ، وقدمه على كثير منهم ، وزوجه بابنته فاطمة التى قيل فيها :

بنتُ الخليفة والخليفة جدُّها أختُ الخلائف والخليفة زوجها

وقال أبو مسهر : ^(١) ولي عمر المدينة فى إمرة الوليد من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين

وقال السيوطى : جمع القرآن وهو صغير ، وبعثه أبوه إلى المدينة يتأدب بها ، فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم ، فلما توفي أبوه طلبه عبد الملك إلى دمشق ، وزوجه ابنته فاطمة ، وكان قبل الخلافة على قدم الصلاح أيضاً ، إلا أنه كان يبالغ فى التعم ، فكان الذين يعيونه من حمّاده لا يعيونه إلا بالإفراط فى التعم ، والاختيال فى المشية ، فلما ولي الوليد الخلافة أمر عمر على المدينة ، فوليها من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين وعزل فقدم الشام .

ثم إن الوليد عزم على أن يخلع أخاه سليمان من العهد ، وأن يعهد إلى ولده ، فأطاعه كثير من الأشراف طوعاً وكرهاً ، فامتنع عمر بن عبد العزيز ، وقال لسليمان فى أعناقنا بيعه ، وصمم ، فظن عليه الوليد ^(٢) ثم

(١) سير أعلام النبلاء (١١٧ / ٥) باختصار .

(٢) أى أدخله حجرة وسد جميع مافذها بالطين حتى همرت جوعاً .

شَفَعَ فِيهِ بَعْدَ ثَلَاثَ ، فَأَدْرَكَهُ وَقَدْ مَالَتْ عُنُقُهُ ، فَعَرَفَهَا لَهُ سُلَيْمَانُ فَعَهَّدَ إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ^(١) .

عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيَّوَةَ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَبَسَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ثِيَاباً خَضِرَاءَ مِنْ خَزْزٍ ، وَنَظَرَ فِي الْمَرْأَةِ فَقَالَ : أَنَا وَاللَّهِ الْمَلِكُ الشَّابُّ ، فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ يَصَلِّي بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ ، فَلَمْ يَرْجِعْ حَتَّى وَعَكَ ، فَلَمَّا ثَقُلَ كَتَبَ كِتَابَ عَهْدِهِ إِلَى ابْنِهِ أَيُّوبَ وَهُوَ غُلَامٌ لَمْ يَبْلُغْ . فَقُلْتُ : مَا تَصْنَعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّهُ مِمَّا يَحْفَظُ بِهِ الْخَلِيفَةُ فِي قَبْرِهِ أَنْ يَسْتَخْلِفَ الرَّجُلُ الصَّالِحَ . فَقَالَ : كِتَابَ اسْتِخْيَارِ اللَّهِ فِيهِ ، وَأَنْظُرْ وَلَمْ أَعِزْمْ عَلَيْهِ . فَمَكَّثَ يَوْماً أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ خَرَقَهُ ، ثُمَّ دَعَانِي فَقَالَ : مَا تَرَى فِي دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ ؟ فَقُلْتُ : هُوَ غَائِبٌ بِقُسْطَنْطِينِيَّةٍ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي أَحْيَى هُوَ أَوْ مَيِّتٌ . قَالَ : يَارَجَاءُ فَمَنْ تَرَى فَقُلْتُ : رَأَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَنْظُرَ مِنْ تَذَكُّرٍ فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى فِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؟ فَقُلْتُ : أَعْلَمُهُ وَاللَّهِ فَاضِلاً خَيَاراً مُسْلِماً . قَالَ : هُوَ وَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَكِنْ وَلِيَّتُهُ وَلَمْ أَوَّلْ أَحَداً مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ لَتَكُونَ فِتْنَةً ، وَلَا يَتْرُكُونَهُ أَبَداً يَلِي عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ أَجْعَلَ أَحَدَهُمْ بَعْدَهُ - وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَوْمُئِذٍ غَائِبٌ عَلَى الْمَوْسَمِ - قَالَ فَاجْعَلْ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْدَهُ ، فَإِنْ كَانَ مِمَّا يَسْكُنُهُمْ وَيَرْضَوْنَ بِهِ .

قلت : رأيت فكتب بيده :

عهد سليمان إلى عمر :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا كِتَابُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ سُلَيْمَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، إِنِّي وَلِيَّتُهُ الْخِلَافَةَ بَعْدِي ، وَمَنْ بَعْدَهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْتَلَفُوا فَيُطْمَعَ فِيكُمْ ^(٢) .

(١) تاريخ الخلفاء (٢٩٩ ، ٢٣٠) .

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (٥٩ - ٦٠) .

وعن سهل بن يحيى بن محمد المروزي قال : أخبرني أبي عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز قال : لما دفن عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك وخرج من قبره سمع للأرض هدة أو رجّة فقال : ماهذه ؟ فقيل : هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قربت إليك لتركبها . فقال : مالي ولها نحوها عني ، قربوا إلي بغلتي . فقربت إلي بغلته فركبها ، فجاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحرية . فقال : تنح عني مالي ولك ، إنما أنا رجل من المسلمين ، فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر ، واجتمع إليه الناس فقال : أيها الناس : إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه ولا طلبه له ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختراروا لأنفسكم .

فصباح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فل أمرنا باليمن والبركة ، فلما رأى الأصوات قد هدأت ، ورضى به الناس جميعاً ، حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله عز وجل خلف ، واعمِلوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه ، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم ، وأكثروا ذكر الموت ، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم ، فإنه هادم اللذات ، وإن من لا يذكر من آبائه - فيما بينه وبين آدم عليه السلام - أباً حياً ، لمعرق له في الموت ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ، ولا في نبيها ﷺ ، ولا في كتابها ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم ، وإني والله لا أعطى أحداً باطلاً ، ولا أ منع أحداً حقاً .

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال :

يا أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله ، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ^(١) .

(١) ميرة ومناقب عمر بن عبد العزيز (٦٥ ، ٦٦) .

٣ - ثناء العلماء عليه ومحبة الخلق له

قال سفيان الثوري : الخلفاء خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ^(١)

وعن زيد بن أسلم عن أنس رضي الله عنه قال : ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى - يعني عمر بن عبد العزيز - وهو أمير على المدينة . قال زيد بن أسلم : فكان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود . له طرق عن أنس أخرجه البيهقي في سننه وغيره ^(٢)

وسئل محمد بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز فقال : هو نجيب بني أمية ، وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده ^(٣)

وعن سفيان قال : كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة ^(٤)

ولما جاء نعي عمر بن عبد العزيز قال الحسن : مات خير الناس ^(٥)

وعن أبي سعيد الفريابي قال : أحمد بن حنبل : إن الله تعالى يقيض للناس في كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنن ، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب ، فنظرونا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وفي رأس المائتين الشافعي ^(٦)

وعن سهيل بن أبي صالح قال : كنت مع أبي غداة عرفة ، فوقفنا لننظر

(١) تاريخ الخلفاء (٢٢٨) ، والصحيح أن خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وقد ولي الخلافة ستة أشهر بعد مقتل أبيه ، وقد قال النبي ﷺ : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » وكان تمام الثلاثين سنة ستة أشهر للحسن بن علي رضي الله عنهما .

(٢) السابق (٢٢٠)

(٣) السابق (٢٣٠) وأبو نعيم في الحلية (٥ / ٢٥٤)

(٤) سيرة عمر لابن الجوزي (٣٥)

(٥) سيرة عمر لابن الجوزي (٣٥)

(٦) سيرة عمر لابن الجوزي (٧٤)

لعمر بن عبد العزيز ، وهو أمير الحاج ، فقلت يا أبتاه والله إنى لأرى الله يحبُّ عمر ، قال : لم ؟ قلت : لما أراه دخل له فى قلوب الناس من المودة ، وأنت سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله قد أحب فلاناً فأحبه » ^(١)

قال الذهبي رحمه الله : قد كان هذا الرجل حسن الخلق والخلق ، كامل العقل ، حسن السميت ، جيد السياسة ، حريصاً على العدل بكل ممكن ، وافر العلم ، فقيه النفس ، ظاهر الذكاء والفهم ، أواهاً منياً ، قانتاً لله تعالى حنيفاً ، زاهداً مع الخلافة ، ناطقاً بالحق مع قلة المعين ، وكثرة الأمراء الظلمة الذى ملّوه وكرهوا محاققته لهم ، ونقصه أعطياتهم ، وأخذة كثيراً مما فى أيديهم مما أخذوه بغير حق ، فما زالوا به حتى سقوه السم ، فحصلت له الشهادة والسعادة ، وعدُّ عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين ، والعلماء العاملين ^(٢)

وعن ابن عون قال : كان ابن سيرين إذا سئل عن الطلاء قال : نهى عنه إمام الهدى يعنى عمر بن العزيز ^(٣)

قال جويرة بن أسماء : لما استخلف عمر بن عبد العزيز جاءه بلال بن أبى بردة فهنأه وقال : من كانت الخلافة شرفته فقد شرفتها ، ومن كانت زانته فقد زنتها ، وأنت كما قال مالك بن أسماء :

وتزیدین أطیب الطیب طیباً أن تمسیه أين مثلك أيناً
وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زيناً

(١) سير أعلام النبلاء (٥ / ١١٩)

(٢) سير أعلام النبلاء (٥ / ١٢٠)

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٣٤)

٤ - خشيته وبكاؤه رحمه الله

عن المغيرة بن حكيم قال : قالت لى فاطمة بنت عبد الملك يا مغيرة قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصياماً من عمر ، ولكنى لم أر من الناس أحداً قد كان أشد خوفاً من ربه من عمر ، كان إذا دخل البيت ألقى نفسه فى مسجده ، فلا يزال يبكى ويدعو حتى تغلبه عيناه ، ثم يستيقظ فيفعل ذلك ليلته أجمع ^(١) .

وعن عبد العزيز بن الوليد بن أبى السائب قال : سمعت أبى يقول : ما رأيت أحداً قط الخوف - أو قال الخشوع - أبين على وجهه من عمر بن عبد العزيز ^(٢) .

وعمر يزيد بن حوشب - أخى العوام - قال : ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز ، كأن النار لم تخلق إلا لهما ^(٣) .

وعن هشام بن الغاز قال : نزلنا منزلاً مرجعنا من دابق ، فلما ارتحلنا مضى مكحول ولم يعلمنا أين ذهب ، فسرنا كثيراً حتى رأيناه ، فقلنا : أين ذهبت ؟ قال : أتيت قبر عمر بن عبد العزيز فدعوت له ، ثم قال : لو حلفت ما استثنيت ما كان فى زمانه أخوف لله عز وجل من عمر ، ولو حلفت ما استثنيت ما كان فى زمانه أزهد فى الدنيا من عمر ^(٤) .

وعن قتادة قال : دخل على عمر بن عبد العزيز رجل يقال له : ابن الأهتم ، فلم يزل يعظه وعمر يبكى ، حتى سقط مغشياً عليه ^(٥) .

(١) حلية الأولياء (٥٠ / ٢٦٠) وطبقات ابن سعد (٥ / ٣٦٧) .

(٢) حلية الأولياء (٥ / ٢٦٠) .

(٣) طبقات ابن سعد (٥ / ١٩٨) .

(٤) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لان الجوزى (٣٧) .

(٥) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لان الجوزى (٢١٣) .

وعن عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك قال : بكى عمر بن عبد العزيز فبكت فاطمة ، فبكى أهل الدار ، لا يدى هؤلاء ما أبكى هؤلاء ، فلما تجلى عنهم العسر قالت له فاطمة : بأبى أنت يا أمير المؤمنين ثم بكيت قال : ذكرت يا فاطمة منصرف القوم بين يدى الله ففريق فى الجنة وفريق فى السعير قال ثم صرخ وغشى عليه ^(١)

وعن عطاء بن رباح قال : حدثتني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز أنها دخلت عليه فإذا هو فى مصلاة يده على خده سائلة دموعه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ألسيحدث ، قال : يا فاطمة إننى تقلدت أمر أمة محمد ﷺ ، فتفكرت فى الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعمى المجهود ، والمظلوم المقهور ، والغريب المأسور ، والكبير ، وذى العيال فى أقطار الأرض فعلمت أن ربى يسألنى عنهم ، وأن خصمهم دونهم محمد ﷺ ، فخشيت أن لا تثبت لى حجة عن خصومته فرحمت نفسى فبكيت ^(٢)

وعن عبد الله بن شاذب قال : حج سليمان ومعه عمر بن عبد العزيز فخرج سليمان إلى الطائف فأصابه رعد وبرق ، ففزع سليمان فقال لعمر : ألا ترى ما هذا يا أبا حفص ؟ قال : هذا عند نزول رحمته ، فكيف لو كان عند نزول عذابه ^(٣)

وعن الحسن بن عميرة قال : اشترى عمر بن عبد العزيز جارية أعجمية فقالت : أرى الناس فرحين ، ولا أرى هذا فرح ؟ فقال : ما تقول لكى ؟ فقيل له أنها تقول كذا وكذا فقال : ويحها حدثوها أن الفرح أمامها ^(٤)

وعن ميمون بن مهران قال : قرأ عمر بن عبد العزيز ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾ [سورة التكاثر : ١] فبكى ثم قال : ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ [سورة التكاثر : ٢] ما أرى المقابر إلا زيارة ، ولا بد لمن زار أن يرجع إلى الجنة أو النار ^(٥)

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى (٢١٣ ، ٢١٤) .

(٢) سيرة أعلام النبلاء (١٣١ / ٥ ، ١٣٢) .

(٣) خلية الأولياء (٢٨٨ / ٥) .

(٤) خلية الأولياء (٢٨٨ / ٥) وسيرة عمر لابن الجوزى (٢١٦) .

(٥) سيرة عمر لابن الجوزى (٢١٨ ، ٢١٩) وانظر الخلية (٣١٧ / ٥) .

٥ - زهده رحمه الله

عن مسلمة بن عبد الملك قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه ، فإذا عليه قميص وسخ ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك : يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين . قالت : نفعل إن شاء الله . ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت : يا فاطمة ألم أمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين ، فإن الناس يعودونه قالت : والله ما له قميص غيره ^(١) .

عن سعيد بن سويد أن عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة ، ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه ، فقال له رجل يا أمير المؤمنين : إن الله قد أعطاك فلو لبست ؟ فنكس ملياً ثم رفع رأسه فقال : أفضل القصص عن الجدة ، وأفضل العفو عند المقدرة ^(٢) .

قال مالك بن دينار : الناس يقولون : مالك زاهد ، وإنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها ^(٣) .

قال أبو أمية الخصى غلام عمر : دخلت يوماً على مولاتي فغدتنني عدساً فقلت : كل يوم عدس ؟ قلت : يا بني هذا طعام مولاك أمير المؤمنين ^(٤) .

قال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني وأبا صفوان يتناظران في عمر بن عبد العزيز وأويس القرني . قال أبو سليمان لأبي صفوان : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس . قال له : ولم قال : لأن عمر ملك الدنيا فزهده فيها . فقال له أبو صفوان : وأويس لو ملكها لزهده فيها مثل ما فعل عمر . فقال أبو سليمان : لا تجعل من جرب كمن لم يجرب . إن من جرت الدنيا على يديه ليس لها في قلبه موقع ، أفضل ممن لم تجر على يديه ، وإن لم يكن لها في قلبه موقع ^(٥) .

(١) حلية الأولياء (٢٥٨ / ٥) وسير النبلاء (١٣٤ / ٥) .

(٢) حلية الأولياء (٢٦١ / ٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٣٤ / ٥) ، وطبقات ابن سعد (٤٠٢ / ٥) .

(٣) تاريخ الخلفاء (٢٣٤) وسير أعلام النبلاء (١٣٤ / ٥) .

(٤) تاريخ الخلفاء (٢٣٤) .

(٥) سيرة عمر لابن الجوزي (١٨٤) .

٦ - ورعه رحمه الله

عن أبي عثمان الثقفي قال : كان لعمر بن عبد العزيز غلام يعمل على بغل له يأتيه بدرهم كل يوم ، فجاءه يوماً بدرهم ونصف فقال : ما بدا لك ؟ فقال : نفقت السوق . قال : لا ، ولكنك أتعبت البغل أرحه ثلاثة أيام^(١) .

قال جعونة : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جعل عمر يثني عليه فقال : يا أمير المؤمنين لو بقي كنت تعهد إليه ؟ قال : لا قال : ولم وأنت تثني عليه ؟ قال : أخاف أن يكون زين في عيني ما زين في عين الوالد من ولده^(٢) .

وعن وهيب بن الورد قال : اجتمع بنو مروان على باب عمر بن عبد العزيز ، وجاء عبد الملك بن عمر ليدخل على أبيه فقالوا له : إما أن تستأذن لنا ، وإما أن تبلغ أمير المؤمنين عنا الرسالة قال : قولوا :

قالوا : إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا ، وإن أباك قد حرمانا ما في يديه . قال : فدخل على أبيه فأخبره عنهم فقال له عمر : قل لهم : إن أبي يقول لكم : إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم^(٣) .

عن عمرو بن مهاجر أن عمر بن عبد العزيز كانت له الشمعة ما كان في حوائج المسلمين ، فإذا فرغ من حوائجهم أطفأها ثم أسرج عليه سراج^(٤) .

عن جرير بن حازم عن رجل عن فاطمة بنت عبد الملك قالت : اشتهدني عمر بن عبد العزيز يوماً غسل ، فلم يكن عندنا ، فوجهنا رجلاً على دابة من البريد إلى بعلبك فأتني بغسل ، فقلنا يوماً : إنك ذكرت غسلًا وعندنا غسل

(١) حلية الأولياء (٥ / ٢٦٠) .

(٢) حلية الأولياء (٥ / ٢٦٧) ، تاريخ الخلفاء (٢٣٩) .

(٣) حلية الأولياء (٥ / ٢٦٧) .

(٤) سيرة عمر لابن الجوزي (٩٨) .

فهل لك فيه ؟ قال : نعم ، فأتينا به ، فقرب ثم قال : من أين لكم هذا العسل ؟ قال : قلت : وجهنا رجلاً على دابة من دواب البريد بدینارین إلى بعلبك ، فاشترى لنا بهما عسلاً . قال : فأرسل إلى الرجل فجاءه فقال : انطلق بهذا العسل إلى السوق فبعه فأردد إلينا رأس مالنا ، وانظر إلى الفضل واجعله في بيت مال المسلمين علف دواب البريد . ولو ينفع المسلمين قتيلى لتقيأت^(١) .

وعن عمر بن مهاجر قال : اشتهى عمر بن العزيز تفاحاً فقال : لو كان لنا - أو عندنا - شيء من التفاح ؟ فإنه طيب الريح طيب الطعم ، فقام رجل من أهل بيته فأهدى إليه تفاحاً ، فلما جاء به الرسول قال عمر : ما أطيب ريحه وأحسنه أرفعه يا غلام فاقري فلانا السلام ، وقل له : إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث تحب . فقلت : يا أمير المؤمنين ابن عمك ورجل من أهل بيتك ، وقد بغلك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة . قال : ويحك إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية ، وهى لنا اليوم رشوة^(٢) .

وعن ربيع بن عطاء قال : أتى عمنسز بعنبرة من اليمن فوضع يده على أنفه بشوبه فقال له مزاحم : إنما هى ريحها يا أمير المؤمنين قال : ويحك يا مزاحم ! وهل ينتفع من الطيب إلا بريحه ؟ قال : فما زالت على أنفه حتى رفعت^(٣) .

وعن يحيى بن سعيد قال : كتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إلى عمر ابن عبد العزيز إنه رفع إلى رجل يسبك وربما قال حماد : يشتمك ، فهممت أن أضرب عنقه فحبسته ، وكتبت إليك لأستطلع فى ذلك رأيك . فكتب إليه لو قتلت لأقتدتك به ، إنه لا يقتل أحد بسبب أحد إلا من سب النبي ﷺ ، فاسبه إن شئت أو خل سبيله^(٤) .

(١) سيرة عمر لابن الجوزى (١٨٩) .

(٢) سيرة عمر لابن الجوزى (١٨٩) .

(٣) سيرة عمر لابن الجوزى (١٩٣) .

(٤) طبقات ابن سعد (٥ / ٣٦٩) .

٧ - تواضعه رحمه الله

عن رجاء بن حيوة قال : سمعت ليلة مع عمر بن عبد العزيز فاعتل السراح فذهبت أقوم أصلحه فأمرني عمر بالجلوس ، ثم قام فأصلحه ثم عاد فجلس ، فقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز ، ولؤم بالرجل إن استخدم ضيفه ^(١) .

وعن أيوب قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين لو أتيت المدينة فإن قضى الله موتاً دفنت موضع القبر الرابع مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر . قال : والله لأن يعذبني الله بكل عذاب - إلا النار فإنه لا أصبر عليها - أحب إلي من أن يعلم الله من قلبي أنني أرى أنني لذلك أهل ^(٢) .

عن بشير بن الحارث قال : أطراً رجل عمر بن عبد العزيز في وجهه فقال : يا هذا لو عرفت من نفسي ما أعرف منها ، ما نظرت في وجهي ^(٣) .

وعن أبي سعيد المؤدب عن عبد الكريم قال : قيل لعمر : جزاك الله عن الإسلام خيراً . قال : لا بل جزى الله الإسلام عني خيراً ^(٤) .

وعن عمر بن حفص قال : حدثنا شيخ قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز بدابق خرج ذات ليلة ومعه حرسى ، فدخل المسجد ، فمر في الظلمة برجل نائم فعشر به ، فرفع رأسه إليه فقال : أمجنون أنت ؟ قال : لا . فهم به الحرسى . فقال له عمر : مه . إنما سألتني أمجنون أنت فقلت : لا ^(٥) .

(١) حلية الأولياء (٥ / ٣٣٢) .

(٢) سيرة عمر لابن الجوزى (٢٠٥) ، وطبقات ابن سعد (٥ / ٤٠٤) .

(٣) سيرة عمر لابن الجوزى (٢٠٦) .

(٤) سيرة عمر لابن الجوزى (٢٠٦) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣٩٧) .

٨ - اتباعه للسنة رحمه الله

عن زياد بن مخراق قال : سمعت عمر بن عبد العزيز وهو يخطب الناس يقول : لولا سنة أحييها ، أو بدعة أميتها ، لما باليت أن لا أعيش فوقاً^(١) .

قال الذهبي : أظهر غيلان القدر في خلافة عمر بن عبد العزيز فاستتابه فقال : لقد كنت ضالاً فهديتني . فقال عمر : اللهم إن كان صادقاً وإلا فاصلبه واقطع يديه ورجليه ، فنفذت فيه دعوته ، فأخذ في خلافة هشام بن عبد الملك ، وقطعت أربعته وصلب بدمشق في القدر .

وقال غيره : كان بنو أمية يسبون على بن أبي طالب في الخطبة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطله ، وكتب إلى نوابه بإبطاله ، وقرأ مكانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل ٩٠] فاستمرت قراءتها إلى الآن^(٢) .

وعن حزم بن أبي حزم قال : قال عمر بن عبد العزيز في كلام له : فلو كان كل بدعة يميتها الله على يدي ، وكل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي ، حتى يأتي آخر ذلك من نفسي ، كان في الله يسيراً^(٣) .

وقد تقدم قول أحمد بن حنبل رحمه الله : إن الله تعالى يقيض للناس في كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنن ، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وفي رأس المائتين الشافعي^(٤) .

(١) سيرة عمر لابن الجوزي (٩٧) ، وابن سعد في الطبقات (٥ / ٣٨٣) .

(٢) تاريخ الخلفاء (٢٤٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (٥ / ٣٤٣) .

(٤) سيرة عمر لابن الجوزي (٧٤) .

٩ - شيوخه وتلامذته رحمه الله

شيوخه : قال المزى : روى عن أنس بن مالك ، وصلى أنس خلفه ، وقال : مار أيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى ، وعن الربيع بن سبرة بن معبد الجهني ، والسائب بن يزيد ، وسعيد بن المسيب ، واستوهب من سهل بن سعد قدحاً شرب منه النبي ﷺ فوهيه له ، وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن إبراهيم بن قارظ ، ويقال إبراهيم بن عبد الله بن قارظ ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعروة بن الزبير ، وعقبة بن عامر الجهني - يقال مرسل - ومحمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، ومحمد بن مسلم ابن شهاب الزهري ، ومات قبله ، ونوفل بن مساحق العامري ، ويحيى بن القاسم بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وخولة بنت حكيم - مرسل (١)

تلامذته : قال الذهبي : حدث عنه أبو سلمة أحد شيوخه ، وأبو بكر بن حزم ، ورجاء بن حيوة ، وابن المنكدر ، والزهري ، وعنبسة بن سعيد ، وأيوب السختياني ، وإبراهيم بن عبله ، وتوبة العنبري ، وحميد الطويل ، ومصلح بن محمد بن زائدة الليثي ، وابنه عبد العزيز بن عمر ، وأخوه زياد ، وصخر بن عبد الله بن حرمة ، وابنه عبد الله بن عمر ، وعثمان بن داود الخولاني ، وأخوه سليمان بن داود ، وعمر بن عبد الملك ، وعمر بن عامر البجلي ، وعمر بن مهاجر ، وعمير بن هانئ العنسي ، وعيسى بن أبي عطاء الكاتب ، وغيلان بن أنس ، وكاتبه ليث بن أبي رقية وأبو هاشم مالك بن زياد ، ومحمد بن أبي سويد الثقفي ، ومحمد بن قيس القاص ، ومروان بن جناح ، ومسلمة بن عبد الملك الأمير ، والنضر بن عربي ، وكاتبه نعيم بن عبد الله القيني ، ومولاه هلال أبو صعمة ، والوليد ابن هشام المطيعي ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، ويعقوب ابن عتبة بن المغيرة ، وخلق سواهم (٢)

١٠ - درر من أقواله رحمه الله

قال أبو الحسن المدايني : كتب عمر بن العزيز إلى عمر بن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة يعزيه على ابنه : أما بعد : فإننا قوم من أهل الآخرة ، أسكننا الدنيا ، أموات أبناء أموات ، والعجب لميت يكتب إلى ميت ، يعزيه عن ميت ، والسلام ^(١) .

وعن حمزة الجزري قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل : أوصيك بتقوى الله الذي لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثيب إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل ^(٢) .

وعن عمر بن محمد المكي : قال خطب عمر بن عبد العزيز فقال : إن الدنيا ليست بدار قراركم ، دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها منها الظعن ، فكم عامر موثق عما قليل مخرب ، وكم مقيم عما قليل يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، إنما التقوى كفى ظلال قلص فذهب بينما ابن آدم في الدنيا يتنافس فيها وبها قرير العين إذا دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حقه ، وسلبه آثاره ودينه ، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، إنها تسر قليلاً وتجر حزناً طويلاً ^(٣) .

وعن أبي عمران قال : قال عمر بن عبد العزيز : من قرب الموت من قلبه استكثر ما في يديه ^(٤) .

وعن محمد بن عيسى عبد عبد العزيز قال : كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه : « أما بعد فإن مدينتنا قد خربت ، فإن يرى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نرملها به فعل »

(١) حلية الأولياء (٥ / ٢٦٦) ، وسيرة عمر لابن الجوزي (٢٥٠) .

(٢) حلية الأولياء (٥ / ٢٦٧) .

(٣) حلية الأولياء (٥ / ٧٩٢) ، وسيرة عمر لابن الجوزي (٢٣٢ ، ٢٣٣) .

(٤) حلية الأولياء (٥ / ٣١٦) .

فكتب إليه العمر : « أما بعد فقد فهمت كتابك ، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت ، فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم ، فإنه مرمتها ، والسلام ... »^(١)

وعن رجل من ولد عثمان بن عفان : أن عمر بن عبد العزيز قال في بعض خطبه : « إن لكل سفر زاداً لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله تعالى من ثوابه وعقابه ، ترغبون وترهبون ، ولا يطولن عليكم الأمد فتفسوا قلوبكم ، وتتقادوا لعدوكم ، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ، ولا يمسي بعد صباحه ، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا ، فكم رأينا ورأيتم من كان بالدنيا مغترّاً ، وإنما ثقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله ، وإنما يفيرح من أمن من أهوال يوم القيامة ، فأما من لا يبرأ من كلم إلا أصابه جرح من ناحية أخرى ، أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسه عنه فتحسر صفقتي ، وتظهر عيلتي ، وتبدو مسكنتي ، في يوم يبدو فيه الغنى والفقر ، والموازن منصوبة ، لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ، ولو عنيت به الجبال لذابت ، ولو عنيت به الأرض لشققت ، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وأنكم صائرون إلى إحداهما »^(٢)

وعن عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : ليس تقوى الله بصيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير^(٣)

وعن ميمون بن مهران قال : أوصاني عمر بن عبد العزيز فقال : يا ميمون لا تخلو بامرأة لا تحل لك ، وإن أقرأتها القرآن ، ولا تتبع السلطان ، وإن رأيت

(١) سيرة عمر لابن الجوزي (١١٠)

أنك تأمره بمعروف وتنهيه عن منكر ، ولا تجالس ذا هوى فيلقى في نفسك شيئاً يسخط الله به عليك ^(١) .

وعن عبد الله بن محمد بن سعد الأنصاري أن عمر بن عبد العزيز صعد المنبر واجتمع إليه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، أيها الناس فإنني لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم ، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون ، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحق ، والمكذب به هالك ثم نزل ^(٢) .

وعن محمد بن مهاجر قال : كان عند عمر بن عبد العزيز سرير النبي ﷺ وعصاه وقدره وجفنته ، فكان إذا دخل عليه النفر من قریش قال : هذا ميراث من أكرمكم الله به ، ونصركم به ، وأعزكم به ، وفعل وفعل ... ^(٣) .

وعن عبد الله بن الفضل التميمي قال : آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز أن صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن في أيديكم أسلاب الهالكين ، وميتركها الباقون كما تركها الماضون ، ألا ترون أنكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالى ، وتضعونه في صدع من الأرض ، ثم في بطن صدع غير ممد ولا موسد ، قد خلَعَ الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب فقير إلى ما قدم أمامه ، غنياً إلى ما ترك جده ، أما والله إنني لأقول هذا وأنا أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسي ، قال ثم وضع طرف ثوبه على عينيه فبكى ثم نزل ، فما خرج حتى أخرج إلى حفرة رحمه الله تعالى ^(٤) .

(١) سيرة عمر لابن الجوزي (٢٤٦) .

(٢) سيرة عمر لابن الجوزي (٢٥١) .

(٣) سيرة عمر لابن الجوزي (٢٥٣) .

(٤) سيرة عمر لابن الجوزي (٢٦٠) .

١١ - ما تمثل به من الشعر أو قاله

عن محمد بن كثير قال : قال عمر بن عبد العزيز ذات يوم وهو لائم نفسه وعائها :

أَيَقْظَانِ أَنْتَ الْيَسُومَ أَمْ أَنْتَ نَائِمٌ وَكَيْفَ يُطِيقُ النَّوْمَ حَيْرَانٌ هَائِمٌ
فَلَوْ كُنْتَ يَقْظَانِ الْغَدَاةَ لَحَرَقْتَ مُحَاجِرَ عَيْنِكَ الدَّمُوعَ السَّوَاجِمَ
نَهَارُكَ يَامُغْرُورٌ سَهْوٌ وَغُلْفَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ الرَّدَى لَكَ لَازِمٌ
وَتَشْغَلُ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غَيْبَةً كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ ^(١)

عن عقيل بن مرة قال : أنشدني حرمي بن الهيثم لعمر بن عبد العزيز :

وَلَا خَيْرَ فِي عَيْشِ امْرِءٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَ اللَّهِ فِي دَارِ الْقَرَارِ نَصِيبٌ
فَإِنْ تَعَجِبُ الدُّنْيَا أَنْسَأَ فَإِنَّهَا قَلِيلٌ مَتَاعٌ وَالزَّوَالُ قَرِيبٌ ^(٢)

وعن يونس قال : كان عمر بن عبد العزيز يسير في جماعة فلما كثر الغبار تلثم ثم ذكر أبياتاً قالها عبد الأعلى القرشي :

مَنْ كَانَ حَيْثُ نَصِيبُ الشَّمْسِ جِهَتُهُ أَوْ الْغُبَارُ يَخَافُ الشَّيْنِ وَالشَّعْبَا
وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كَيَّ تَبَقَّى بَشَاشَتُهُ فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدْنَا
فِي قَعْرِ مَظْلَمَةٍ غُبْرَاءَ مُقْفَرَةٍ يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرَى فِي قَعْرِهَا الْبُثَا ^(٣)

حدث مسعود بن بشر أن رجلاً قال لعمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة

(١) سيرة عمر لابن الجوزي (٢٦١)

(٢) سيرة عمر لابن الجوزي (٢٦٢)

(٣) سيرة عمر لابن الجوزي (٢٦٢ ، ٢٦٣)

تفرغ لنا فقال :

قَدْ جَاءَ شَغْلٌ شَاغِلٌ وَعَدَلْتُ عَنْ طُرُقِ الْمَلَامَةِ
 ذَهَبَ الْفَرَاغُ فَلَا فَرَا غَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١)

(١) سيرة عمر لابن الجوزي (٢٦٦) .

١٢ - وفاته رحمه الله وما قيل في رثائه

توفي عمر بن عبد العزيز رحمه الله - بدير سمعان من أعمال حمص - لعشر بقين وقيل لخمس بقين ، من رجب سنة إحدى ومائة وله حينئذ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر ، وكانت وفاته بالسم ، كانت بنو أمية قد تبرموا به ، لكونه شدد عليهم وانتزع من أيدهم كثيراً مما غصبوه ، وكان قد أهمل التحرز .

قال مجاهد : قال لى عمر بن عبد العزيز : ما يقول الناس في ؟ قلت : يقولون مسحور . قال : ما أنا بمسحور وإنى لأعلم الساعة التى سقيت فيها ، ثم دعا غلاماً له فقال له : ويحك ما حملك على أن تسقينى السم ؟ قال : ألف دينار أعطيتها ، وعلى أن أعتق . قال : هاتها . قال : فجاء بها فألقاها فى بيت المال ، وقال اذهب حيث لا يراك أحد ^(١)

وعن المغيرة بن حكيم قال حدثنى فاطمة بنت عبد الملك قالت : كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول : اللهم اخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار . فلما كان اليوم الذى قبض فيه خرجت فجلست فى بيت آخر وبينى وبينه باب وهو فى قبة له ، فسمعتة يقول : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٨٣) [القصص : ٨٣] ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حساً ولا كلاماً فقلت للوصيف الذى يخدمه : أنظر أمير المؤمنين ، فلما دخل عليه صاح ، فوثبت ، فدخلت عليه ، إذا هو ميت ، قد استقبل القبلة ، وأغمض نفسه ، ووضع إحدى يديه على عينيه ، والأخرى على فيه ^(٢)

(١) تاريخ الخلفاء (٢٤٦)

(٢) سيرة عمر لابن الجوزى (٣٢٥)

وعن عبيد بن حسان قال : لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال : اخرجوا عني ، فلا يبقى عندي أحد ، وكان عنده مسلمة بن عبد الملك قال : فخرجوا ، فقعده على الباب هو وفاطمة قال : فسمعوه يقول : مرحباً بهذه الوجوه ، ليست بوجوه إني ولا جان . قال : ثم قال : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ قال : ثم هدأ الصوت . فقال مسلمة لفاطمة قد قبض صاحبك ، فدخلوا فوجدوه قد قبض ، وغمض وسوى ^(١) .

نظر مسلمة بن عبد الملك إلى عمر مسجى فقال : يرحمك الله : لقد لينت لنا قلباً قاسية ، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً ^(٢) .
قال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي :

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلَيَّ وَلَمْ تَخَفْ بَرِيئاً وَلَمْ تُتْبِعْ سَجِيَّةَ مُجْرِمٍ
وَقُلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي فَعَلْتَ فَأَضْحَى رَاضِياً كُلُّ مُسْلِمٍ ^(٣)
وقال جرير :

تَنْعَى النُّعَاةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَ
حُمِلَتْ أَمِراً عَظِيماً فَاضْطَلَعَتْ بِهِ وَسَرَتْ فِيهِ بِحُكْمِ اللَّهِ يَاعْمَرَ
الشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرُ ^(٤)

وعن عمر بن صالح الزهري قال : حدثني الثقة قال : لما بلغ محارب بن دثار موت عمر بن عبد العزيز دعا بكتابه فقال اكتب : فكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : امحه فإن الشعر لا يكتب فيه بسم الله الرحمن

(١) سيرة عمر لابن الجوزي (٣٢٥ ، ٣٢٦) .

(٢) سيرة عمر لابن الجوزي (٣٢٩) .

(٣) سيرة عمر لابن الجوزي (٣٢٣) .

(٤) سيرة عمر لابن الجوزي (٣٢٥ ، ٣٢٦) .

الرحيم ثم قال :

لَوْ أَعْظَمَ الْمَوْتُ خَلْقًا أَنْ يُوَاقِعَهُ
كَمْ مِنْ شَرِيعَةٍ حَقَّ قَدْ نَعَشَتْ لَهَا
يَالْهَفَ نَفْسِي وَلَهْفَ الْوَاجِدِينَ مَعِيَ
ثَلَاثَةٌ مَا رَأَيْتُ عَيْنِي لَهُمْ شَبَهًا
وَأَنْتَ تَتَّبِعُهُمْ لَمْ تَأَلَّ مَجْتَهِدًا
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ
صَرَفْتُ عَنْ عُمْرِ الْخَيْرَاتِ مَصْرَعَهُ
لَعَدَلَهُ لَمْ يُصْبِكَ الْمَوْتُ يَا عُمَرَ
كَادَتْ تَمُوتُ وَأُخْرَى مِنْكَ تَنْتَظِرُ
عَلَى الْعُدُولِ الَّتِي تَغْتَالُهَا الْحُفَرُ
تَضُمُّ أَعْظَمَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَفَرُ
سَعِيَ لَهُمْ سِنَّنٌ بِالْحَقِّ تَفْتَقِرُ
تَأْتِي رَوَّاحًا وَتَبَيَّانًا وَتُبْتَكَرُ
بِدِرِيرٍ سَمْعَانٍ لَكِنْ يَغْلِبُ الْقَدَرُ^(١)

ونختم بما ذكره ابن الجوزي في خاتمه سيرته قال: بلغني أن المنصور قال:
لعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر رحمهم الله عظمي قال: بما رأيت
أو بما سمعت قال: بما رأيت. قال: مات عمر بن عبد العزيز رحمه الله
وخلف أحد عشر ابنًا وبلغت تركته سبعة عشر دينار كفن منها بخمسة دنانير ،
واشترى له موضع قبره بدينارين ، وقسم الباقي على بنيه وأصاب كل واحد من
ولده تسعة عشر درهماً . مات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابنًا
فقسمت تركته وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف . ورأيت رجلاً من ولد
عمر بن عبد العزيز قد حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله عز
وجل ، ورأيت رجلاً من ولد هشام يتصدق عليه^(٢) .

(١) ميرة عمر لابن الجوزي (٢٣٥ ، ٢٣٦) .

(٢) ميرة عمر لابن الجوزي (٢٣٨) .

من أعلام السلف

٦

(الشَّعْبِيُّ)

عامر بن شراحيل

بين يدي الترجمة :

مازلنا بحمد الله مع الصحبة الطيبة المباركة ، مع علماء السلف رحمهم الله ، ومع سلسلة « من أعلام السلف » وعالمنا في هذه الحلقة من السلسلة المباركة نحيف الجسم ، عظيم القدر ، جبل من جبال العلم وإمام من أئمة التابعين ، أدرك ما يقرب من خمسين صحابياً ، وكانت له حلقة عظيمة في وجود أكابر الصحابة رضی الله عنهم ، رآه ابن عمر رضی الله عنهما فقال : كأنه قد شاهد معنا ، ذو دعابة وذكاء ، يرغب الملوك في قربه ، ويحتاج الجميع إلى علمه ، أرسله عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم ، فتعجب الملك لماذا لم يؤمره العرب عليهم ، وهذه هي القصّة كما ذكرها الذهبي في سيره عن ابن عائشة قال : وجه عبد الملك بن مروان الشعبي إلى ملك الروم - يعني رسولا - فلما انصرف من عنده قال : يا شعبي أتدرى ما كتب به إلى ملك الروم ؟ قال : وما كتب به يا أمير المؤمنين ؟ قال : كنت أتعجب لأهل ديانتك كيف لم يستخلفوا عليهم رسولك . قلت : يا أمير المؤمنين لأنه رآني ولم يرك . أوردتها الأصمعي وفيها قال : يا شعبي إنما أراد أن يغريني بقتلك . فبلغ ذلك ملك الروم فقال : لله أبوه ، والله ما أردت إلا ذاك ^(١) .

ولا شك في أن هذه الشخصيات الفذة علامة من علامات صدق نبينا ﷺ ، وأن ما جاء به هو الحق من عند الله ، ولم يحصل في أمة من الأمم هذه الكثرة الكاثرة من الأئمة الأعلام والعلماء الكرام ، الذين بلغوا الغاية في العلم والعمل ، والأخلاق الزكية ، والشيم المرضية ، فنسأل الله أن يمتنا على حبهم ، وأن يحشرنا في جمعهم ، فقد قيل للنبي ﷺ : « الرجل يحب القوم ، ولم يلحق بهم » فقال : « المرء مع من أحب » .
وصلی الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين .

١ - اسمه ومولده

اسمه : عامر بن شراحيل ، وقيل : ابن عبد الله بن شراحيل بن عبد
الشعبي أبو عمرو الكوفي .

مولده : ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب على
المشهور ، وأمه من سبي جلولاء ، وجلولاء قرية بناحية فارس كانت بها الوقعة
المشهور التي انتصر فيها المسلمون على الفرس ، وهي في العراق اليوم تسمى
« السعدية » .

- وقيل : ولد سنة إحدى وعشرين .

طفله : قال ابن سعد : كان الشعبي ضئيلاً نحيفاً ولد هو وأخ له
توءماً^(١) . وقال الحاكم أبو عبد الله : وكان الشعبي توءماً ضئيلاً ، فكان
يقول : إني زوحت في الرحم^(٢) .
وعن ليث قال : رأيت الشعبي ، وما أدري ملحفته أشد حمرة أو
لحيته^(٣) .

عن أبي بكر بن شعيب بن الحبحاب قال عامر الشعبي : وقال له أبي ما
لإزارك مسترخياً يا أبا عمرو ؟ قال : وعليه إزار كتمان مورد قال : فقال :
الشعبي : ليس هاهنا شيء يحمله ، وضرب بيده إلى إلبته ، قال فقال له أبي :
كم تراه أتى لك يا أبا عمرو ؟ فأجابه الشعبي فقال :^(٣)

نفسى تشكى إليك النفس مزحفة
إن تخدثي أملاً يانفس كاذبة
وقد حملتك سبماً بعد سبعيناً
إن الثلاث يوفين الشمانيناً^(٤)

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٠٠) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٢٩٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ٢٥٢) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٦ / ٢٥٥) .

٢ - ثناء العلماء عليه

عن الزهري قال : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، وعامر الشعبي بالكوفة ، والحسن بن أبي الحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام ^(١) .

وعن أبي أسامة قال : كان عمر بن الخطاب في زمانه رأس الناس - وهو جامع - وكان بعده ابن عباس في زمانه - وكان بعد ابن عباس في زمانه الشعبي ، وكان بعد الشعبي في زمانه سفيان الثوري ^(٢) .

وعن أبي بكر الهذلي قال : قال لي محمد بن سيرين يا أبا بكر إذا دخلت الكوفة فاستكثر من حديث الشعبي ، فإنه كان ليسأل وإن أصحاب محمد ﷺ لأحياء ^(٣) .

وقال أشعث بن سوار : نعي لنا الحسن الشعبي فقال : كان والله كبير العلم ، عظيم الحلم ، قديم السام . من الإسلام بمكان ^(٤) .
وعن يحيى بن معين وأبي زرعة وغير واحد : الشعبي ثقة ^(٥) .

وقال أحمد بن عبد الله العجلي : سمع من ثمانية وأربعين من أصحاب رسول الله ﷺ والشعبي أكبر من أبي إسحاق بستين وأبو إسحاق أكبر من عبد الملك بن عمير بستين ومرسل الشعبي صحيح لا يكاد يرسل إلا صحيحاً ^(٦) .

وقال عاصم بن سليمان : ما رأيت أحداً أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي ^(٧) .

(٥) تهذيب الكمال (١٤ / ٣٥) .

(٦) تهذيب الكمال (١٤ / ٣٥) .

(٧) سير أعلام النبلاء (٣٠٢) .

(١) تاريخ بغداد (١٢ / ٢٢٨) .

(٢) تاريخ بغداد (١٢ / ٢٢٨) .

(٣) تاريخ بغداد (١٢ / ٢٢٩) .

(٤) تهذيب الكمال (١٤ / ٣٤) .

٣ - قوة حفظه ونباهة خاطره وسعة علمه

عن ابن شبرمة قال : سمعت الشعبي يقول : ما كتبت موداء في بيضاء إلى يومي هذا ، ولا حدثني أحد قط إلا حفظته ، ولا أحببت أن يعيده علي^(١)

وعنه عن الشعبي قال : ما سمعت منذ عشرين سنة رجلاً يحدث بحديث إلا أنا أعلم به منه ، ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه رجل لكان به عالماً^(٢)

وعن وادع الراسبي عن الشعبي قال : ما أروى شيئاً أقل من الشعر ، ولو شئت لأشددتكم شهراً لا أعيد^(٣)

وعن أبي مجلز قال : ما رأيت فقيهاً أفقه من الشعبي^(٤)

وقال مكحول : ما رأيت أعلم بسنة ماضية من الشعبي^(٥)

وقال داود بن أبي هند : ما جالس أحد أعلم من الشعبي^(٦)

وعن عبد الملك بن عمير قال : مر ابن عمر بالشعبي وهو يقرأ المغازي فقال : كأنه كان شاهداً معنا ، ولهو أحفظ لها مني وأعلم^(٧)

وقال عاصم الأحول : ما رأيت أحد أعلم من الشعبي^(٨)

(٥) تاريخ الذهبي (١٢٦ / ٧)

(٦) تاريخ الذهبي (١٢٦ / ٧)

(٧) تاريخ الذهبي (١٢٦ / ٧)

(٨) تاريخ الذهبي (١٢٦ / ٧)

(١) سير أعلام النبلاء (٣٠١ / ٤)

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٠١ / ٤)

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٠٢ / ٤)

(٤) تاريخ الذهبي (١٢٦ / ٧)

٤ - تورعه عن الفتوى وذمته الرأي

عن محمد بن جُحادة أن عامر الشعبي سئل عن شيء فلم يكن عنده فيه شيء فقليل له : قل برأيك . قال : وما تصنع برأئي بل على رأيي^(١) .

وعن آدم أن رجلاً سأل إبراهيم عن مسألة فقال : لا أدري ، فمر عليه عامر الشعبي فقال للرجال : سئل ذاك الشيخ ثم أرجع فأخبرني فرجع إليه قال : قال : لا أدري . قال إبراهيم : هذا والله الفقه^(٢) .

وعن مالك بن مغول عن الشعبي قال : لو كانت الشيعة من الطير كانوا رخماً ، ولو كانوا من الدواب كانوا حميراً^(٣) .

وعن الوصافي عن عامر الشعبي قال : أحبُّ صالح المؤمنين ، وصالح بني هاشم ، ولا تكن شيعياً ، وأرجُ ما لم تعلم ولا تكن مرجئاً ، واعلم أن الحسنة من الله والنسيئة من نفسك ولا تكن قدرياً ، وأحب من رأته يعمل بالخير وإن كان أخرم سندياً^(٤) .

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى : كان الشعبي صاحب آثار ، وكان إبراهيم النخعي صاحب قياس^(٥) .

وعن مجالد قال : وكان الشعبي يذم الرأي ويفتي بالنص قال مجالد : سمعت الشعبي يقول : لعن الله رأيت^(٦) .

وعن الهذلي قال : قال الشعبي : أرايتم لو قتل الأخنف بن قيس وقُتل

(٤) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٤٨ ، ٢٤٩) .

(٥) تاريخ الإسلام (٧ / ١٢٧) .

(٦) تاريخ الإسلام (٧ / ١٣٠) .

(١) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٥٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٥٠) .

(٣) طبقات ابن سعد (٦ / ٢٤٨) .

طفل أكانت ديتهما سواء أم يفضل الأحنف لعقله وعلمه ؟ قلت : سواء
قال : فليس القياس بشيء ^(١)

وعن ابن أبحر قال : قال الشعبي : ما حدثوك عن أصحاب محمد ﷺ
ورضى عنهم فخذوه ، وما قالوا برأيهم قبل عليه ^(٢)

وعن صالح بن مسلم قال : قال عامر الشعبي : إنما هلكتم أنكم تركتم
الآثار وأخذتم بالمقاييس ^(٣)

وعن الشعبي قال : لا أدرى نصف العلم ^(٤)

(١) تاريخ الإسلام (١٣١ / ٧) .

(٢) حلية الأولياء (٣١٩ / ٤) .

(٣) حلية الأولياء (٣٢٠ / ٤) .

(٤) أعلام النبلاء (٣١٨ / ٤) .

٥ - قصة خروجه مع القراء على الحجاج واعتذاره إليه

قال الذهبي : خرج القراء وهم أهل القرآن والصلاح بالعراق على الحجاج لظلمه ، وتأخير الصلاة ، والجمع في الحضر ، وكان ذلك مذهباً واهياً لبني أمية ، كما أخبر النبي ﷺ : « يكون عليكم امراء يميئون الصلاة » . فخرج على الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندي ، وكان شريفاً مطاعاً ، وجدته أخت الصديق ، فالتف على مائة ألف أو يزيدون ، وضاعت على الحجاج الدنيا ، وكاد أن يزول ملكه ، وهزموه مرات ، وعان التلف ، وهو ثابت مقدم إلى أن انتصر وتمزق جمع ابن الأشعث ، وقتل خلق كثير من الفريقين فكان من ظفر به الحجاج منهم قتله إلا من باء منهم الكفر على نفسه فيدعه ^(١) .

عن مجالد عن الشعبي قال : لما قدم الحجاج سألني عن أشياء من العلم فوجدني بها عارفاً فجعلني عريفاً على قومي الشعبيين ومنكباً ^(٢) على جميع همدان ، وفرض لي ، فلم أزل عنده بأحسن منزلة حتى كان شأن عبد الرحمن ابن الأشعث ، فأتاني قراء أهل الكوفة فقالوا : يا أبا عمرو إنك زعيم القراء ، فلم يزالوا حتى خرجت معهم ، فقامت بين الصنفين أذكر الحجاج وأعيبه بأشياء ، فبلغني أنه قال : ألا تعجبون من هذا الخبيث ، أما لئن أمكنني الله منه لأجعلن الدنيا عليه أضيض من مسك ^(٣) . جمل . قال : فما لبثنا أن هزمنا ، فجئت إلى بيتي وأغلقت عليّ ، فمكثت تسعة أشهر ، فندب الناس لخرسان فقام قتيبة بن مسلم فقال : أنا لها فعقد له على خرسان ، فنادى مناديه من لحق بعسكر قتيبة فهو آمن ، فاشتري مولى لي حماراً وزودني ثم خرجت فكنت في العسكر فلم أزل معه حتى أتينا فرغانة ^(٤) . فجلس ذات يوم

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٠٦ ، ٣٠٧) .

(٢) قال الليث : منكب القوم رأس العرفاء .

(٣) المسك : الجلد .

(٤) مدينة وكورة واسعة بها وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان .

وقد برق ^(١) . فنظرت إليه فقلت : أيها الأمير عندى علم ما تريد . فقال : من أنت ؟ قلت : أعيدك أن لا تسأل عن ذلك ، فعرف أنى ممن يخفى نفسه ، فدعا بكتاب فقال : اكتب نسخة قلت : لا تحتاج إلى ذلك فجعلت أمل عليه وهو ينظر حتى فرغ من كتاب الفتح ، قال : فحملنى على بغلة ، وأرسل إلى بسرقة من حرير ، وكنت عنده بأحسن منزلة ، فإنى ليلة أتعشى معه إذا أنا برسول الحجاج بكتاب فيه : إذا نظرت إلى كتابى هذا فإن صاحبك كتابك عامر الشعبى ، فإن فاتك قطعت يدك على رجلك وعزلتك . قال : فالتفت إلى . وقال : ما عرفتك قبل الساعة ، فذهب حيث شئت من الأرض ، فوالله لأحلفن له بكل يمين ، فقلت : أيها الأمير إن مثلى لا يخفى ، فقال : أنت أعلم . قال فبعثنى إليه وقال : إذا وصلت إلى خضراء واسط فقيده ثم أدخلوه على الحجاج .

فلما دنوت من واسط ، استقبلنى ابن أبى مسلم فقال : يا أبا عمرو إتنى لأضن بك عن القتل ، إذا دخلت فقل : كذا وكذا . فلما أدخلت عليه ورأتى قال : لا مرحباً ولا أهلاً جئتنى ولست فى الشرف من قومك ولا عريقاً فقلت وفعلت ، ثم خرجت على وأنا ساكت فقال : تكلم فقلت : أصلح الله الأمير ، كل ما قلته حق ولكننا قد اكتحلنا بعدك السهر ، وتحلسنا الخوف ، ولم تكن مع ذلك بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء ، فهذا أوان حقنت لى دمنى ، واستقبلت بى التوبة . قال : قد فعلت ذلك ^(٢) .

وعن عبادة بن موسى عن الشعبى قال : أتى بى الحجاج موثقاً ، فلما انتهيت إلى باب القصر ، لقينى يزيد بن أبى مسلم ، فقال : إنا لله يا شعبى لما بين دفتيك من العلم ، وليس يوم شفاعة ، بوء للأمير بالشرك والنفاق على نفسك ، فبالحرى أن تنجو ، ولقينى محمد بن الحجاج فقال : لى مثل مقالة يزيد . فلما دخلت عليه قال : وأنت يا شعبى فىمن خرج علينا وكثر . قلت :

(١) برق : أى تحير .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٠٤ ، ٣٠٥) .

وقوله أحزن بنا المنزل أى صار ذا حزن أى خشونة ، واستحلنا الخوف أى لزنا .

أصبح الله الأمير ، أحزن بنا المنزل ، وأجذب بنا الجناب ، وضاق المسلك ، واكتحلني السهر ، واستحلستنا الخوف ودمغنا في خربة خربة ، ولم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء . قال : صدق والله ، ما بروا في خروجهم علينا ، ولا قروا علينا حيث فجروا ، فأطلقا عنه . قال فأحتاج إلى فريضة فقال : ما تقول : في أخت وأم وجد ؟ قلت : يختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله ﷺ عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وعلى وابن عباس رضي الله تعالى عنهم . قال : فما قال فيها ابن عباس إن كان لمفتياً قال : جعل الجد أبا وأعطى الأم الثلث ولم يعط الأخت شيئاً . قال : فما قال فيها أمير المؤمنين يعني عثمان ؟ قلت : جعلها ثلاثاً . قال : فما قال فيها زيد بن ثابت ؟ قلت : جعلها من تسعة فأعطى الأم ثلثاً ، وأعطى الجد أربعاً ، وأعطى الأخت سهمين ، قال : فما قال فيها ابن مسعود ؟ قلت جعلها من ستة ، أعطى الأخت ثلاثاً ، وأعطى الأم سهماً ، وأعطى الجد سهمين . قال : فما قال فيها أبو تراب ؟ قلت : جعلها من ستة . أعطى الأخت ثلاثاً ، وأعطى الجد سهماً ، وأعطى الأم سهمين ، قال : مر القاضي فيمضها على ما أمضاها أمير المؤمنين عثمان ^(١) .

٦ - ملح من أخباره وطرائف من آثاره

عن عامر بن يساف قال : قال لى الشعبي : امضى بنا نفر من أصحاب الحديث فخرجنا ، قال : فمر بنا شيخ قال له الشعبي : ما صنعتك ؟ قال : رفاء قال : عندنا دن مكسوره ترفوه لنا ؟ قال : إن وهبت لى سلوكاً من رمل رفوته ، فضحك الشعبي حتى استلقى ^(١) .

وقد ذكر صاحب المراح فى المراح جملة من نوارده ، فمن ذلك :
قال : سأل رجل الشعبي عن المسح على اللحية فقال : خللها بأصابعك فقال : أخاف أن لا تبليها . قال الشعبي : إن خفت فانقعها من أول الليل وسأله آخر : هل يجوز للمحرم أن يحك بدنه ؟ قال : نعم قال : مقدار كم ؟ قال : حتى يبدو العظم .

وسئل عن أكل لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكفاف ^(٢) .
وذكر المحقق جملة أخرى من مداعباته قال : دخل الشعبي الحمام فرأى داود الأودى بلا مثزر فغمض عينيه . فقال له داود : متى عميت يا أبا عمرو قال : منذ هتك الله سترك .

وجاءه رجل فقال : اكتريت حماراً بنصف درهم فجئتك لتحدثنى فقال : إكتر بالنصف الآخر وارجع ، فما أريد أن أحدثك .

وقيل له : هل تمرض الروح ؟ قال : نعم من ظل الشقلاء ، قال بعض أصحابه : فمررت به يوماً وهو بين ثقيلين فقلت : كيف الروح ؟ قال : فى النزاع ^(٣) .

(١) تذكرة الحفاظ (١ / ٨٧)

(٢) المراح فى المراح ليدر الدين أبى البركات العربى (٣٩ ، ٤٠) ط مكتبة الثقافة الدينية

(٣) أخبار الحمقى والمغاجين لابن الجوزى نقلًا عن هامش المراح فى المراح (٤١)

وقال مجالد عن الشعبي : إني لجالس يوما إذا أقبل حمّال معه دَنّ حتى وضعه ، ثم جاءني فقال : أنت الشعبي ؟ قلت : نعم . قال أخبرني عن إبليس هل له زوجة ؟ قلت : إن ذاك لمرس ما شهدته . قال : ثم ذكرت قول الله تعالى : ﴿ أَفَتُخَذُّونَهُ وَذُرِيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي ﴾ قال : فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة ^(١) .

٧ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه: قال الحافظ : روى عن علي ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وزيد بن ثابت ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وقرظة بن كعب ، وعبادة بن الصامت ، وأبي موسى الأشعري ، وأبي مسعود الأنصاري ، وأبي هريرة ، والمغيرة بن شعبة ، وأبي جحفة السوائي ، والنعمان بن بشير ، وأبي ثعلبة الخشني ، وجريز بن عبد الله البجلي ، وبريدة بن الخصيب ، والبراء بن عازب ، ومعاوية ، وجابر بن عبد الله ، وجابر بن سمرة ، وجريز بن عبد الله ، والحرث بن مالك بن البصراء ، وحبشي بن جنادة ، والحسن ، وزيد بن أرقم ، والضحاك بن قيس ، وسمرة بن جندب ، وعامر بن شهر ، والعبادلة الأربعة ، وعبد الله بن مطيع ، وعبد الله بن يزيد الخطمي ، وعبد الرحمن بن سمرة ، وعدى بن حاتم ، وعروة بن الجعد البارقى ، وعروة بن مضر بن عمرو بن أمية ، وعمرو بن حريث ، وعمران بن حصين وعوف بن مالك ، وعياض الأشعري ، وكعب بن عجرة ، ومحمد بن صيفي ، والمقدام بن معد يكرب ، ووابصة بن معبد ، وأبي جبيرة بن الضحاك ، وأبي سريحة الغفاري ، وأبي سعيد الخدري ، وأنس ، وعائشة ، وأم سلمة ، وميمونة بنت الحرث ، وأسماء بنت عميس ، وفاطمة بنت قيس ، وأم هانئ بنت أبي طالب ، وغيرهم من الصحابة .

ومن التابعين : عن الحرث الأعور ، وخارجة بن الصلت ، وزر بن حبيش ، وسفيان بن الليل ، وسمعان بن مشيخ ، وسويد بن غفلة ، وشريح القاضي ، شريح بن هانئ ، وعبد خير الهمداني ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعروة ابن المغيرة بن شعبة ، وعلقمة بن قيس ، وعمرو بن ميمون الأودي ، ومسروق ابن الأجدع ، والمحرر بن أبي هريرة ، ووراد كاتب المغيرة ، وأبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، وأرسل عن عمر وطلحة وابن مسعود^(١)

تلاميذه :

قال الحافظ : وعنه أبو اسحاق السبيعي ، وسعيد بن عمرو بن أشوع ، وإسماعيل ابن أبي خالد ، وبيان بن بشر ، وأشعث بن سوار ، وتوبة العنبري ، وحصين بن عبد الرحمن ، وداود بن أبي هند ، وزيد اليامي ، وزكريا بن أبي زائدة ، وسعيد بن مسروق الثوري ، وسلمة بن كهيل ، وأبو إسحاق الشيباني ، والأعمش ومنصور ، ومغيرة ، وسماك بن حرب ، وصالح بن حيي ، وسيار أبو الحكم ، وعبد الله بن بريدة ، وعاصم الأحول ، وأبو الزناد ، وعبد الله بن أبي السفر ، وابن عون ، وعبد الملك بن سعيد بن أبجر ، وأبو حصين الأسدي ، وأبو فروة الهمداني ، وعمر بن أبي زائدة ، وعون بن عبد الله بن عتبة ، وفراس ابن يحيى الهمداني ، وفضيل بن عمرو الفقيمي ، وقتادة ، ومجالد بن سعيد ، ومطرف بن طريف ، ومنصور بن عبد الرحمن الغداني ، وأبو حيان التيمي ، وجماعات ^(١) .

(١) تهذيب التهذيب (٥ / ٥٨ ، ٥٩) .

٨ - من أقواله رحمه الله

قال أبو الحسن المدائني في كتاب الحكمة : قيل للشعبي : من أين لك كل هذا العلم ؟ قال : بنفى الاغتمام ، والسير في البلاد ، وصبر كصبر الحمام ، وبكور كبكور الغراب ^(١) .

وعن ابن شبرمة عن الشعبي قال : إنما سمى هوى لأنه يهوى بأصحابه ^(٢) .

وعن أبي الحجاجية الفراء قال : قال الشعبي : إنا لسنا بالفقهاء ، ولكننا سمعنا الحديث فروينا ، ولكن الفقهاء من إذا علم عمل ^(٣) .

وعن مالك بن مغول قال : قيل للشعبي : أيها العالم فقال : العالم من يخاف الله ^(٤) .

وعن أبي اسحاق عن الشعبي قال : ما ترك أحد في الدنيا شيئاً لله إلا أعطاه الله في الآخرة ما هو خير له ^(٥) .

وعن مجالد عن الشعبي قال : تعايش الناس بالدين زمناً طويلاً حتى ذهب الدين ، ثم تعايش الناس بالمرءة زمناً طويلاً حتى ذهبت المرءة ، ثم تعايش الناس بالحياء زمناً طويلاً حتى ذهب الحياء ثم تعايش الناس بالرغبة والرغبة ، وأظن أنه سيأتي بعد هذا ما هو أشد منه ^(٦) .

وعن ابن عياش عن الشعبي قال : كانت العرب تقول إذا كانت محاسن الرجل تغلب مساوية فذلكم الرجل الكامل ، وإذا كانا متقاربتين فذلكم المتماثل ، وإذا كانت المساوي أكثر من المحاسن فذلكم المتهتك ^(٧) .

(٥) حلية الأولياء (٤ / ٣١٢) .

(٦) حلية الأولياء (٤ / ٣١٢) .

(٧) حلية الأولياء (٤ / ٣١٢ ، ٣١٣) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٠٠) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣١٨) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٠٣) .

(٤) حلية الأولياء (٤ / ٣١١) .

وعن مجالد عن الشعبي قال : شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عندها تبكي فقلت : أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة ؟ فقال : يا شعبي إن إخوة يوسف جاؤا أباهم عشاءً يكون^(١) .

قال : عيسى بن أبي عيسى الخياط عن الشعبي : إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان : العقل والنسك ، فإن كان ناسكاً ولم يكن عاقلاً ، قال هذا أمر لا يناله إلا العقلاء فلم يطلبه ، وإن كان عاقلاً ولم يكن ناسكاً قال : هذا أمر لا يناله إلا النساك فلم يطلبه ، قال الشعبي : ولقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم من ليست فيه واحدة منهما ، لا عقل ولا نسك^(٢) .

وعن محمد بن بشر أو بشير قال : قال الشعبي : اتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدین فإنها آفة كل مفتون^(٣) .

وعن داود بن أبي هند عن الشعبي : الرجال ثلاثة : رجل ونصف رجل ، ولا شيء ، فأما الرجل التام هو الذي له رأى وهو يستشير ، وأما نصف الرجل فالذي ليس له رأى وهو يستشير ، وأما الذي لا شيء ، فالذي ليس له رأى ولا يستشير^(٤) .

وعن مجالد عن الشعبي : العلم أكثر من أن يحصى ، فخذ من كل شيء أحسنه^(٥) .

وقال أيضاً عنه : ليس حسن الجوار أن تكف أذاك عن الجار ، ولكن حسن الجوار أن تصبر على أذى الجار^(٦) .

(٤) تهذيب الكمال (٣٦ / ١٤) .

(٥) تهذيب الكمال (٣٨ / ١٤) .

(٦) تهذيب الكمال (٣٨ / ١٤) .

(١) حلية الأولياء (٤ / ٣١٣) .

(٢) تهذيب الكمال (٣٦ / ١٤) .

(٣) تهذيب الكمال (٣٦ / ١٤) .

٩ - وفاته رحمه الله

قال الهيثم بن عدي ويحيى بن بكير : مات سنة ثلاث ومئة . زاد يحيى
وسنة تسع وسبعون سنة .

وقال يحيى بن معين وغيره : مات سنة ثلاث أو أربع ومائة .

وقال أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد القطان : مات قبل الحسن يسير
ومات الحسن سنة عشر ومائة بلا خلاف ^(١) .
فرحمه الله رحمة واسعة .

(١) تهذيب الكمال (١٤ / ٣٩ ، ٤٠) باختصار .

من أعلام السلف

٧

طاووس بن كيسان

٧ - طاووس بن كيسان

بين يدي الترجمة :

مع سلسلة من أعلام السلف المباركة ، وَعَلَمْنَا وَعَالَمْنَا في هذه الترجمة
 إمام من أئمة التابعين من أهل اليمن ، والإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، إنه
 طاووس بن كيسان من تلامذة ابن عباس رضي الله عنه ، وقيل سُمِّيَ طاووساً لأنه كان
 طاووس القراء ، كان من أزهد الناس وأورعهم ، وأشدّهم على الحكام
 الجائرين ، فرحم الله أئمتنا وجمعنا بهم في عليين ، مع النبيين والصديقين
 والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، صلى الله وسلم وبارك على
 المبعوث رحمة للعالمين .

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : طاووس بن كيسان اليمنى الحميرى مولى بحير بن كريسان الحميرى من أبناء فارس .

وقال أبو خاتم بن حبان وأبو بكر بن منجوية ، كانت أمه من أبناء فارس ، وأبو من قاسط .

وقيل : اسمه ذكوان وطاووس لقبه .

وروى عن يحيى بن معين قال : سمى طاووس ؛ لأنه كان طاووس القراء^(١)

مولده : قال الذهبي : أراه ولد فى دولة عثمان رضي الله عنه أو قبل ذلك^(٢) .

صفته : قال جرير بن حازم : رأيت طلوس يخطب بحناء شديد الحمرة ، وقال فطر بن خليفة : كان طاووس يصبغ بالحناء .

وقال عبد الرحمن بن أبى بكر المُلَيْكى : رأيت طاووساً وبين عينيه أثر السجود^(٣) .

(١) تهذيب الكمال باختصار (١٣ / ٣٥٧ ، ٣٥٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٨ / ٥) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٤) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال حبيب بن الشهيد : كنت عند عمرو بن دينار فذكر طاووس فقال :
مارأيت أحداً قط مثل طاووس^(١) .

وعن عثمان بن سعيد قال : قلت ليحيى بن معين : طاووس أحب إليك أو
سعيد بن جبير ؟ فقال : ثقات ولم يُخِرْهُ^(٢) .

وروى عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : إني لأظن طاووساً من أهل
الجنة^(٣) .

وقال ابن شهاب : لو رأيت طاووساً علمت أنه لا يكذب^(٤) .

وقال ابن حبان : كان من عباد أهل اليمن ومن فقائهم ، ومن سادات
التابعين^(٥) .

وعن ابن عيينة قال : قلت لعبيد الله بن أبي يزيد مع من كنت تدخل
على ابن عباس ؟ قال : مع عطاء وأصحابه . قلت : وطاووس ؟ قال : أيهان
ذاك كان يدخل مع الخواص^(٦) .

وعن ابن أبي نجيح قال : قال مجاهد لطاووس : رأيتك يا أبا عبد الرحمن
تصلي في الكعبة ، والنبي ﷺ على بابها يقول لك اكشف قناعك وبين
قراءتك ، قال طاووس : اسكت لا يسمع هذا منك أحد قال : ثم خيل إلي أنه
انبسط في الكلام يعنى فرحاً بالمنام^(٧) .

(٥) الثقات (٤ / ٣٩١) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٦) .
(٧) طبقات ابن سعد (٥ / ٥٣٨) .

(١) الجرح والتعديل (٤ الترجمة ٢٢٣) .
(٢) الجرح والتعديل (٤ الترجمة ٢٢٠٣) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٩) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٣) .

وقد كان من عادته رحمه الله التقنع ، فعن حاتم وابن أيوب الجعفي قال :
كان طاووس يتقنع لا يدع التقنع ^(١) .

وعن يونس بن الحارث قال : رأيت طاووساً يصلي وهو متقنع ^(٢) .

وعن قيس بن معد قال : كان طاووس فينا مثل ابن سيرين فيكم ^(٣) .

وقال سفيان : وحلف لنا إبراهيم بن ميسرة وهو مستقبل الكعبة : ورب هذه البنية ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة إلا طاووساً ^(٤) .

وروى جعفر بن برقان قال : حدثنا طاووس ، ولا تحسبن فينا أحداً أصداق
لهجة من طاووس ^(٥) .

(١) طبقات ابن سعد (٥ / ٥٣٨) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥ / ٥٣٨) .

(٣) طبقات ابن سعد (٥ / ٥٤١) .

(٤) تهذيب الكمال (١٣ / ٣٧١) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٦) .

٣ - ورعه وزهده وخشيته

عن عبد الله بن بشر أن طاووس اليماني كان له طريقان إلى المسجد طريق في السوق ، وطريق آخر فيأخذ في هذا يوماً وفي هذا يوماً فإذا مر في طريق السوق فرأى تلك الرؤوس المشوية لم ينمس تلك الليلة ^(١) .

وعن سفيان الثوري قال : كان طاووس يجلس في بيته فقيل له في ذلك فقال : حيف الأئمة وفساد الناس ^(٢) .

وعن ابن طاووس قال : قلت لأب أريد أن أتزوج فلانة قال : اذهب فانظر إليها ، قال : فذهبت فلبست من صالح ثيابي وغسلت رأسي وأتيت فلما رأني في تلك الهيئة قال : اقعد لا تذهب ^(٣) .

عن عبد الرزاق قال : سمعت النعمان بن الزبير الصفاني يحدث أن محمد بن يوسف أخا الحجاج ، أو أيوب بن يحيى بعث إلى طاووس بسبعمائة دينار أو خمسمائة وقيل للرسول : إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك ، قال : فخرج بها حتى قدم على طاووس فقال : يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث الأمير بها إليك . قال مالي بها من حاجة ، فأراده على أخذها فأبى أن يقبل طاووس فرمى بها في كوة البيت ثم ذهب ، فقال لهم أخذها ، فلبثوا حيناً ثم بلغهم عن طاووس شيئاً يكرهونه فقال : ابعثوا إليه فليبعث إلينا بما لنا ، فجاءه الرسول فقال : المال الذي بعث به إليك الأمير قال : ما قبضت منه شيئاً فرجع الرسول فأخبرهم فعرفوا أنه صادق فقال : انظروا الذي ذهب بها فابعثوا إليه فبعثوه فجاءه وقال : المال الذي جئتك به يا أبا عبد الرحمن ، قال : هل قبضت منك شيئاً قال لا ، قال : هل تعلم أين وضعته ؟ قال : نعم في تلك

(١) حلية الأولياء (٤ / ٤) .

(٢) حلية الأولياء (٤ / ٤) .

(٣) حلية الأولياء (١٠ / ٤) .

الكوة ، قال : انظر حيث وضعته ، فمد يده إذا هو بالصرة قد نبت عليها العنكبوت قال : فأخذها فذهب بها إليهم ^(١) .

وعن أيوب قال : سأل رجل طاووساً عن شيء فانتهزه ثم قال : يريد أن يجعل في عنقي حبل ثم يطاف بي ^(٢) .

وعن عمر بن طاووس قال : جاء رجل من الخوارج إلى أبي فقال : أنت أخي . فقال : أبي ، أمن بين عباد الله ، المسلمون كلهم أخوة ^(٣) .

وعن أبي عاصم قال : زعم لي سفيان قال : جاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاووس فلم يلتفت إليه فقيل له : جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه ؟ قال : أردت أن يعلم أن لله عبداً يزهدون فيما في يديه ^(٤) .

وقال الحافظ : قال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً أعفَّ عما في أيدي الناس من طاووس . وقال ابن عينة : متجنبوا السلطان ثلاثة : أبو ذر في زمانه ، وطاووس في زمانه ، والثوري في زمانه ^(٥) .

وروى عن عبد الرازق عن أبيه قال : كان طاووس يصلي في غداة باردة مغيمة فمر به محمد بن يوسف أخو الحجاج أو أيوب بن يحيى في موكبه وهو ساجد ، فأمر بسباخ أو طيليان مرتفع فطرح عليه فلم يرفع رأسه حتى فرع من حاجته ، فلما سلم نظر فإذا السباخ عليه ، فانتفض ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله ^(٦) .

وقال عبد الرحمن بن أبي بكر الملكي : رأيت طاووساً وبين عينيه أثر السجود ^(٧) .

- | | |
|------------------------------------|------------------------------------|
| (١) حلية الأولياء (١٤ / ١٥) . | (٢) تهذيب الكمال (١٣ / ٣٦٨) . |
| (٣) تهذيب الكمال (١٣ / ٣٦٩) . | (٤) تهذيب الكمال (١٣ / ٣٧٢) . |
| (٥) تهذيب التهذيب (٥ / ١٠) . | (٦) سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٧) . |
| (٧) سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٤) . | |

٤ - عبادته رحمه الله

عن داود بن إبراهيم : أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج فدقّ الناس بعضهم بعضاً ، فلما كان السحر ذهب عنهم فتزل الناس يميناً وشمالاً فألقوا أنفسهم وناموا ، فقام طاووس يصلى فقال له رجال : ألا تنام فإنك نصبتَ هذه الليلة ؟ فقال طاووس : وهل ينام السحر أحد^(١) .

وعن ابن شاذب قال : شهدت جنازة طاووس بمكة سنة خمس ومائة فجعلوا يقولون : رحم الله أبا عبد الرحمن حجَّ أربعين حجة^(٢) .

(١) حلية الأولياء (٤ / ١٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٥) .

٥ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

قال المزي : روى عن جابر بن عبد الله ، وحجر المدري ، وزيد بن الأعجم ، وزيد ابن أرقم ، وعبد الله بن شداد بن الهاد ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ولم يلقه ، وأبي هريرة ، وعائشة أم المؤمنين ، وأم كبرز الكعبية ، وأم مالك البهزية ^(١) .

وقال عبد الملك بن ميسرة عنه أدركت خمسين من الصحابة ^(٢) .

تلامذته :

قال الحافظ : وعنه ابنه عبد الله ووهب بن منبه ، وسليمان القيمي ، وسليمان الأحول ، وأبو الزبير ، وإبراهيم بن ميسرة ، وحبيب بن أبي ثابت ، والحكم بن عتبة ، والحسن بن مسلم بن يناق ، وسليمان بن موسى الدمشقي ، وعبد الكريم الجزري ، وعبد الكريم أبو أمية ، وعبد الملك بن ميسرة ، وعمرو بن شعيب ، وعمرو بن دينار ، وعمرو بن مسلم الجندی ، وقيس بن سعد المكي ، ومجاهد ، وليث بن أبي سليم ، وهشام بن حجير وغيرهم ^(٣) .

(١) تهذيب الكمال (١٣ / ٣٥٨)

(٢) تهذيب التهذيب (٩ / ٥)

(٣) تهذيب التهذيب (٩ / ٥)

٦ - درر من أقوله رحمه الله

عن أبان أبي نجيع عن أبيه أن طاووساً قال له : أى أبا نجيع من قال :
واتقى الله خير من صمت واتقى الله ^(١) .

وعن هشام بن حجير عن طاووس قال : لا يتم نسك الشاب حتى
يتزوج ^(٢) .

وعن إبراهيم بن ميسرة قال : قال لى طاووس لتتكنن أو لأقولن ما قال
عمر بن الخطاب لأبى الزوائد : ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور ^(٣) .

وعن سفيان قال سمعت طاووساً يقول : لا يحرز دين المرء إلا
حفرته ^(٤) .

وعن ابن طاووس عن أبيه قال : البخل أن يبخل الإنسان بما فى يديه ،
والشح أن يحب الإنسان أن يكون له ما فى أيدى الناس بالحرام لا يقنع ^(٥) .

وعن ابن طاووس عن أبيه قال : كان رجل له أربع بنين فمرض فقال
أحدهم : إما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شئ ، وإما أن أمرضه وليس لى
من ميراثه شئ ، قالوا مرضه ، وليس لك من ميراثه شئ . قال : فمرضه حتى
مات ولم يأخذ من ميراثه شيئاً .

قال فأتى فى النوم فقيل له : إئت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار
فقال فى نومه : أفيها بركة ؟ قالوا : لا قال : فأصبح فذكر ذلك لامرأته فقالت
امرأته خذها فإن من بركتها أن نكتسى منها فأبى ، فلما أمسى أتى فى النوم
فقيل له : إئت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير فقال : أفيها بركة ؟

(١) حلية الأولياء (٥ / ٤) .

(٢) حلية الأولياء (٦ / ٤) .

(٣) حلية الأولياء (٥ / ٤) .

(٤) حلية الأولياء (٦ / ٤) .

(٥) حلية الأولياء (٦ / ٤) .

قالوا : لا ، فلما أصبح قال ذلك لامرأته فقالت له مثل مقالتها الأولى ، فأبى أن يأخذها ، فأتى في الليلة الثالثة فقيل له : أثت مكان كذا وكذا فخذ منه ديناراً فقال : أفيه بركة ؟ قالوا : نعم ، قال : فذهب فأخذه ثم خرج إلى السوق فإذا هو برحل يحمل حوتين فقال : يكُمّهما ؟ قالوا بدينار ، قال : فأخذهما منه بدينار ثم انطلق بهما فلما دخل بيته شق بطنهما فوجد في بطن كل واحدة منهما درة لم ير الناس مثلها . قال فبعث الملك يطلب درة يشترها فلم توجد إلا عنده ، فباعها بوقر ثلاثين بغلاً ذهباً فلما رآها الملك قال : ما تصلح هذه إلا بأخت ، اطلبوا أختها وإن أضعفتم قال : فجاءوا فقالوا : أعنتك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك قال : وتفعلون ، قالوا : نعم ، فأعطاهم إياها بضعف ما أخذوا الأولى (١)

وعن ابن طاووس عن أبيه قال : لقي عيسى عليه السلام إبليس فقال : أما علمت أنه لا يصيبك إلا ما قدر لك . قال : نعم ، قلت : فارق ذروة هذا الجبل فتردّ منه ، فانظر أتعيش أم لا . قال عيسى : إن الله يقول : لا يجربني عبدى فإنى أفعل ما شئت .

ورواه معمر عن الزهري وفيه فقال : إن العبد لا يستلّي ربّه ، ولكن الله يستلّي عبده : قال فخصمه (٢)

وعن طاووس قال : ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا أحصى عليه حتى أنينه في مرضه (٣)

عن أبي عبد الله الشامي قال : استأذنت عليّ طاووس لأسأله عن مسألة فخرج عليّ شيخ كبير فظننه هو فقال : لا أنا ابنه قلت : إن كنت ابنه فقد

(١) حلية الأولياء (٤ / ٨٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥٠ / ٤٣) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٥٠ / ٤٣) .

خَرَّف أبوك ، قال تقول ذاك إن العالم لا يخرف . قال : فدخلت فقال لي
 طاووس : سل وأجز ، وإن شئت علمتك في مجلسك هذا القرآن والتوراة
 والإنجيل . قلت إن عملتنيهم لا أسألك عن شيء . قال : خف الله مخافة لا
 يكون شيء عندك أخوف منه ، وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه ، وأحب
 للناس ما تحبه لنفسك ^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٧) .

٧ - وفاته رحمه الله

قال محمد بن عمر الواقدي ويحيى القطان والهيثم وغيرهم : مات طاووس سنة ستة ومائة ، ويقال كانت وفاته يوم التروية من ذى الحجة ، وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك ، اتفق له ذلك ، ثم بعد أيام اتفق له الصلاة بالمدينة على سالم بن عبد الله ^(١) .

وروى عبد الرزاق عن أبيه قال : مات طاووس بمكة فلم يصلوا عليه حتى بعث هشام بن عبد الملك بالحرس . قال : فلقد رأيت عبد الله بن الحسن بن الحسن واضعاً السرير على كاهله ، فسقطت قلنسوة كانت عليه ، ومزق رداؤه من خلفه فما زايله إلى القبر ، توفي بمزدلفه أو بمنى ^(٢) .

وقال الذهبي : توفي طاووس بمكة أيام الموسم ، ومن زعم أن قبر طاووس بعلبك فهو لا يدري ما يقول ، بل ذاك شخص اسمه طاووس إن صح ، كما أن قبر أبي بشرق دمشق ، وليس بأبي بن كعب البته ^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤٥ / ٥) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٥ / ٥) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٥ ، ٤٤ / ٥) .

من أعلام السلف



الحسن البصري

رحمه الله

٨ - الحسن البصرى

بين يدي الترجمة :

فمع أحد العلماء العاملين ، وأئمة التابعين ، الإمام الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء ، تشرب بالعلم حتى نطق بالحكمة ، وصفة أبو نعيم فقال : ومنهم حليف الخوف والحزن ، أليف الهم والشجن ، عديم النوم والوسن ، أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن ، الفقيه الزاهد ، المتشمر العابد ، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذاً ولشهوة النفس ونخوتها واقداً^(١) .

ووصفه الذهبى فقال : مناقبه كثيرة ومحاسنه غزيرة ، كان رأساً فى العلم والحديث ، إماماً مجتهداً ، كثير الإطلاع ، رأساً فى القرآن وتفسيره ، رأساً فى الوعظ والتذكير ، رأساً فى الحلم والعبادة ، رأساً فى الزهد والصدق ، رأساً فى الفصاحة والبلاغة ، رأساً فى الأيد والشجاعة .

كان رجلاً مليحاً ، تام الشكل ، حسن الصورة ، طال عمره فى العلم والعمل فقال ابنه : عاش أبى ثمانية وثمانين سنة ، عصمه الله عز وجل من الفتن ، فلم يخف فى فتنة ابن الأشعث ، وسلك مسلك الورع ، فكان ينهى عن الانضمام إليه ، وكذا إلى جيش الحجاج ، فأمر باعتزال الجميع ، وهذا هو الواجب على المسلم فى الفتن ، وكان يرى الحجاج الثقفى عقوبة من الله عز وجل ، ومع ذلك يدعو إلى اللجوء إلى الله عز وجل ، وعدم اللجوء إلى السلاح ، فإنهم إذا لجأوا إلى الله عز وجل جعل لهم من ظلم الظالمين فرجاً ومخرجاً ، إذا لجأوا إلى السلاح وإلى الخروج عليهم وكلوا إليه فلا يغنى عنهم شيئاً ، فما أحوج المسلمين إلى معرفة أخباره ، والانتفاع بآثاره .

وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) الرقعة : الضرب حتى يسترخى ويشرف على الموت .

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : الحسن بن أبي الحسن واسمه يسار البصرى أبو سعيد ، مولى زيد ابن ثابت ، ويقال : مولى جابر بن عبد الله ، ويقال مولى جميل بن قطبة بن عامر بن حديدة ، ويقال : مولى أبي اليسر ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ ويقال : إن يسار والد الحسن من مبي ميسان .

مولده : ولد الحسن لستين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

صفته : قال محمد بن سعد : كان الحسن رحمه الله جامعاً عالماً رفيماً فقيهاً ثقة حجة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً ^(١) .
قال الذهبي : كان رجلاً تاماً الشكل ، مليح الصورة ، بهياً ، وكان من الشجعان الموصوفين ^(٢) .

وعن العوام بن حوشب قال : ما أشبه الحسن إلا بنبي ^(٣) .

عن شعبة قال : رأيت الحسن وعليه عمامة سوداء ^(٤) .

وعن عاصم بن سيار الرقاشي : أخبرتني أمة الحكم قالت : كان الحسن يجرى إلى حطان بن عبد الله الرقاضي ، فما رأيت شاباً قط كان أحسن وجهاً ^(٥) منه .

(١) طبقات ابن سعد (١٥٧ / ٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥٧٢ / ٤) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٥٧٢ / ٤) .

(٤) تاريخ الإسلام (٥١ / ٧) .

(٥) تهذيب الكمال (١٠٦ / ٦) .

٢ - ثناء العلماء عليه

- عن أبي بردة قال : ما رأيت أحداً أشبه بأصحاب محمد ﷺ منه ^(١) .
- وعن حميد بن هلال قال : قال لنا أبو قتادة : الزموا هذا الشيخ ، فما رأيت أحداً أشبه رأياً بعمر منه ، يعنى الحسن ^(٢) .
- وعن أنس بن مالك قال : سلوا الحسن ، فإنه حفظ ونسينا ^(٣) .
- وعن أيوب قال : كان الحسن يتكلم بكلام كأنه الدر ، فتكلم قوم من بعده بكلام يخرج من أفواههم كأنه القيء ^(٤) .
- قال ابن سعد : قدم مكة فأجلسوه على سرير واجتمع الناس إليه فحدثهم ، فكان فيمن أثناه مجاهد ، وعطاء ، وطاووس ، وعمرو بن شعيب ، فقالوا أو قال بعضهم : لم نر مثل هذا قط ^(٥) .
- وعن قتادة قال : ما جمعت علم الحسن إلى علم أحدٍ إلا وجدت له عليه فضلاً ، غير أنه كان إذا أشكل عليه شيء كتب فيه إلى سعيد بن المسيب يسأله ^(٦) .
- وقال أيوب السختياني : كان الرجل يجلس إلى الحسن ثلاث حجج مائسأله عن مسألة هيبة له ^(٧) .
- وقال معاذ بن معاذ : قلت لأشعث : قد لقيت عطاء وعندك مسائل أفلا سألته ؟ قال : ما لقيت أحداً بعد الحسن إلا صغر في عيني ^(٨) .

(٥) طبقات ابن سعد (١٥٨ / ٧) .
 (٦) طبقات ابن سعد (٥٧ / ٧) .
 (٧) طبقات ابن سعد (٥٧ / ٧) .
 (٨) طبقات ابن سعد (٥٧ / ٧) .

(١) سير أعلام النبلاء (٥٧٢ / ٤) .
 (٢) سير أعلام النبلاء (٥٧٣ / ٤) .
 (٣) سير أعلام النبلاء (٥٧٣ / ٤) .
 (٤) سير أعلام النبلاء (٥٧٧ / ٤) .

وقال قتادة : ما جالست فقيهاً إلا رأيت فضل الحسن عليه ^(١).

وعن الأشعث بن سوار قال : أردت أن أقدم البصرة لألقى الحسن ، فسألت الشعبي فقلت : يا أبا عمرو إني أريد أن آتى البصرة ، قال : وما تصنع بالبصرة ؟ قلت : أريد أن ألقى حسن فصفه لى قال : نعم . أنا أصفه إذا دخلت البصرة فادخل مسجد البصرة ، فارم ببصرك ، فإذا رأيت فى المسجد رجلاً ليس فى المسجد مثله ، أو لم تر مثله ، فهو الحسن . قال الأشعث : فأتيت مسجد البصرة فما سألت عن الحسن أحداً حتى جلست إليه بنعت الشعبي ^(٢).

وعن خالد بن صفوان قال : لقيت مسلمة بن عبد الملك فقال أخبرنى عن حسن أهل البصرة . قلت : أصلح الله الأمير أخبرك عنه بعلم ، أنا جاره إلى جنبه ، وجليسه فى مجلسه ، أشبه الناس سريرة بعلائية ، وأشبه قولاً بفعل ، وإن قعد على أمر قام به ، وإن قام على أمر قعد به ، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به ، وإن نهى عن شئ كان أترك الناس له ، رأيت مستغنياً عن الناس ، ورأيت الناس محتاجين إليه . قال : حسبك يا خالد ، كيف يضل قوم هذا فيهم ^(٣).

وعن الأعمش قال : ما زال الحسن البصرى يعنى الحكمة حتى نطق بها ، وكان إذا ذكر عند أبى جعفر محمد بن على بن الحسين قال : ذاك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء ^(٤).

(١) تهذيب الكمال (١٠٧ / ٦).

(٢) تهذيب الكمال (١٠٧ / ٦).

(٣) تاريخ الإسلام (٥٨ / ٧).

(٤) حلية الأولياء (١٤٧ / ٢).

٢ - عبادته وخوفه وحزنه

- قال إبراهيم بن عيسى الشكري : مارأيت أحداً أطول حزناً من الحسن ،
مارأيته إلا حسبته حديث عهد بمصيبة ^(١) .
- وقال السري بن يحيى : كان الحسن يصوم البيض ، وأشهر الحرم ،
والإثنين والخميس ^(٢) .
- وعن شعيب صاحب الطيالسة قال : رأيت الحسن يقرأ القرآن فيبكي ،
حتى يتحدر الدمع على لحيته ^(٣) .
- وعن يونس قال : كان الحسن رجلاً محزوناً ، وكان ابن سيرين صاحب
ضحك ومزاح ^(٤) .
- عن مطر الوراق قال : كان جابر بن زيد رجل أهل البصرة ، فلما ظهر
الحسن جاء رجل كأنما كان في الآخرة ، فهو يخبر عما رأى وعان ^(٥) .
- وعن هشام عن الحسن قال : إنه المؤمن يصبح حزيناً ، ويمسى حزينا ،
ويتقلب في الحزن ، ويكفيه ما يكفى العنيزة ^(٦) .
- وعن محمد بن حجارة عن الحسن قال : ذهبت المعارف ، وبقيت
الناكير ، ومن بقى من المسلمين فهو مغموم ^(٧) .

(٥) تهذيب الكمال (٢ / ٢٣١) .

(٦) حلية الأولياء (٢ / ١٣٣) .

(٧) حلية الأولياء (٢ / ١٣٢) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٧٥) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٧٨) .

(٣) طبقات ابن سعد (٦ / ١٧٥) .

(٤) طبقات ابن سعد (٦ / ١٦٢) .

٤ - علمه رحمه الله

قال قتادة : كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام ^(١) .
وعن بكر بن عبد الله المزني قال : من سره أن ينظر إلى أفقه من رأينا
فليُنظر إلى الحسن ^(٢) .
وعن أبي هلال قال : كنت عند قتادة فجاء الخبر بموت الحسن فقلت :
لقد غمس في العلم غمصة . قال قتادة : بل نبت فيه ، وتحقبه ، وتشربه ، والله
لا يبغضه إلا حروري ^(٣) .
وعن حجاج بن أرطاة قال : سألت عطاء عن القراءة على الجنازة قال :
ماسمعا ولا علمنا أنه يقرأ عليها . قلت : إن الحسن يقول : يقرأ عليها . قال
عطاء : عليك بذاك ، ذاك إمام ضخم يقتدى به ^(٤) .
وعن أبي سعيد بن الأعرابي قال : كان عامة من ذكرنا من النساك يأتون
الحسن ، ويسمعون كلامه ، ويدعون له بالفقه في هذه المعاني خاصة ، وكان
عمرو بن عبيد وعبد الواحد بن زيد من الملازمين له ، وكان له مجلس خاص
في منزله لا يكاد يتكلم فيه إلا في معاني الزهد والنسك ، وعلوم الباطن ، فإن
سأله إنسان غيرها تبرم به . وقال : إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر ، فأما حلقته
في المسجد فكان يمر فيها الحديث ، والفقه ، وعلوم القرآن واللغة وسائر
العلوم ، وكان ربما يسأل عن التصوف فيجيب ، وكان منهم من يصحبه
للحديث ، ومنهم من يصحبه للقرآن والبيان ، ومنهم من يصحبه للبلاغة ،

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٧٨)

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٧٨)

(٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٧٣ ، ٥٧٤)

(٤) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٧٤)

ومنهم من يصحبه للإخلاص وعلم الخصوص ، كعمرو بن عبيد ، وأبي جهيم ، وعبد الواحد بن زيد ، وصالح المري ، شميظ ، وأبي عبيدة الناجي ، وكل واحد من هؤلاء اشتهر بحال يعنى فى العبادة ^(١) .

وعن خالد بن رباح أن أنس بن مالك سئل عن مسألة قال : عليكم مولانا الحسن . فقال : إنا سمعنا وسمع فحفظ ونسينا ^(٢) .

وعن قتادة قال : دخلنا على الحسن وهو نائم وعند رأسه سلة ، فجذبناها فإذا خبيز وفاكهة ، فجعلنا نأكل فانتبه فرأنا ، فسره فتبسّم وهو يقرأ : ﴿ أَوْ صَدِيقَكُمْ ﴾ [النور ٦١] لا جناح عليكم ^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٧٩) .
 (٢) طبقات ابن سعد (٧ / ١٧٥) .
 (٣) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٧٧) .

٥ - الحسن البصري وفتنة ابن الأشعث

يبدو أن الحسن البصري رحمه الله كان معارضاً للخروج على الحجاج مع ابن الأشعث ، ولكنهم مازالوا به حتى أكرهوه على الخروج معهم ، ثم نجاه الله عز وجل بفضلته ورحمته ، وكاد أن يهلك ، وهذه جملة من أخباره رحمه الله تنبئ بذلك :

عن سليمان بن علي الربعي قال : لما كانت الفتنة - فتنة ابن الأشعث - إذ قاتل الحجاج بن يوسف ، انطلق عقبة بن عبد الغافر وأبو الجوزاء ، وعبد الله ابن غالب في نظرائهم ، فدخلوا على الحسن ، فقالوا : يا أبا سعيد : ماتقول في قتال هذا الطاغية ، الذي سفك الدم الحرام ، وأخذ المال الحرام ، وترك الصلاة ، وفعل ، وفعل ؟ قال : وذكروا من فعل الحجاج قال : فقال الحسن : أرى أن لا تقاتلوه ، فإنها إن تك عقوبة من الله فما أأنتم بمرادى عقوبة الله بأسيا فكم ، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين . قال : فخرجوا من عنده وهم يقولون : نطيع هذا العليج ، قال : وهم قوم عرب . قال : وخرجوا مع ابن الأشعث قال : فقتلوا جميعاً ^(١) .

وعن الحسن قال : لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم ، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه ، فوالله ما جاؤوا بيوم خير قط ^(٢) .

وعن أيوب قال : قيل لابن الأشعث إن سرك أن يقتلوا حولك كما قتلوا حول جمل عائشة فأخرج الحسن ، فأرسل إليه فأكرهه ^(٣) .

(١) طبقات ابن سعد (٧ / ١٦٣ ، ١٦٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (٧ / ١٦٣ ، ١٦٤) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧ / ١٦٣) .

وعن ابن عون قال : استبطأ الناس أيام ابن الأشعث فقالوا له : أخرج هذا الشيخ - يعنى الحسن - قال ابن عون : فنظرت إليه بين الجسرين ؛ وعليه عمامة سوداء . قال : فغفلوا عنه فألقى نفسه فى بعض تلك الأنهار حتى نجا منهم ، وكاد يومئذ أن يهلك ^(١) .

وعن سلم بن أبى الدِّيَال قال : سأل رجل الحسن وهو يسمع وأناس من أهل الشام ، فقال : يا أبا سعيد ما تقول فى الفتن مثل يزيد بن المهلب ، وابن الأشعث ؟ فقال : لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء . فقال رجل من أهل الشام : ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد ؟ فغضب ، ثم قال : بيده فخطر بها ثم قال : ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد ، نعم ، ولا مع أمير المؤمنين ^(٢) .

وعن ابن عون قال : كان مسلم بن يسار أرفع عند أهل البصرة من الحسن ، حتى خَفَّ مع ابن الأشعث فلم يزل فى علوِّ منها بعد وسقط الآخر ^(٣) .

(١) طبقات ابن سعد (٧ / ١٦٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (٧ / ١٦٤) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧ / ١٦٥) .

٦- شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه : قال الحافظ : رأى عليا ، وطلحة ، وعائشة ، وكتب للربيع بن زياد وإلى خرسان في عهد معاوية ، روى عن أبي بن كعب ، وسعد بن عباد ، وعمر بن الخطاب ، ولم يدركهم ، وعن ثوبان ، وعمار بن ياسر ، وأبي هريرة ، وعثمان بن أبي العاص ، ومعقل بن سنان ولم يسمع منهم ^(١).

وقال الذهبي : روى عن عمران بن حصين ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الرحمن بن سمرة ، وأبي بكرة ، والنعمان بن بشير ، وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب ، وابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وعمرو بن ثعلب ، وعبد الله بن عمرو ، ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع ، وأنس بن مالك ، وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين كالأحنف بن قيس ، وحِطَّان الرقاشي ^(٢).

تلامذته : قال الحافظ : وعند حميد الطويل ، يزيد بن أبي مريم ، وأيوب وقتادة ، وعوف الأعرابي ، وبكر بن عبد الله المزني ، وجريز بن حازم ، وأبو الأشهب ، والربيع بن صبيح ، وسعيد الجريز ، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وسماك بن حرب وشيبان النخوي ، وابن عون ، وخالد الحذاء ، وعطاء بن السائب ، وعثمان البتي ، وقرة بن خالد ، ومبارك بن فضالة ، والمعلّى بن زياد ، وهشام بن حسان ، ويونس بن عبيد ، ومنصور بن زاذان ، ومعبد بن هلال وآخرون ، من أواخرهم يزيد بن إبراهيم التستري ، ومعاوية بن عبد الكريم الثقفي المعروف بالضال ^(٣).

(١) تهذيب التهذيب (٢ / ٢٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٦٥).

(٣) تهذيب التهذيب (٢ / ٢٣١).

٧ - درر من أقواله رحمه الله

عن عمران بن خالد قال : قال الحسن : إن المؤمن يصبح حزيناً ويمسى حزيناً ، ولا يسمعه غير ذلك ، لأنه بين مخافتين : بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله يصنع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدري ما يصيب فيه من المهالك ^(١) .

عن عمران القصير قال : سألت الحسن عن شيء فقلت : إن الفقهاء يقولون : كذا وكذا . فقال : وهل رأيت فقيهاً بعينك ؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه عز وجل ^(٢) .

عن طلحة بن صبيح عن الحسن قال : المؤمن من يعلم أن ما قال الله عز وجل كما قال ، المؤمن أحسن عملاً ، وأشد الناس خوفاً ، لو أنفق جبلاً من مال ما أمن دون أن يعاين ، ولا يزداد صلاحاً وبراً وعبادة إلا ازداد فرقاً يقول : لا أنجو ، والمتناقض يقول : سواد الناس كثير ، وسيغفر لي ولا بأس عليّ وينسى العمل ، يتمنى على الله تعالى ^(٣) .

وعن هشام بن حسان قال : سمعت الحسن يحلف بالله ما أعزّ أحد الدرهم إلا أذله الله ^(٤) .

وعن حزم بن أبي حزم قال : سمعت الحسن يقول : بشس الرفيقان الدينار والدرهم لا ينفعانك حتى يفارقاك ^(٥) .

وعن أبي عبيدة الناجي عن الحسن قال : ابن آدم ترك الخطيئة أهون عليك

(١) حلية الأولياء (٢ / ١٣٢) .
 (٢) حلية الأولياء (٢ / ١٤٩) .
 (٣) حلية الأولياء (٢ / ١٥٣) .
 (٤) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٧٦) .
 (٥) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٧٦) .

من معالجة التوبة ، ما يؤمنك أن تكون أصبت كبيرة أغلق دونها باب التوبة ،
فأنت في غير معمل ^(١)

عن زريك بن أبي زريك قال : سمعت الحسن يقول : إن هذه الفتنة إذا
أقبلت عرفها كل عالم ، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل ^(٢)

عن عمارة قال : كنت عند الحسن فدخل علينا فرقد ، وهو يأكل
خبيصاً . فقال : تعالى فكل ، فقال : أخاف أن لا أؤدي شكره فقال الحسن :
وتؤدي شكر الماء البارد ^(٣)

(١) سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٧٨ .

(٢) طبقات ابن سعد (٧ / ١٦٦) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧ / ١٧٦) .

٨- وفاته رحمه الله

عن عبد الواحد بن ميمون مولى عروة بن الزبير قال : قال رجل لابن سيرين : رأيت طائراً أخذاً الحسن حصاه فى المسجد فقال ابن سيرين : إن صدقت رويك مات الحسن . قال : فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات ^(١) .

عن يونس قال : لما حضرت الحسن الوفاة جعل يسترجع فقام إليه ابنه فقال : يا أبت قد غممتنا فهل رأيت شيئاً قال هى نفس لم أصب بمثلها .

قال هشام بن حسان : كنا عند محمد عشية يوم الخميس ، فدخل عليه رجل بعد العصر فقال : مات الحسن فترحم عليه محمد ، وتغير لونه وأمسك عن الكلام ، فما تكلم حتى غربت الشمس ، وأمسك القوم عنه بما رأوا من وجده عليه .

قال الذهبي : وما عاش محمد بن سيرين بعد الحسن إلا مائة يوم .

وقال عبد الله بن الحسن : إن أباه عاش نحواً من ثمان وثمانين سنة .

قال الذهبي : مات فى أول رجب (أى سنة عشر ومائة) وكانت جنازته مشهودة ، وصلوا عليه عقيب الجمعة بالبصرة ، فشيعه الخلق وازدحموا عليه ، حتى إن صلاة العصر لم تقم فى الجامع .

ويروى أنه أغمى عليه ثم أفاق إفاقة فقال : لقد نهتمونى من جنات وعيون ومقام كريم .

فرحمه الله رحمة واسعة وأدخلنا وإياه جنة عالية قطوفها دانية .

من أعلام السلف

٩

محمد بن سيرين

بين يدي الترجمة :

فمع علم من أعلام السلف الكرام، ومن علماء التابعين الأعلام، وهو محمد بن سيرين إمام في الورع، وتأويل الرؤيا .

قال أبو نعيم: ومنهم ذو العقل الرصين، والورع المتين، المطعم للإخوان والزائرين ومعظم الرجاء للمذنبين والموحدين أبو بكر محمد بن سيرين، كان ذا ورع وأمانة وحيطه وصيانة كان بالليل بكاء نائحا وبالنهار سائحا بساما، يصوم يوما ويفطر يوما^(١).

وقال محمد بن جرير الطبري: كان ابن سيرين فقيها، عالما، ورعا، أديبا، كثير الحديث، شهد له أهل العلم والفضل بذلك، وهو حجة^(٢).

اجتمعت في هذا الإمام خلال من فضل الكبير المتعال، جعلته من أكابر الرجال في الورع، والاحتياط في الدين، والاجتهاد في طاعة رب العالمين، مع الديانة، والصيانة، وكثرة الرواية، ثم هو من بيت علم وفضل وكمال، فقد كان سابع سبعة من إخوته من ثقات التابعين، ألهم في تأويل الرؤيا وعلم من علم التعبير ماصار يضرب به المثل في هذا العلم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فمسأل الله عز وجل أن ينفعنا بعلم هؤلاء الأكابر، ويجمعنا بهم في دار النعيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(١) حلية الأولياء (٢/٢٦٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٦١).

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه: محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر بن أبي عمرة البصري أخو أنس، ومعبد، وحفصة، وكريمة، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وكان أبوه من سبي عين التمر الذين أسرهم خالد بن الوليد رضي الله عنه.

مولده: عن أنس بن سيرين قال: ولد أخي محمد لستين بقيتا من خلافة عمر.

قال الحاكم: هكذا وجدت في كتابي عمر وقال غيره: عثمان.

قال الذهبي: الثاني أشبه، ولو كان أولاهما الأول لكان ابن سيرين في سنن الحسن، ومعلوم أن محمداً كان أصغر بسنوات ^(١).

صفته: عن يوسف بن عطية قال: رأيت ابن سيرين قصيراً عظيم البطن، له وفرة، يفرق شعره، كثير المزاح والضحك، يخضب بالحناء ^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء (٦٠٧/٤)

(٢) سير أعلام النبلاء (٦٠٧/٤، ٦٠٨)

٢ - ثناء العلماء عليه

عن هشام بن حسان قال: حدثني أصدق من أدركت من البشر: محمد بن سيرين^(١).

وقال محمد بن سعد: كان ثقة، مأموناً، عالماً، رفيماً، فقيهاً، إماماً، كثير العلم، ورعاً، وكان به صمم^(٢).

وقال العجلي: بصرى تابعى ثقة، وهو من أروى الناس عن شريح وعبيدة، وإنما تأدب بالكوفيين أصحاب عبد الله وإخوته معبد، ويحيى، وأنس، وحفصة أم الهذيل تابعون ثقات^(٣).

عن عمرو بن دينار قال: والله ما رأيت مثل طاووس فقال أيوب السختياني وكان جالسا: والله لو رأى محمد بن سيرين لم يقله^(٤).

وعن عثمان البتي قال: لم يكن بالبصرة أحد أعلم بالقضاء من ابن سيرين^(٥).

وعن شعيب بن الحبحاب قال: كان الشعبي يقول لنا: عليكم بذاك الأصم يعني ابن سيرين^(٦).

وعن ابن عون قال: ثلاثة لم تر عيناى مثلهم: ابن سيرين بالعراق والقاسم بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حيوة بالشام، كانتهم التقوا فتواصوا^(٧).

وعن ابن عون قال: كان محمد من أرجى الناس لهذه الأمة وأشد الناس إزرأً على نفسه^(٨).

(٥) سير أعلام النبلاء (٦٠٨/٤)

(٦) سير أعلام النبلاء (٦٠٨/٤)

(٧) سير أعلام النبلاء (٦٠٨/٤)

(٨) تاريخ بغداد (٣٣٥ / ٥)

(١) تهذيب الكمال (٣٥٠/٢٥)

(٢) طبقات ابن سعد (١٩٣/٧)

(٣) تهذيب الكمال (٣٥٠/٢٥)

(٤) سير أعلام النبلاء (٦٠٨/٤)

وعن أم عبدان امرأة هشام بن حسان قالت: كنا نزولاً مع محمد بن سيرين في الدار، فكنا نسمع بكاءه بالليل، وضحكته بالنهار^(١).

عن ابن عوف عن محمد بن سيرين أنه لما ركبته الدين اغتم لذلك فقال: إني لأعرف هذا الغم بذنب أصبته منذ أربعين سنة. وعن عبد الله بن السري قال: قال ابن سيرين: إني لأعرف الذنب الذي حمل عليّ به الدين ماهو؟ قلت لرجل من أربعين سنة يامفلس فحدث به أبا سليمان الداراني.

فقال: قلت ذنوبهم فعرفوا أين يؤتون، وكثرت ذنوبي وذنوبكم فليس ندرى من أين نؤتى^(٢).

(١) تاريخ بغداد (٣٣ / ٥)

(٢) حلية الأولياء (٢٧١ / ٢)

٣ - ورعه رحمه الله

قال الخطيب البغدادي: وكان محمد أحد الفقهاء من أهل البصرة والمذكورين بالورع في وقته ^(١).

وعن موريث العجلي قال: مارأيت رجلاً أفقه في ورعه، ولا أروع في فقهه من محمد بن سيرين. وقال أبو قلابة اصبر فوه حيث شئتم فلتجدنه أشدكم ورعاً، وأملككم لنفسه ^(٢).

وعن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال: لما حبس ابن سيرين في السجن قال له السجّان: إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك، فإذا أصبحت فتعال: فقال ابن سيرين: لا والله لا أعينك على خيانة السلطان ^(٣).

وعن ابن عون قال: قال محمد في شيء راجعته فيه: إني لم أقل ليس به بأس إنما قلت لا أعلم به بأساً ^(٤).

وعن جرير بن حازم قال سمعت محمد بن سيرين يحدث رجلاً فقال: مارأيت الرجل الأسود ثم قال: أستغفر الله ما أراني إلا قد إغتبت الرجل ^(٥).

وعن طلق بن وهب الطاحي قال: دخلت على محمد بن سيرين وقد كنت اشتكيت. فقال: إئت فلانا فاستوصفه فإنه حسن العلم بالطب ثم قال: ولكن إئت فلانا فإنه أعلم منه. ثم قال: أستغفر الله، ما أراني إلا قد إغتبت ^(٦).

وقال بكر بن عبد الله المزني: من أراد أن ينظر إلى أروع من أدركنا فليتنظر إلى

(٤) طبقات ابن سعد (١٩٦/٧)

(٥) طبقات ابن سعد (١٩٦/٧)

(٦) طبقات ابن سعد (١٩٦/٧)

(١) تاريخ بغداد (٣٣١/٥)

(٢) تاريخ بغداد (٣٣٤/٥)

(٣) تاريخ بغداد (٣٣٤/٥)

محمد بن سيرين (١)

وعن يونس بن عبيد: لم يكن يعرض لمحمد أميران في ذمته إلا أخذ بأوثقها (٢).

وعن عمارة بن مهران قال: كنا في جنازة حفصة بنت سيرين فوضعت الجنازة، ودخل محمد بن سيرين صهريجاً يتوضأ. فقال الحسن: أين هو؟ قالوا: يتوضأ صباً صباً ذلكاً ذلكاً، عذاب على نفسه وعلى أهله (٣).

وقال هشام بن حسان: كان محمد يتجر، فإذا إرتاب في شيء تركه (٤).

وعن المدائني قال: كان سبب حبس ابن سيرين في الدين إنه اشترى زيتاً بأربعين ألف درهم فوجد في زق منه فأرة فقال: الفأرة كانت بالمعصرة، فصب الزيت كله، وكان يقول: غيرت رجلاً بشيء منذ ثلاثين سنة، أحسبني عوقبت به، وكانوا يرون أنه غير رجلاً بالفقر فابتلى به (٥).

وعن ميمون بن مهران قال: قدمت الكوفة وأنا أريد أن أشتري البز فأتيت ابن سيرين بالكوفة فسأومته فجعل إذا باعني صنفاً من أصناف البز قال: هل رضيت؟ فأقول: نعم. فيعيد ذلك علي ثلاث مرات، ثم يدعو رجلين فيشهدهما، ولا يشتري ولا يبيع بهذه الدراهم الحجاجية، فلما رأيت ورعه، ما تركت شيئاً من حاجتي أجده عنده إلا اشتريته حتى لفائف البز (٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٦١٥/٤)

(٥) تاريخ بغداد (٣٣٥/٥)

(٦) سير أعلام النبلاء (٦٢٠/٤)

(١) سير أعلام النبلاء (٦١٤/٤)

(٢) سير أعلام النبلاء (٦١٤/٤)

(٣) سير أعلام النبلاء (٦١٤/٤)

٤ - عبادته وبره بأمه رحمه الله

- عن أيوب وهشام أن ابن سيرين: كان يصوم يوما ويفطر يوما^(١).
- وعن أنس بن سيرين قال: كانت لمحمد سبعة أوراٍ فكان إذا فاتته شيء من الليل قرأه بالنهار^(٢).
- عن هشام بن حسان قال: حدثني بعض آل سيرين قال: ما رأيت محمد ابن سيرين: يكلم أمه قط إلا وهو يتضرع^(٣).
- وعن ابن عون قال: دخل رجل على محمد وعنده أمه فقال: ماشأن محمد أيشتكى شيئا؟ قالوا: لا. ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه^(٤).

(١) طبقات ابن سعد (٢٠٠/٧)

(٢) طبقات ابن سعد (٢٠٠/٧)

(٣) حلية الأولياء (٢٧٣/٢)

(٤) حلية الأولياء (٢٧٣/٢)

٥ - تورعه عن الفتوى

قال أشعث: كان ابن سيرين إذا سئل عن الحلال والحرام تغير لونه حتى تقول: كأنه ليس بالذي كان ^(١).

وعن عاصم الأحول قال: كنت عند ابن سيرين فدخل عليه رجل فقال: يا أبا بكر ماتقول في كذا؟ قال: ما احفظ فيها شيئاً. فقلنا له: فقل فيها برأيك: قال أقول فيها برأي ثم أرجع عن ذلك الرأي لا والله ^(٢).

وقال ابن شبرمة: دخلت على محمد بن سيرين بواسط فلم أر أجبن من فتوى منه، ولا أجراً على رؤيا منه ^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء (٦١٣/٤)

(٢) حلية الأولياء (٢٦٨/٢)

(٣) سير أعلام النبلاء (٦١٤/٤)

٦ - شدته على أهل البدع والحكام الجائرين

عن شعيب بن الجحباب قال: قلت لابن سيرين: ماترى فى السماع من أهل الأهواء؟ قال: لانسع منهم ولاكرامة^(١).

وعن ابن عون قال: جاء رجل إلى محمد فذكر له شيئاً من القدر. فقال محمد: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» قال ووضع إصبعى يديه فى أذنيه وقال: إما أن تخرج عنى وإما أن أخرج عنك. وقال: فخرج الرجل. قال. فقال محمد: إن قلبى ليس بيدى، وإنى خفت أن ينفت فى قلبى شيئاً فلا أقدر على إخراجه منه فكان أحب إلى أن لانسع كلامه^(٢).

وعن عمر بن عبد العزيز قال: سمعت محمد بن سيرين وسمع عن يسمع القرآن فيصعق قال: ميعاد ماينتنا وبينهم أن يجلسوا على حائط، فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره، فإن سقطوا فهم كما يقولون^(٣).

وعن جعفر بن مرزوق قال: بعث ابن هبيرة إلى ابن سيرين والحسن والشعبي قال: فدخلوا عليه فقال لابن سيرين: يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قربت من بابنا. قال: رأيت ظلماً فاشياً، قال: فغمزه ابن أخيه بمنكبه فالتفت إليه ابن سيرين فقال: إنك لست تسأل إنما أنا أسأل، فأرسل إلى الحسن بأربعة آلاف، وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف، وإلى الشعبي بألفين، فأما ابن سيرين فلم يأخذها^(٤). قال هشام: ما رأيت أحداً عند السلطان أصلب من ابن سيرين^(٥).

(٤) حلية الأولياء (٢/٢٦٨)

(٥) سير أعلام النبلاء (٤/٦١٣)

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٦١١)

(٢) طبقات ابن سعد (٧/١٩٧)

(٣) حلية الأولياء (٢/٢٦٥)

٧ - براعته في تعبير الرؤيا

قال الذهبي رحمه الله: قد جاء عن ابن سيرين عجائب يطول الكتاب بذكرها، وكان له في ذلك تأييد إلهي^(١).

عن عبد الله بن مسلم المروزي قال: كنت أجالس ابن سيرين فتركته وجالست الإباضية، فرأيت كأني مع قوم يحملون جنازة النبي ﷺ، فأتيت ابن سيرين فذكرته له فقال: مالك جالست أقواما يريدون أن يدفنوا ما جاء به النبي ﷺ^(٢) وعن مغيرة بن حفص قال: سئل ابن سيرين فقال: رأيت كأن الجوزاء تقدمت الشربا قال: هذا الحسن يموت قبلي، ثم أتبعه، وهو أرفع مني^(٣).

وعن يوسف الصباغ عن ابن سيرين قال: من رأى ربه تعالى في المنام دخل الجنة^(٤).

وعن أبي قلابة أن رجلا قال لأبي بكر رأيت كأني أبول دما. فقال: أتأثني امرأتك وهي حائض قال: نعم قال: اتق الله ولا تعد^(٥).

وعن أبي جعفر عن ابن سيرين أن رجلا رأى في المنام كأن في حجره صبيا يصيح فقص رؤياه على ابن سيرين فقال: اتق الله ولا تضرب العود^(٦).

وعن مبارك بن يزيد البصري قال: قال رجل لابن سيرين: رأيت كأني أطيّر بين السماء والأرض. قال: أنت رجل تكثر المنى^(٧).

(٥) حلية الأولياء (٢/٢٢٧)

(٦) حلية الأولياء (٢/٢٧٧)

(٧) حلية الأولياء (٢/٢٧٨)

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٦١٨)

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٦١٧)

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٦١٨)

(٤) حلية الأولياء (٢/٢٧٦)

وعن هشام بن حسان قال: جاء رجل إلى ابن سيرين وأنا عنده فقال: إني رأيت كأن علي رأسى تاجا من ذهب فقال له ابن سيرين: اتق الله فإن أباك في أرض غربة وقد ذهب بصره وهو يريد أن تأتيه. قال: فما زاده الرجل الكلام حتى أدخل يده في حجزته فأخرج كتابا من أبيه، يذكر فيه ذهاب بصره، وأنه في أرض غربة، ويأمره بالإتيان إليه^(١).

(١) حلية الأولياء (٢/٢٧٨)

٨ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه:

قال الحافظ: روى عن مولاه أنس بن مالك، وزيد بن ثابت، والحسن بن على بن أبي طالب، وجندب بن عبد الله البجلي، وحذبة بن اليمان، ورافع بن خديج، وسليمان بن عامر، وسمرة بن جندب، وابن عمر، وابن عباس، وعثمان بن أبي العاص، وعمران بن حصين، وكعب بن عجرة، ومعاوية، وأبي الدرداء، وأبي سعيد، وأبي قتادة، وأبي هريرة، وأبي بكر الشقي، وعائشة أم المؤمنين، وأم عطية، وحמיד بن عبد الرحمن الحميدى، وعبد الله بن سقيف، وعبد الرحمن بن أبي بكرة، وعبيدة السلماني، وعبد الرحمن بن بشر بن مسعود، وقيس بن عباد، وكثير بن أفلح، وعمر بن وهب، ومسلم بن يسار، ويونس بن جبير، وأبي المهلب الجرمي، وإخوته معبد، ويحيى، وخفصة، ويحيى ابن أبي إسحاق الحضري وهو أصغر منه وخالد الحذاء، وهو من تلامذته، وطائفة من كبار التابعين^(١).

قال الحافظ: روى عنه الشعبي، وثابت، وخالد الحذاء، وداود بن أبي هند، وابن عون، ويونس بن عبيد، وجرير بن حازم، وأيوب، وأشعث بن عبد الملك، وحبيب بن الشهيد، وعاصم الأحول، وعوف الأعرابي، وقتادة، وسليمان التيمي، وقرة بن خالد، ومالك بن دينار، ومهدى بن ميمون، والأوزاعي، وهشام ابن حسان، ويحيى بن عتيق، ويزيد بن إبراهيم، وأبو هلال الراسبي، وعمران القطان، وعمار بن مهران، وعلى بن زيد بن جدعان، ومنصور بن زاذان، وكثير بن شظير، ويزيد بن طهمان وآخرون^(٢).

(١) تهذيب التهذيب (١٩٠/٩)

(٢) تهذيب التهذيب (١٩١/٩)

٩... درر من أقواله رحمه الله

عن أيوب قال: قال محمد: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم^(١).

عن ابن عون قال: جاء ناسر إلى محمد فقالوا: إنا قد نلنا منك فاجعلنا في حل فقال: لا أحل لكم شيئا حرمه الله عليكم^(٢).

وعن هشام عن محمد قال: كانوا يقولون المسلم المسلم عند الدراهم^(٣).
عن هشام عن محمد بن سيرين قال: كان مما يقول للرجل إذا أراد أن يسافر في التجارة: اتق الله تعالى، واطلب ما قدر لك في الحلال، فإنك إن تطلبه من غير ذلك لم تصب أكثر مما قدر لك^(٤).

وعن حبيب عن ابن سيرين قال: إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه يأمره وينهاه^(٥).

وعن قرة بن خالد عن ابن سيرين أنه كان يقول:
إنك إن كلفتنى مالم أطق ساءك ما سرك منى من خلق^(٦)
وعن ابن عون قال: سمعت محمد بن سيرين: ثلاثة ليس معهم غربة حسن الأدب، وكف الأذى، ومجانبة الريب^(٧).

(١) سير أعلام النبلاء (٦١١/٤) (٥) حلية الأولياء (٢٦٤/٢)

(٢) طبقات ابن سعد (٢٠٠/٧) (٦) حلية الأولياء (٢٦٥/٢)

(٣) طبقات ابن سعد (٢٠١/٧) (٧) حلية الأولياء (٢٧٦/٢)

(٤) حلية الأولياء (٢٦٣/٢)

١٠ - وفاته رحمه الله

قال الذهبي: قال غير واحد: مات محمد بعد الحسن البصري بمئة يوم سنة عشر ومائة^(١).

وعن خالد بن خديش قال: حدثنا حماد بن زيد قال مات ابن سيرين لتسع مضي من شوال سنة عشر ومائة^(٢).

وعن عبد الله بن محمد بن سيرين قال: لما ضمنت على أبي دينة قال لي بالوفاء به قلت بالوفاء فدعا لي بخير فقضى عبد الله عنه ثلاثين ألف درهم فما مات عبد الله حتى قومنا ماله ثلاث مائة ألف درهم أو نحوها^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء (٦٢١/٤)

(٢) سير أعلام النبلاء (٦٢١/٤)

(٣) سير أعلام النبلاء (٦٢١/٤)

من أعلام السلف

١٠

الإمام الزهري

بين يدي الترجمة :

مازلنا في صحبة العلماء الكرام من أئمة الدين ، والعلماء العاملين في هذه السلسلة المباركة « من أعلام السف » وهذه الجولة مع إمام من أئمة الحديث ، من صغار التابعين ، انتهت إليه رئاسة الحديث ، إنه شيخ مالك والليث وابن أبي ذئب والسفيانين وغيرهم من أئمة أتباع التابعين ، إنه الإمام الزهري وناهيك به علماً وفضلاً وشرفاً .

قال أبو نعيم رحمه الله : ومنهم العالم السوي ، والراوى الروى ، أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، كان ذا عِزٍّ وسناء ، وفخرٍ وسخاء^(١) .

لازم سعيد بن المسيب سيد التابعين ، ومَسَّتْ ركبته ركبته ثمان سنين ، وتردد على عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، والقاسم بن محمد ، وغيرهم من أئمة التابعين ، وكان آية في الحفظ والذكاء ، فنهل من علومهم حتى قال له سعيد بن المسيب : من مات وترك مثلك لم يمت .

ساق الله عز وجل له أسباب الشرف والعز في الدنيا والآخرة ، فكان كثير المال ، عظيم السخاء ، له رتبة وشرف في دولة بنى أمية ، وكان أول من دَوَّن الحديث بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وكان يتردد بين الشام والحجاز .

قال أبو بكر الهذلي : قد جالست الحسن وابن سيرين ، فما رأيت أحداً أعظم منه - يعنى الزهري - ^(٢) .

والحسن وابن سيرين أعلى منه طبقة ، وأكبر منه سناً ، ولكن العلم منايح ، والله عز وجل يختص بفضله ورحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

(١) حلية الأولياء (٣ / ٣٦٠) .

(٢) تهذيب الكمال (٢٦ / ٤٣٧) .

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : محمد بن مسلم بن عبيد بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب .
 الإمام العَلَمَ حافظ زمانه أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام .
مولده : قال دحيم وأحمد بن صالح : فى سنة خمسين ، وقال خليفة ابن خياط : سنة إحدى وخمسين ^(١) .
صفته : قال محمد بن يحيى بن أبى عمر عن سفيان : رأيت الزهري أحمر الرأس واللحية ، وفى خمرتها انكفاءً قليلاً ، كأنه يجعل فيه كُتْماً .
 قال : وكان الزهري أعيمش وعليه جميمة ^(٢) .
 وعن يعقوب بن عبد الرحمن قال : رأيت الزهري قصيراً قليل اللحية له شعرات طوال خفيف العارضين ^(٣) .
 قال الذهبي : كان رحمه الله محتشماً جليلاً بزي الأجناد ، له صورة كبيرة فى دولة بنى أمية ^(٤) .
 وقال محمد بن إشكاب : كان الزهري جندياً .
 قال الذهبي : كان برتبة أمير ^(٥) .

(١) سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٢٦) .

(٢) تهذيب الكمال (٢٦ / ٤٣١ ، ٤٣٢) .

(٣) تاريخ الإسلام (٨ / ٢٤٣) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٢٧) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٤١) .

٢ - ثناء العلماء عليه

عن عمرو بن دينار قال : ما رأيت أحداً أبصر للحديث من ابن شهاب ^(١) .

وقال عمر بن عبد العزيز لجلسائه : هل تأتون ابن شهاب ؟ قالوا : إنا لنفعل . قال : فأتوه فإنه لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية منه .

وقال محمد بن عبد الملك في حديثه : والحسن وضرباؤه يومئذ أحياء ^(٢) .

وعن الليث قال : ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهري ، يحدث في الترغيب فتقول : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن العرب والأنساب ، قلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة فكذلك ^(٣) .

وعن الداروردي قال : أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب ^(٤) .

وعن أحمد بن حنبل قال : الزهري أحسن الناس حديثاً ، وأجود الناس إسناداً ^(٥) .

وقال أبو حاتم : أثبت أصحاب أنس الزهري ^(٦) .

وعن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال : ما روى أحدٌ جمع بعد رسول الله ﷺ ما جمع ابن شهاب ^(٧) .

وقيل لمكحول : من أعلم من لقيت ؟ قال : ابن شهاب ، قيل : ثم

(٥) سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٣٥) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٣٥) .

(٧) سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٣٥) .

(١) حلية الأولياء (٣ / ٣٦٠) .

(٢) حلية الأولياء (٣ / ٣٦٠) .

(٣) تذكرة الحفاظ (٣ / ١٠٩) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٣٤) .

من ؟ قال : ابن شهاب . قيل : ثم من ؟ قال : ابن شهاب ^(١) ؟
وقال أحمد بن عبد الله العجلي : أدرك من أصحاب النبي ﷺ أنس بن
مالك ، وسهيل بن سعد ، وعبد الرحمن بن أزهر ، ومحمود بن الربيع
الأنصاري ، وروى عن عبد الله بن عمر نحواً من ثلاثة أحاديث ، وروى عن
السائب بن يزيد ^(٢) .

وقال أبو بكر بن منجويه : رأى عشرة من أصحاب النبي ﷺ وكان من
أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار ، وكان فقيهاً فاضلاً ^(٣) .
وعن جعفر بن ربيعة قال : قلت لعراك بن مالك : من أفقه أهل المدينة
وأفقههم فقهاً وأعلمهم بما مضى من أمر الناس فسعيد بن المسيب ، وأما
أغزرهم حديثاً فعروة بن الزبير ، ولا تشاء أن تفجر من عبيد الله بن عبد الله بجرأ
إلا فجرته . قال عراك : فأعلمهم عندي جميعاً ابن شهاب ، فإنه جمع علمهم
جميعاً إلى علمه ^(٤) .

وعن يونس عن ابن شهاب قال : قال لي سعيد بن المسيب : ما مات رجل
ترك مثلك ^(٥) .

(١) سيرة أعلام النبلاء (٥ / ٢٣٦) .

(٢) تهذيب الكمال (٢٦ / ٤٣٢) .

(٣) تهذيب الكمال (٢٦ / ٤٣٢) .

(٤) صفة الصفوة (٢ / ١٣٦ ، ١٣٧) .

(٥) تاريخ الإسلام (٨ / ٢٣٤) .

٢ - أسباب تفوقه في العلم

١ - قوة حفظه ورحمة الله :

قال الذهبي : ومن حفظ الزهري أنه حفظ القرآن في ثمانين ليلة . روى ذلك عنه ابن أخيه محمد بن عبد الله ^(١) .

وعن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري قال : ما استعدت حديثاً قط وما شككت في حديث إلا حديثاً واحداً فسألت صاحبي ، فإذا هو كما حفظت ^(٢) .

وعن الليث قال : كان ابن شهاب يقول : ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته ^(٣) .

٢ - كتابته كل ما يسمع :

عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : كنت أطوف أنا وابن شهاب ، ومع ابن شهاب الألواح والصحف قال : وكنا نضحك به .

وفي رواية : كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع ، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس ^(٤) .

وعن محمد بن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : كان ابن شهاب يختلف إلى الأعرج ، وكان الأعرج يكتب المصاحف فيسأله عن الحديث ، ثم يأخذ قطعة ورق فيكتب فيها ، ثم يتحفظه ، فإذا حفظ الحديث مزق الرقعة ^(٥) .

(٤) تهذيب الكمال (٢٦ / ٤٣٣) .

(٥) تهذيب الكمال (٢٦ / ٤٣٤) .

(١) تذكرة الحفاظ (١ / ١١٠) .

(٢) تذكرة الحفاظ (١ / ١١١) .

(٣) تهذيب الكمال (٢٦ / ٤٣٤) .

وعن صالح بن كيسان : كنت أطلب العلم أنا والزهرى قال : فقال : نكتب السنن قال : فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ ، ثم قال : تعال نكتب ما جاء عن الصحابة . قال : فكتب ولم أكتب ، فأجج وضيعت ^(١) .

٣ - مدارسته العلم ومذاكرته :

عن الأوزاعي عن الزهرى قال : إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة ^(٢) .

وعن يعقوب بن عبد الرحمن : أن الزهرى كان يبتغي العلم عن عروة وغيره ، فيأتى جارية له نائمة فيوقظها فيقول لها : حدثنى فلان وفلان بكذا ، فتقول : مالى ولهذا فيقول : قد علمت أنك لا تتفهمين به ، ولكن سمعت الآن ، فأردت أن أذكره ^(٣) .

٤ - ملازمة أهل العلم وخدمتهم والقرب منهم :

عن مالك عن الزهرى قال : تبعته سعيد بن المسيب فى طلب حديث ثلاثة أيام ^(٤) .

وعن معمر قال : سمعت الزهرى يقول : مست ركبتي ركبة سعيد بن المسيب ثمان سنين ^(٥) .

وعن مالك بن أنس عن الزهرى قال : خدمت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، حتى أن كان خادمه ليخرج فيقول : من بالباب ، فتقول الجارية غلامك الأعيـش - فتظن أنى غلامه - وإن كنت لأخدمه حتى لأستقى له وضوءه ^(٦) .

(٤) حلية الأولياء (٣٠ / ٣٦٢) .

(٥) حلية الأولياء (٣٠ / ٣٦٢) .

(٦) حلية الأولياء (٣٠ / ٣٦٢) .

(١) تهذيب الكمال (٢٦ / ٤٣٤) .

(٢) تهذيب الكمال (٢٦ / ٤٣٤) .

(٣) تاريخ الإسلام (٨ / ٢٤٣) .

٥ - توقييد أهل العلم :

عن معمر عن الزهري قال : إن كنت لآتي باب عروة فأجلس ثم أنصرف ولا أدخل ، ولو أشاء أن أدخل لدخلت إعظاماً له ^(١) .

وعن سفيان قال : كنت أسمع الزهري يقول : حدثني فلان وكان من أوعية العلم ، ولا يقول : كان عالماً ^(٢) .

٦ - الأخذ بالأسباب التي تساعد على الحفظ وتجنب ما يؤذي إلى النسيان :

عن إسماعيل المكي قال : سمعت الزهري يقول : من سهر أن يحفظ الحديث فليأكل الزبيب . قال الحاكم : لأن زبيب الحجاز حار حلو رقيق ، فيه يس ، مقطع للبلغم ^(٣) .

وعن الليث عن ابن شهاب ، أنه كان يسمر على العسل ، كما يسمر أهل الشراب على شرايهم ، ويقول : اسقونا وحدثونا ، وكان يكثر شرب العسل ، ولا يأكل شيئاً من التفاح ^(٤) .

وعن ابن وهب عن الليث : كان ابن شهاب يقول : ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته ، وكان يكره أكل التفاح ، وسور الفأر ، وكان يشرب العسل ويقول : إنه يذكره ^(٥) .

(١) حلية الأولياء (٣ / ٣٦٢) .

(٢) حلية الأولياء (٣ / ٢٦٣) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٤٦ ، ٣٤٧) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٣٥) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٣٢) .

٤ - سخاؤه وكرمه رحمه الله

عن الليث قال : كان ابن شهاب يختتم حديثه بدعاء جامع يقول : اللهم أسألك من كل خير أحاط به علمك في الدنيا والآخرة ، وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة ، وكان من أسخى من رأيت ، كان يعطى فإذا فرغ مامعه يستلف من عبيده يقول : يا فلان : أسلفني كما تعرف ، وأضعف لك كما تعلم ، وكان يطعم الناس الثريد ، ويسقيهم العسل ^(١) .

وعن مالك قال : كان ابن شهاب من أسخى الناس ، فلما أصاب تلك الأموال ، قال له مولى له وهو يعظه : قد رأيت ما مر عليك من الضيق فانظر كيف تكون ، أمسك عليك مالك ، قال : إن الكريم لا تحنكه التجارب ^(٢) .

وعن عقيل بن خالد : أن ابن شهاب كان يخرج إلى الأعراب يفتقهم ، فجاء أعرابي ، وقد نفذ ما بيده ، فمد الزهرى يده إلى عمامتي فأخذها فأعطاه ، وقال : يا عقيل أعطيك خيراً منها ^(٣) .

وعن عمرو بن دينار قال : ما رأيت أحداً أهون عليه الدينار والدرهم من ابن شهاب ، وما كانت عنده إلا مثل البعرة ^(٤) .

وعن مالك بن أنس قال : قال الزهرى : وجدنا السخى لا تنفعه التجارب ^(٥) .

ولفايد بن أقرم يمدح الزهرى :

مَعَ ذَا وَأَتْنَى عَلَى الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ	وَأَذْكُرُ فَوَاضِلَهُ عَلَى الْأَصْحَابِ
وَإِذَا يُقَالُ مِنَ الْجَوَادِ بِمَالِهِ	قِيلَ الْجَوَادُ مُحَمَّدُ بْنُ شَهَابٍ
أَهْلُ الْمَدَائِنِ يَعْرِفُونَ مَكَانَهُ	وَرَبِيعَ بَادِيَةِ عَلَى الْأَعْرَابِ ^(٦)

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢٥ / ٥) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٣٨ / ٥) ، وتهذيب الكمال (٤٤٠ / ٢٦) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٤٠ / ٥ ، ٣٤١) . (٤) حلية الأولياء (٣٧١ / ٣) .

(٥) حلية الأولياء (٣٧١ / ٣) . (٦) تاريخ الإسلام (٢٤٣ / ٨) .

٥ - قصة دخوله على بنى أمية وعدم مداهنته فى الحق

قال ابن أبى ذئب : ضاقت حال الزهري ، ورهقه دين ، فخرج إلى الشام ، فجالس قبيصة بن ذؤيب . قال ابن شهاب : فبينما نحن معه نسمر إذ جاءه رسول عبد الملك فذهب به إليه ثم رجع . فقال : من منكم يحفظ قضاء عمر فى أمهات الأولاد ؟ قلت : أنا . قال : قم فدخلنا على عبد الملك فإذا هو جالس على نمرقه بيده مخصصة عليه غلالة ملتحف بسببية^(١) . بين يديه شمعة ، قال : من أنت ؟ فانتسبت له . فقال : إن كان أبوك لتعاراً^(٢) . فى الفتن . قلت : يا أمير المؤمنين عفا الله عما سلف . قال : اجلس ، فجلست . قال : تقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : اقرأ من سورة كذا ، ومن سورة كذا . فقرأت فقال : أتفرض ؟ قلت : نعم . قال فما تقول فى امرأة تركت زوجها وأبويها . قلت : لزوجها النصف ولأمها السدس ولأبيها ما بقى . قال أصبت الفرض وأخطأت اللفظ ، وإنما لزوجها النصف ، ولأمها ثلث ما يبقى . هات حديثك . قلت : حدثنى سعيد بن المسيب فذكر قضاء عمر فى أمهات الأولاد ، فقال : وهكذا حدثنى سعيد . فقلت : يا أمير المؤمنين اقضى دينى . قال : نعم . قلت ، وتفرض لى قال : لا والله ما تجمعهما على أحد . قال : فتجهزت إلى المدينة^(٣) .

قال الشافعى : حدثنا عمي قال : دخل سليمان بن يسار على هشام فقال له : يا هشام من الذى تولى كبره منهم ؟ فقال : ابن سلول . قال : كذبت بل

(١) السببية : شقة من الثياب .

(٢) أى على الصوت وقد نبع أبوه ابن الزبير .

(٣) تاريخ الإسلام (٨ / ٢٤١ ، ٢٤٢) ، وسر أعلام النبلاء (٥ / ٣٢٩) .

هو عليّ ، فدخل ابن شهاب فقال : يا ابن شهاب من الذي تولى كبره ؟ قال : ابن أبي . فقال له : كذبت ، بل هو علي . قال : أنا أكذب لا أبا لك فوالله لو نادى مناد من السماء إن الله قد أحل الكذب ما كذبت ، حدثني سعيد وعروة وعبيد الله وعلقمة بن وقاص عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ، قال : فلم يزل القوم يغفرون به ، فقال له هشام : ارحل فوالله ما كان ينبغي لنا أن نحمل عن مثلك . فقال : ولم أنا اغتصبتك على نفسي ، أو أنت اغتصبتني على نفسي فخلّ عني ، فقال له : لا ولكنك استدنت ألفي ألف فقال : قد علمت - وأبوك قبل - أني ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك ، فقال هشام : إنا إن نهج الشيخ يهج الشيخ . فأمر فقضي من دينه ألف ألف ، فأخبر بذلك فقال : الحمد لله الذي هذا هو من عنده ^(١) . وعن مكحول وذكر الزهري : فقال : أي رجل هو لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك .

قال الذهبي : بعض من لا يعتد به لم يأخذ عن الزهري لكونه كان مداخلًا للخلفاء ، ولئن فعل ذلك فهو الثبت الحجة ، وأين مثل الزهري رحمه الله ^(٢) .

(١) تاريخ الإسلام (٨ / ٢٤٦ ، ٢٤٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٣٩) .

٦ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

روى عن سهل بن سعد ، وأنس بن مالك ، ولقيه بدمشق ، والسائب بن يزيد ، وعبد الله بن ثعلبة بن صغير ، ومحمود بن الربيع ، ومحمود بن لبيد ، وسفين أبي جميلة ، وأبى الطفيل عامر ، وعبد الرحمن بن أزهر ، وربيعة بن عباد الذبلي ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، ومالك بن أوس بن الحدثان ، وسعيد بن المسيب ، وجالسه ثمانى سنوات وتفقه به ، وعلقمة بن وقاص ، وكثير من العباس ، وأبى أمانة ابن سهل ، وعلى بن الحسين ، وعروة بن الزبير ، وأبى إدريس الخولاني ، وقبصة بن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان ، وسالم بن عبد الله ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، ومحمد بن النعمان بن بشير ، وأبى سلمة بن عبد الرحمن ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعثمان ابن إسحاق العامري ، وأبى الأحوص مولى بنى ثابت ، وأبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، والقاسم بن محمد ، وعامر بن سعد ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وعبد الله بن كعب بن مالك ، وأبى عمر رجل من بلى له صحبة ، وأبان بن عثمان ^(١) .

تلامذته :

قال الذهبي : حدث عنه عطاء بن أبي رباح ، وهو أكبر منه ، ومات قبله بضع وعشرين سنة ، وعمرو بن دينار ، وعمرو بن شعيب ، وقتادة بن دعامة وزيد بن أسلم ، وطائفة من أقرانه ، ومنصور بن المعتمر ، وأيوب السختياني ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وأبو الزناد ، وصالح بن كيسان ، وعقيل بن

(١) سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٢٧) .

خالد ، ومحمد بن الوليد الزبيدي ، ومحمد بن أبي حفصة ، وبكر بن وائل ،
وعمر بن الحارث ، وابن جريج ، وجعفر بن برقان ، وزباد بن سعد ، وعبد
العزیز بن الماجشون ، وأبو أويس ، ومعمار بن راشد ، والأوزاعي ، وشعيب بن
أبي حمزة ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وإبراهيم بن سعد ، وسعيد
ابن عبد العزيز ، فيلح بن سليمان ، وابن أبي ذئب ، وابن إسحاق ، وسفيان
ابن حسين ، وصالح بن أبي الأخضر ، وسليمان بن كثير ، وهشام بن سعد ،
وهشيم بن بشير ، وسفيان بن غينة وأم سواهم ^(١)

(١) سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٢٧ ، ٣٢٨) .

٧ - درر من أقواله رحمه الله

وعن معمر عن الزهري قال : إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب ^(١).

وعن ابن أبي رواد عن ابن شهاب قال : العمائم تيجان العرب ، والحبوة حيطان العرب ، والأضجاع في المسجد رباط المؤمنين ^(٢).

عن يونس قال : قال الزهري : إياك وغلول الكتب ، قلت : وما غلولها ؟ قال : حبسها ^(٣).

عن أبي يحيى عن الزهري قال : استكثروا من شيء لا تسمه النار . قيل : وما هو ؟ قال : المعروف ^(٤).

عن سفيان قال : سئل الزهري عن الزهد . فقال : من لم يمنعه الحلال شكره ولم يغلب الحلال صبره ^(٥).

عن محمد بن إسحاق عن الزهري قال : إن للعلم غوائل : فمن غوائله أن يترك العالم حتى يذهب بعلمه ، ومن غوائله النسيان ، ومن غوائله الكذب فيه وهو أشد غوائله ^(٦).

وروى معمر عن الزهري قال : ما عبد الله بشيء أفضل من العلم ^(٧).

وعن يونس عن الزهري : العلم وإد فإذا هبطت وادياً فعليك بالتؤدة حتى تخرج منه ^(٨).

وعن الزهري قال : كنا نأثي العالم فما نتعلم من أدبه ، أحب إلينا من

(٥) حلية الأولياء (٣ / ٣٧١) .

(٦) حلية الأولياء (٣ / ٣٦٤) .

(٧) تاريخ الإسلام (٨ / ٢٤٠) .

(٨) تاريخ الإسلام (٨ / ٢٤٠) .

(١) سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٤١) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٤٣) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٤٥) .

(٤) حلية الأولياء (٣ / ٣٧١) .

علمه (١)

وعن الأوزاعي عن الزهري قال : كان من مضى من علمائنا يقولون :
الإعتصام بالسنة نجاة ، والعلم يقبض قبضاً سريعاً ، فبعض العلم ثبات الدين
والدنيا ، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله (٢)

وقال حماد بن زيد : كان الزهري يحدث ثم يقول : هاتوا من أشعاركم
وأحاديثكم ، فإن الأذن مجاعة ، وإن للنفس حصنه (٣)

(١) تاريخ الإسلام (٨ / ٢٤٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (٨ / ٢٤٠) .

(٣) تاريخ الإسلام (٨ / ٢٤٧) .

٨ - وفاته رحمه الله

قال إبراهيم بن سعد وابن أخي الزهري والناس : مات سنة أربع وعشرين .
وقال خليفة : مات لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة .
وعن حسين بن المتوكل العسقلاني قال : رأيت قبر الزهري بأدامي ، وهي
خلف شعب وبذي ، وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز ، وبها
ضيعة للزهري ، رأيت قبره مسنماً مَجْصُصاً رحمه الله تعالى ^(١) .

(١) تاريخ الإسلام (٢٤٩ / ٨) باختصار .

من أعلام السلف

١١

أيُّوب السخِّيّانيّ

بين يدي الترجمة :

فمع علم من الأعلام وإمام من أئمة السلف الكرام ، ومع سيد شباب
أهل البصرة في زمانة ، وإمام من أئمة الحديث في أوانه ، إمام في الورع ،
والزهد ، والفرار من الشهرة . قال فيه شيخ المؤرخين الإمام الذهبي : إليه المنتهى
في الإتيان . أيوب السخّتياني .

فرحم الله أئمتنا الأعلام ونفعنا بعلمهم وزهدهم وورعهم ، وصلى الله
وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : أيوب بن أبي تميم ، واسمه كيسان السُّخْتِيَانِي أَبُو بَكْر البَصْرِي
مولى عنزة ويقال : مولى جهينة .

مولده : قال إسماعيل بن عُلَيَّة ولد أيوب سنة ست وستين وقال غيره :
ولد قبل الجارف بسنة ، سنة ثمان وستين ^(١) .

وقال الذهبي : مولده عام توفي ابن عباس سنة ثمان وستين ، وقد رأى
أنس بن مالك ، وما وجدنا له عنه رواية مع كونه معه فى بلد ، وكونه أدركه
وهو ابن بضع وعشرين سنة ^(٢) .

صفته : عن حماد بن زيد قال : ما كنت تسقى أيوب شربه من ماء على
القراءة إلا أن تعرفه ، كان شعره وافراً ، يحلقه من السنة إلى السنة قال : فكان
ربما طال فینسجه هكذا ، كأنه يفرقه ^(٣) .

(١) تهذيب الكمال (٤٦٣ / ٢) وقوله الجارف : أى الطاعون الجارف ، وكان سنة تسع وستين .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦ / ٦) .

(٣) طبقات ابن سعد (٣٤٨ / ٧) .

٢ - ثناء العلماء عليه

- عن الحسن قال : أيوب سيد شباب أهل البصرة ^(١) .
- وكان محمد بن سيرين إذا حدثه أيوب بالحديث يقول : حدثني الصدوق ^(٢) .
- وعن هشام بن عروة قال : ما قدم علينا من العراق أحد أفضل من ذاك السخيتاني أيوب ^(٣) .
- وعن أيوب بن سليمان بن بلال قال : قلت لعبيد الله بن عمر : أراك تتحرى لقاء العراقيين في الموسم . قال : فقال : والله ما أفرح في ستنى إلا أيام الموسم ، ألقى أقواماً قد نور الله قلوبهم بالإيمان ، فإذا رأيتهم ارتاح قلبي . فمنهم أيوب ^(٤) .
- قال محمد بن سعد : وكان أيوب ثقة ثبتاً في الحديث ، جامعاً عدلاً ، ورعاً ، كثير العلم ، ججّة ^(٥) .
- وعن شعبة قال : حدثني أيوب سيد الفقهاء ^(٦) .
- وعن سلام بن أبي مطيع قال : ما فُقِّنا أهل الأمصار في عصر قط إلا في زمان أيوب ، ويونس ، وابن عون ، لم يكن في الأرض مثلهم ^(٧) .
- وقال أبو حاتم وسئل عن أيوب فقال : ثقة لا يسأل عن مثله .
- قال الذهبي : إليه المنتهى في الإتقان ^(٨) .

(٥) طبقات ابن سعد (٧ / ٢٤٦) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٦ / ١٩) .

(٧) سير أعلام النبلاء (٦ / ١٩) .

(٨) سير أعلام النبلاء (٦ / ٢٠) .

(١) حلية الأولياء (٣ / ٣) .

(٢) حلية الأولياء (٣ / ٤) .

(٣) حلية الأولياء (٣ / ٤) .

(٤) حلية الأولياء (٣ / ٤) .

وقال النسائي : ثقة ثبت ^(١) .

وقال أبو حاتم : سئل ابن المديني : من أثبت أصحاب نافع ؟ ^(٢) . قال :
أيوب ، وفضله ، ومالك وإتقانه ، وعبيد الله وحفظه . وقال محمد بن أحمد بن
البراء بن علي بن المديني : وليس في القوم يعني هشام بن حسان ، وسلمة بن
علقمة ، وعاصم الأحول ، وخالد الحذاء مثل أيوب ، وابن عون ، وأيوب
أثبت من ابن سيرين ومن خالد الحذاء ^(٣) .

وعن أشعث قال : كان أيوب جهيد العلماء ^(٤) .

(١) تهذيب الكمال (٢ / ٤٦٣) .

(٢) تهذيب الكمال (٢ / ٤٦٢) .

(٣) تهذيب الكمال (٢ / ٤٦٢) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٦ / ٢) .

٣ - عبادته وخشيته رحمه الله

عن إسحاق بن محمد قال : سمعت مالك ابن أنس يقول : كنا ندخل على أيوب السختياني ، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه ^(١).

وعن هشام بن حسان قال : حج أيوب السختياني أربعين حجة ^(٢).

وعن سعيد بن عامر عن سلام قال : كان أيوب السختياني يقوم الليل كله فيخفي ذلك إذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة ^(٣).

وروى سليمان بن حرب عن حماد بن زيد قال : كان أيوب في مجلس فجاءته عبرة ، فجعل يتمخط ويقول : ما أشدُّ الزُّكَّام ^(٤).

وعن ابن شوذب قال : كان أيوب يؤم أهل مسجده في شهر رمضان ، ويصلي بهم في الركعة قدر ثلاثين آية ، ويصلي لنفسه فيما بين الترويحيتين بقدر ثلاثين آية ، وكان يقول هو بنفسه للناس الصلاة ، ويوتر بهم ، ويدعو بدعاء القرآن ، ويؤمن من خلفه ، وآخر ذلك يصلي على النبي ﷺ ويقول : اللهم استعملنا بستته ، وأوزعنا بهديه ، واجعلنا للمتقين إماماً ، ثم يسجد ، وإذا فرغ من الصلاة دعا بدعوات ^(٥).

(١) حلية الأولياء (٤ / ٣) .

(٢) حلية الأولياء (٥ / ٣) .

(٣) حلية الأولياء (٨ / ٣) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٦) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٢١ / ٦) .

٤ - زهده وورعه رحمه الله

عن ابن شوزب قال : كان أيوب - يعني السخثياني - إذا سئل عن شيء ليس عنده فيه شيء قال : سَلْ أَهْلَ الْعِلْمِ ^(١) .

وعن حماد عن أيوب قال : أدركتُ النَّاسَ هَاهُنَا وَكَلَامِهِمْ : إِنْ قَضَى وَإِنْ قَدَّرَ . وَكَانَ يَقُولُ : لِيَتَقَى اللَّهُ رَجُلِي ، فَإِنْ زَهْدٌ فَلَا يَجْعَلُنْ زَهْدَهُ عَذَاباً عَلَى النَّاسِ ، فَلَا يَخْفَى الرَّجُلُ زَهْدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَعلَنَهُ .

وكان أيوب ممن يخفى زهده ، دخلنا عليه فإذا هو على فراشٍ مُخَمَّسٍ أَحْمَرٍ فَرَفَعْتُهُ أَوْ رَفَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا ، فَإِذَا خَصْفَةٌ مُحْشَوَةٌ بِلَيْفٍ ^(٢) .

وعن شعبة قال : مَا وَاعَدْتُ أَيُوبَ مَوْعِداً قَطُّ إِلَّا قَالَ حِينَ يَفَارِقُنِي : لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَوْعِدٌ ، فَإِذَا جِئْتُ وَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي ^(٣) .

وعن بشر بن منصور قال : كُنَّا عِنْدَ أَيُوبَ فَعِظْنَا وَتَكَلَّمْنَا فَقَالَ لَنَا : كَفُوا ، وَلَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَخْبِرَكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ تَكَلَّمْتُ بِهِ الْيَوْمَ لَفَعَلْتُ ^(٤) .

قال حماد بن زيد : كَانَ أَيُوبَ صَدِيقاً لِيَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَلَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ قَالَ أَيُوبُ : اللَّهُمَّ أَنْسَهُ ذِكْرِي ^(٥) .

(١) طبقات ابن سعد (٧ / ٢٤٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٦ / ١٩) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٦ / ١٩) .

(٤) حلية الأولياء (٣ / ٨) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٦ / ٢٢) .

٥ - أدبه وفراره من الشهرة

عن حماد بن زيد قال : ما رأيت رجلاً قط أشد تبسماً في وجوه الرجال من أيوب ^(١).

وعن حماد قال : رأيت أيوب لا يتصرف من سوقه إلا معه شيء يحمله لعياله ، حتى رأيت قارورة الدهن بيده يحملها . فقلت له في ذلك فقال : إني سمعت الحسن يقول : إن المؤمن أخذ عن الله عز وجل أدباً حسناً ، فإذا أوسع عليه أوسع ، وإذا أمسك عليه أمسك ^(٢).

قال شعبة : قال أيوب : ذُكِرْتُ ولا أحبُّ أن أذكر .

وقال حماد بن زيد : كان لأيوب برد أحمر يلبسه إذا أحرم وكان يُعده كفنًا ، وكنت أمشي معه ، فيأخذ في طرق إني لأعجب له كيف يهتدي لها ، فراراً من الناس أن يقال : هذا أيوب ^(٣).

وقال شعبة : ربما ذهبت مع أيوب لحاجة فلا يدعني أمشي معه ، ويخرج من هاهنا وهاهنا لكي لا يَفْطَنَ له ^(٤).

(١) حلية الأولياء (٨ / ٣) .

(٢) حلية الأولياء (٩ / ٣) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٢ / ٦) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٢ / ٦) .

٦ - اتباعه للسنة وذمه للبدع وأهلها

قال حماد بن زيد : أيوب عندي أفضل من جالسته وأشدّه اتباعاً للسنة ^(١).

قال سعيد بن عامر الضبيّ عن سلام بن أبي مطيع قال : رأى أيوب رجلاً من أصحاب الأهواء فقال : إني لأعرف الذلّة في وجهه ثم تلا : ﴿ سَيَأْتِيهِمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ ﴾ (الأعراف ١٥٢) ثم قال : هذا لكل مقتر ، وكان يسمى أصحاب الأهواء خوارج ، ويقول : إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف ^(٢).

وقال له رجل من أهل الأهواء : يا أبا بكر أسألك عن كلمة ؟ فولى وهو يقول : ولا نصف كلمة مرتين ^(٣).

وعن هشام بن حسان عن أيوب السخيتاني قال : ما ازداد صاحب بدعة اجتهداً إلا ازداد من الله بُعداً ^(٤).

وعن ابن عينية قال : قال أيوب : إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائي ^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء ٦٠ / ٢١٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٦ / ٢١١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٦ / ٢١١ .

(٤) حلية الأولياء (٩ / ٣) .

(٥) حلية الأولياء (٩ / ٣) .

٧ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

قال الذهبي : سمع من أبي يزيد عمرو بن سلمة الجرمي ، وأبي عثمان النهدي ، وسعيد بن جبر ، وأبي العالية الرياحي ، وعبد الله بن شقيق ، وأبي قلابه الجرمي ، ومجاهد بن جبر ، والحسن البصري ومحمد بن سيرين ، ومعاذة العدوية ، وقيس بن عباية الحنفى ، وأبي رجاء عمران بن ملحان الطاردي ، وعكرمة مولى ابن عباس وأبي منجلز لاحق بن حميد ، وحفصة بنت سيرين ، ويوسف بن ماهك ، وعطاء بن أبي رباح ، ونافع مولى ابن عمر وأبي الشعثاء جابر بن زيد ، وحميد بن هلال ، وأبي الوليد عبد الله بن الحارث ، والأعرج ، وعمرو بن شعيب ، والقاسم بن عاصم ، والقاسم بن محمد ، وابن أبي مليكة ، وقتادة وخلق سواهم ^(١) .

تلامذته :

قال الذهبي : حدث عنه محمد بن سيرين ، وعمرو بن دينار ، والزهرى وقتادة ، وهم من شيوخه ، ويحيى بن أبي كثير ، وشعبة وسفيان ومالك ، ومعمّر ، وعبد الوارث ، وحماد بن سلمة ، وسليمان بن المغيرة ، وحماد بن زيد ، ومعمّر بن سليمان ، وهيب ، وعبيد الله بن عمرو ، واسماعيل بن علية ، وعبد السلام بن حرب ، ومحمد بن عبد الرحمن الطفاوى ، ونوح بن قيس الحداني ، وهشيم بن بشير ، ويزيد بن زريع ، وخالد بن الحارث ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الوهاب الثقفي وأم سواهم ^(٢) .

(١) سير أعلام النبلاء (١٦ / ٦) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦ / ٦) .

٨ - درر من أقواله

عن عبيد الله بن شميظ قال : سمعت أيوب السخيتاني وهو يقول : لا يستوى العبد - أولاً يسود العبد - حتى يكون فيه خصلتان اليأس مما في أيدي الناس ، والتغافل عما يكون منهم ^(١) .

وعن حماد بن زيد قال : قال لنا أيوب : إنك لا تبصر خطأ معلمك حتى تجالس غيره ، وتجالس الناس ^(٢) .

وعن حماد بن سلمة قال : سمعت أيوب يقول : إن قوماً يتعممون ويأبى الله إلا أن يضعهم ، وإن قوماً يتواضعون ويأبى الله إلا أن يرفعهم ^(٣) .

وعن حماد بن زيد قال : قال لي أيوب : الزم سوقك فإنك لا تزال كريماً على إخوانك ما لم تحتج إليهم ^(٤) .

وعن مخلد بن الحسين قال أيوب : ما صدق عبد قط فأحب الشهرة ^(٥) .

(١) حلية الأولياء (٥ / ٣) .
(٢) حلية الأولياء (٩ / ٣) .
(٣) حلية الأولياء (١٠ / ٣) .
(٤) حلية الأولياء (١١ / ٣) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٦) .

٩ - وفاته رحمه الله

قال الذهبي : اتفقوا على أنه توفي سنة إحدى وثلاثين ومئة بالبصرة زمن الطاعون ، وله ثلاث وستون سنة ، وآخر من روى حديثه عالياً أبو الحسن بن البخاري^(١)

(١) سير أعلام النبلاء (٦ / ٢٤) .

من أعلام السلف

١٢

الأعمش

سليمان بن مهران

بين يدي الترجمة :

مع علم جديد من أعلام السلف وهو من علماء الكوفة ومن صغار التابعين، وهو سليمان بن مهران الملقب بالأعمش، له علم وفواضل، وملح ونوادر، إمام في القرآن والحديث، لقب بالمصحف من صدقه، وكانوا يصححون مصاحفهم من حفظه، كان فقيرا من الدنيا ولكنه كان مليئا من العلم قال عيسى بن يونس : مارأينا الأغنياء والسلاطين في مجلس قط أحقر منهم في مجلس الأعمش، وهو محتاج إلى درهم.

قال أبو نعيم في وصفه : ومنهم الإمام المقرئ، الراوى المفتى، كان كثير العمل، قصير الأمل، من ربه راهبا ناسكا، ومع عباده لاعبا ضاحكا سليمان بن مهران الأعمش^(١).

تلمذ عليه الأكابر كشعبة وسفيان الثوري وسفيان بن عيينه وكان أعلم الناس بحديث عبد الله بن مسعود، رأى أنس بن مالك، ولكنه لم يرو عنه إلا بواسطه.

وكانت له عجائب ونوادر وملح ذكرنا شيئا منها في غضون الترجمة فرحمه الله وسائر الأئمة الأعلام والعلماء والكرام.

(١) حلية الأولياء (٤٦ / ٥) .

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم أبو محمد الكوفي الأعمش وكاهل هو ابن أسد بن خزيمة.

مولده: أصله من نواحي الرى. فقيل: ولد بقرية أمه من أعمال طبرستان، فى إحدى وستين وقدموا به إلى الكوفة طفلاً، وقيل حملاً^(١).

صفته: عن أبى عينية قال: رأيت الأعمش لبس فرواً مقلوباً وثياباً تسيل خيوطه على رجليه ثم قال: أرايتم لولا أنى تعلمت العلم من كان يأتينى؟ لو كنت بقالا كان يقدرنى الناس أن يشتروا منى^(٢).

وعن أبى بكر بن عياش قال: رأيت الأعمش يلبس قميصاً مقلوباً فيقول: الناس مجانين يلبسون الخشن مقابل جلودهم^(٣).

وعن أبى هشام قال: سمعت عمى يقول: قال عيسى بن موسى لابن أبى ليلى اجمع الفقهاء فجمعهم، فجاء الأعمش فى جبة فرو، وقد ربط وسطه بشرط فأبطأوا فقام الأعمش فقال: إن أردتم أن تعطونا شيئاً وإلا فخلوا سبيلنا فقال: يا ابن أبى ليلى قلت لك تأتى بالفقهاء تجيء بهذا؟ قال هذا سيدنا الأعمش^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢٧/٦)

(٢) حلية الأولياء (٤٧/٥) وقوله: «عن أبى عينة»: الصحيح ابن عينة كما ذكره الذهبى

(٣) حلية الأولياء (٥١/٥)

(٤) تاريخ بغداد (٨/٩)

٢ - شفاء العلماء عليه

قال أحمد بن عبد الله العجلي: الأعمش ثبتُ كان محدث الكوفة في زمانه يقال: إنه ظهر له أربعة آلاف حديث، ولم يكن له كتاب قال: وكان يقرأ القرآن [هو] رأس فيه وكان فصيحاً^(١).

وقال عيسى بن يونس: لم نر نحن مثل الأعمش، وما رأيت الأغنياء عند أحد أحقر منهم عنده مع فقره وحاجته.

قال الذهبي: كان عزيز النفس، قنوعاً، وله رزق على بيت المال في الشهر خمسة دنانير، قررت له في آخر عمره^(٢).

وعن ابن عيينة قال: سبق الأعمش الناس بأربع: كان أقرأهم للقرآن وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض، وذكر خصلة أخرى^(٣).

وقال أحمد: أبو إسحاق والأعمش رجلا أهل الكوفة^(٤).

وقال محمد بن سعد: وكان الأعمش صاحب قرآن وفرائض وعلم بالحديث، وقرأ عليه طلحة بن مصرف القرآن وكان يقرئ الناس ثم ترك ذلك في آخر عمره، وكان يقرأ القرآن في كل شعبان على الناس في كل يوم شيئاً معلوماً حين كبر وضعف، ويحضرون مصاحفهم، فيعارضونها ويصلحونها على قراءته^(٥).

عن عيسى بن يونس قال: ما رأينا في زماننا مثل الأعمش، ولا الطبقة الذين

(١) سير أعلام النبلاء (٢٣٤/٦، ٢٣٥)

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٣٥/٦)

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٤٦/٦)

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٣٤/٦)

(٥) طبقات ابن سعد (٣٤٢/٦)

كانوا قبلنا، وما رأينا الأغنياء والسياسيين في مجلس قط أحقر منهم في مجلس الأعمش، وهو محتاج إلى درهم^(١) وكان القاسم بن عبد الرحمن يقول: ليس أحد أعلم بحديث عبد الله من الأعمش^(٢).

وعن ضرار بن صرد قال: ما كان هذا العلم إلا في العرب وأشرف الملوك فقال له رجل من جلسائه: وأى نبل كان الأعمش؟ قال شريك: أما لو رأيت الأعمش ومعه لحم يحمله وسفيان الثوري عن يمينه، وشريك عن يساره، وكلاهما ينازعه حمل اللحم لعلمت أن ثم نبلًا كثيرًا^(٣).

وعن إسحاق بن راشد قال: قال لى الزهري: وبالعراق أحد يحدث قلت: نعم قلت له: هل لك أن آتيك بحديث بعضهم؟ فقال لى نعم: فجئته بحديث سليمان الأعمش، فجعل ينظر فيها ويقول ما ظننت أن بالعراق من يحدث مثل هذا. قال: قلت: وأزيدك هو من مواليهم^(٤).

وقال على بن المديني: حفظ العلم على أمة محمد ﷺ ستة فلاهل مكة عمرو بن دينار، ولأهل المدينة ابن شهاب الزهري، ولأهل الكوفة أبو إسحاق السبيعي، وسليمان بن مهران الأعمش، ولأهل البصرة يحيى بن أبي كثير ناقله وقتادة^(٥).

وقال شعبة: ماشفاني أحد في الحديث ماشفاني الأعمش^(٦).

وقال عبد الله بن داود الخريبي سمعت شعبة إذا ذكر الأعمش قال:

(١) حلية الأولياء (٤٨/٥)

(٢) حلية الأولياء (٤٨/٥)

(٣) حلية الأولياء (٤٨/٥)

(٤) تاريخ بغداد (١١/٩)

(٥) تهذيب الكمال (٨٤/١٢) وقوله ناقله أى من المتتالين إليها.

(٦) تهذيب الكمال (٨٦/١٢)

المصحف المصحف^(١).

وقال عمر بن علي: كان الأعمش يسمى المصحف من صدقه^(٢).

وقال محمد بن عمار الموصلي: ليس في المحدثين أثبت من الأعمش، ومنصور بن المعتمر، وهو ثبت أيضا، وهو أفضل من الأعمش. إلا أن الأعمش أعرف بالمسند وأكثر مسندا منه^(٣).

(١) تهذيب الكمال (٨٦/١٢)

(٢) تهذيب الكمال (٨٧/١٢)

(٣) تهذيب الكمال (٨٧/١٢)

٣ - الأعمش والتدليس

قال الذهبي: الأعمش أبو محمد أحد الأئمة الثقات عداؤه في صغار التابعين مانقموا عليه إلا التدليس .

قال الذهبي: قال جرير بن عبد الحميد: سمعت مغيرة يقول: أهلك أهل الكوفة أبو إسحاق وأعيمشكم هذا، كأنه عنى الرواية عن من جاء، وإلا فالأعمش عدل صادق ثابت صاحب سنة وقرآن ويحسن الظن بمن يحدثه، ويروى عنه، ولا يمكننا أن نقطع عليه بأنه علم ضعف ذلك الذي يدلسه، فإن هذا حرام .

وقال الذهبي في خاتمة ترجمته في الميزان: وهو يدلّس وربما دلّس عن ضعيف ولا يدري به، فمتى قال: حدثنا فلا كلام ، ومتى قال: «عن» تطرق إليه احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم، كإبراهيم وابن أبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال .

وقال ابن المديني: الأعمش كان كثير الوهم في أحاديث هؤلاء الضعفاء^(١) .

٤ - عبادته رحمه الله

قال وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى^(١).

وقال عبد الله الخريشي: ما خلف الأعمش أعبد منه^(٢).

وعن عبد الرزاق قال: أخبرني بعض أصحابنا أن الأعمش قام من النوم لحاجة فلم يصب ماءً فوضع يده على الجدار فتيمم ثم نام فقبل له في ذلك. قال: أخاف أن أموت على غير وضوء^(٣).

وعن إبراهيم بن عرعة قال: سمعت يحيى القطان إذا ذكر الأعمش قال: كان من النساك، وكان محافظا على الصلاة في الجماعة، وعلى الصف الأول، وهو علامة الإسلام، وكان يحيى يلتمس الحائط حتى يقوم في الصف الأول^(٤).

وعن أبي نعيم قال: قال عبد السلام: كان الأعمش إذا حدث يتخشع ويعظم المعلم^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢٨/٦)

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٢٨/٦)

(٣) حلية الأولياء (٤٩/٥)

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٣٢/٦)

(٥) حلية الأولياء (٥٢/٥)

٥ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه:

قال الحافظ: روى عن أنس ولم يثبت له منه سماع، وعبد الله بن أبي أوفى يقال مرسل، وزيد بن وهب، وأبي وائل، وأبي عمرو الشيباني، وقيس بن أبي حازم، وإسماعيل بن رجاء، وأبي صخرة جامع بن شداد، وأبي ظبيان بن جندب، وخيثمة بن عبد الرحمن الجعفي، وسعيد بن عبيدة، وأبي حازم الأشجعي، وسليمان بن مسهر، وطلحة بن مصرف، وأبي سفيان طلحة بن نافع، وعامر الشعبي، وإبراهيم النخعي، وعبد الله بن مرة، وعبد العزيز بن رفيع، وعبد الملك بن عمير، وعدى بن ثابت، وعمارة بن عمير، وعمارة بن القعقاع، ومجاهد بن جبر، وأبي الضحى، ومنذر الثوري، وهلال بن يساف، وخلق كثير (١).

تلامذته:

قال الحافظ: وعنه الحكم بن عتيبة، وزبيد الياقني، وأبو إسحاق السبيعي وهو من شيوخه، وسليمان التيمي، وسهيل بن أبي صالح. وهو من أقرانه، ومحمد بن واسع، وشعبة والسفيانان، وإبراهيم بن طهمان، وجريز بن حازم، وأبو إسحاق الفزاري، وإسرائيل، وزائدة، وأبو بكر بن عياش، وشيبان النحوي، وعبد الله بن إدريس، وابن المبارك، وابن نمير، والخريري، وعيسى بن يونس، وفضيل بن عياض، ومحمد بن عبد الرحمن الطفاوي، وهشيم، وأبو شهاب الحنظلي، وخلائق من أواخرهم أبو نعيم، وعبيد الله بن موسى (٢).

(١) تهذيب التهذيب (١٩٥/٤)

(٢) تهذيب التهذيب (١٩٥/٤)

٦ - مَلَحٌ مِنْ أَخْبَارِهِ

قال الذهبي: وكان مع جلالة في العلم والفضل صاحب مَلَحٍ ومزاح قيل إنه جاءه أصحاب الحديث يوماً فخرج فقال: لولا أن مافي منزلي من هو أبغض إلي منكم ماخرجت إليكم^(١).

وقد سأله داود الحائك: ماتقول يا أبا محمد في الصلاة خلف الحائك؟ فقال: لا بأس بها على غير وضوء. قيل فما تقول في شهادة الحائك قال: تقبل مع عدلين^(٢).

وقيل: إن الأعمش كان له ولد مُغَفَّلٌ فقال له: اذهب فاشتر لنا حبلاً للغسيل فقال: يا أبة طول كم؟ قال: عشرة أذرع. قال: في عرض كم؟ قال: في عرض مصيبي فيك^(٣).

وعن سفيان قال: جاء شبيب بن شيبه وأصحاب له إلى الأعمش فنادوه على بابهِ ياسليمان اخرج إلينا فقال: من الداخل: من أتم قالوا: نحن من الذين ينادونك من وراء الحجرات فقال من الداخل: أكثرهم لا يعقلون^(٤).

ويقال إن الأعمش كان ربما خرج إليهم وعلى كتفه مئزر العجين وإنه لبس مرة فرواً مقلوباً فقال له قائل: يا أبا محمد لو لبستها وصوفها إلى داخل كان أدفاً لك. قال: كنت أشرت على الكيش بهذه المشورة^(٥).

(١) تاريخ الإسلام (١٦٣/١٠)

(٢) تاريخ الإسلام (١٦٣/١٠)

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٣٩/٦)

(٤) حلية الأولياء (٥٤/٥)

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٤٤/٦)

٧ - درر من أقواله

عن حفص بن غياث قال: سمعت الأعمش يقول: يوشك إن احتبس عليّ الموت إن وجدته بالثمن اشتريته^(١).

وعن الحسن بن صالح عن الأعمش قال: إنا كنا لنشهد الجنازة فلا ندرى من نغزى من حزن القوم^(٢).

وعن منصور بن أبي الأسود قال: سألت الأعمش عن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام ١٢٩] ماسمعتهم يقولون فيه؟ قال سمعتهم يقولون: إذا فسد الناس أمر عليهم شرارهم^(٣).

وقال حميد: سمعت أبي يقول: سمعت الأعمش يقول: لا تبثروا اللؤلؤ تحت أظلاف الخنازير^(٤).

وقيل لحفص بن أبي حفص الأبار رأيت الأعمش قال: نعم وسمعت يقول: إن الله يرفع بالعلم أو بالقرآن أقواما ويضع به آخرين، وأنا ممن يرفعني الله به، لولا ذلك لكان عليّ عنق دن صحن أطوف به في سكك الكوفة^(٥).

(١) حلية الأولياء (٥٠/٥)

(٢) حلية الأولياء (٥٠/٥)

(٣) حلية الأولياء (٥٠/٥، ٥١)

(٤) حلية الأولياء (٥٢/٥)

(٥) حلية الأولياء (٥٤/٥)

٨ - وفاته رحمه الله

عن أبي بكر بن عياش قال: دخلت على الأعمش في مرضه الذي توفي فيه فقلت: أدعو لك الطبيب؟ قال: ما أصنع به لو كانت نفسي معي لطرحتها في الحش إذا أنا مت فلا تؤذني بي أحداً، واذهب بي واطرحني في لحدى^(١).

قال الذهبي: قالوا مات الأعمش في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة بالكوفة، ومات معه فيها شيخ المدينة جعفر بن محمد الصادق، وشيخ مصر عمرو بن الحارث الفقيه، وشيخ حمص محمد بن الوليد الزبيدي، وشيخ واسط العوام بن حوشب، وقاضي الكوفة وفقيها محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى^(٢).

عن جرير قال: رأيت الأعمش بعد موته في منامي فقلت: أبا محمد كيف حالكم؟ قال: نجونا بالمغفرة والحمد لله رب العالمين^(٣).

(١) حلية الأولياء (٥١/٥)

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٤٥/٦)

(٣) تاريخ بغداد (١٣٠/٩)

من أعلام السلف

١٣

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت

بين يدي الترجمة :

هذه الجولة في السلسلة المباركة « من أعلام السلف » مع إمام من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المتبعة ، وكلهم فاضل كريم ، وإنما تأخرت في إنجاز ترجمته لأمر :

أولها : أن الأمور تجرى بالمقادير ، والذي يملك مفاتيح خزائن السماوات والأرض هو الذي يملك قلوب العباد .

ثانيها : همة البحث والتوفيق بيد الله عز وجل نسأل الله أن يوفقنا لطاعته وأن يعرضنا لأسباب رحمته وجنته .

ثالثها : أن هذا الإمام تباينت أقوال الناس فيها تبايناً بليغاً ، فمن معظم أشد تعظيم ، فمقدم له على جميع العلماء ، وهم متعصبية الأحناف ، وفي مقابلهم من انتقصه وطعن في حفظه وفضله ، وقد ساق الخطيب رحمه الله في ترجمته أقوال الفريقين ، إلا أن أسانيد من طعن فيه الغالب عليها الضعف الشديد ، ومع تتبع سيرته وانتقاء أبعد الروايات عن الغلو والقصور ، اتضحت لنا بفضل الله عز وجل الأمور ، وظهر ما أخبر به الخريبي : لا يقع في أبي حنيفة إلا جاهل أو حاسد ^(١) .

وإذا كان الأصل في المسلم حسن الظن ، فكيف بمن شهد له علماء عصره الأثبات بالعدالة والفقه والشرف والفضل ، وكيف بمن امتلأت قلوب المسلمين بمحبته ، وشغلت الألسنة بالثناء عليه ، وقد قال النبي ﷺ : « تلك عاجل بشرى المؤمن » رواه مسلم .

(١) سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠٣) .

قال التاج السبكي : ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين ، وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض إلا إذا أتى ببرهان واضح ، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك ، وإلا فاضرب صفحاً عما جرى بينهم فإنك لم تخلق لهذا ، فاشتغل بما يعنيك ، ودع ما لا يعنيك ، ولا يزال طالب العلم عندي نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين ، ويقضى لبعضهم على بعض ، فإياك ثم إياك أن تصغى إلى ما اتفق بين أبي حنيفة وسفيان الثوري ، أو بين مالك وابن أبي ذئب ، أو بين أحمد بن صالح والنسائي ، أو بين أحمد والحارث بن أسد المحاسبي ، وهلم جرا إلى زمان العز بن عبد السلام والتقى ابن الصلاح ، فإنك إذا اشتغلت بذلك خشيت عليك الهلاك ، فالقوم أئمة أعلام ، ولأقوالهم محامل ، وربما لم تفهم بعضها ، فليس لنا إلا الترضى عنهم ، والسكوت عما جرى بينهم ، كما نقول فيما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم ^(١)

عن يحيى بن معين قال : سمعت يحيى القطان يقول : جالسنا والله أبا حنيفة وسمعنا منه ، وكنت والله إذا نظرت إليه عرفت في وجهه أنه يتقى الله عز وجل ^(٢)

وقال سفيان بن عيينة : ما قدم مكة رجل في وقتنا أكثر صلاة من أبي حنيفة ^(٣)

وروى الخطيب بسنده أبياتاً مدح فيها ابن المبارك أبا حنيفة رحمه الله فقال :

(١) نقلاً عن الخيرات الحسان (١٠٣ ، ١٠٤) والأوئى أن يترحم على العلماء ، ويقتصر الترضى على الصحابة الكرام

(٢) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٥٢)

(٣) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٥٣)

رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ كُلَّ يَوْمٍ
وَيَنْطِقُ بِالصَّوَابِ وَيَصْطَفِيهِ
يُقَاسِسُ مَنْ يُقَاسِسُهُ بُلْبُ
كَفَانًا فَقَدْ حَمَادَ وَكَانَتْ
فَرَدَّ شَمَاتَهُ الْأَعْدَاءُ عَنَّا
رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ حِينَ يُؤْتَى
إِذَا مَا الْمُشْكِلَاتُ تَدَافَعَتْهَا
يَزِيدُ نَبَالَهٗ وَيَزِيدُ خَيْرًا
إِذَا مَا قَالَ أَهْلُ الْجَوْرِ جَوْرًا
فَمَنْ ذَا يَجْعَلُونَ لَهُ نَظِيرًا
مُصِيبَتُنَا بِهِ أَمْرًا كَبِيرًا
وَأَبْدَى بَعْدَهُ عِلْمًا كَثِيرًا
وَيُطَلِّبُ عِلْمَهُ بِحِرَاءٍ غَزِيرًا
رَجَالَ الْعِلْمِ كَانَ بِهَا بَصِيرًا^(١)

وبعد فلسنا مع متعصبة الأحناف الذين يرفعون الإمام أبي حنيفة فوق جميع علماء الأمة ، أو الذين يعتقدون أن رسول الله ﷺ بشر به ، وأنه لقي جمعاً من الصحابة وروى عنهم ، كما أننا كذلك لسنا مع الذين يطعنون فيه ويجرحونه وينسبون إليه الأقاويل الشنيعة ظلماً وبهتاناً ، بل نعتقد أنه إمام من أئمة المسلمين طيب السيرة والسريرة ، سارت بعلومه الركبان ، وانتشر علمه في سائر البلدان ، ونشهد الله عز وجل على حينا له ، وهو من أئمة الاجتهاد مأجور على كل حال ، إما أجراً كاملاً إن كان مصيباً ، وإما أجراً ناقصاً إن أخطأ ، وهو معذور إن أخطأ ، والأئمة الأربعة الكرام لهم من المنزلة الخاصة في قلوب المسلمين ، لانتفاع الناس بعلومهم ، ولعل لهم من سريرة الخير ما رفع الله به منارهم ، وأبقى على مر الزمان ذكرهم ، فنسأل الله عز وجل أن يميّتنا على حبهم ، وأن يخشرنّا في جمعهم ، يوم يحشر المرء مع من أحب ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم .

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٥٠) .

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : النعمان بن ثابت بن زوطى التيمى الكوفى مولى بنى تميم بن ثعلبة ، وقيل سبب تكتيته بأبى حنيفة ملازمته للدواة المسماة حنيفة بلغة العراق .
مولده : ولد سنة ثمانين بالكوفة فى خلافة عبد الملك بن مروان فى حياة صغار الصحابة ، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة ، ولم يثبت له حرف عن أحد منهم .

صفته : قال أبو يوسف رحمه الله : كان ربعة من أحسن الناس صورة ، وأبلغهم نطقاً ، وأكملهم إيراداً ، وأحلامهم نعمة وأبينهم حجة على من يريد .
وقال حماد ولده : كان طويلاً يعلوه سمرة ، جميلاً حسن الوجه ، هيبوا لا يتكلم إلا جواباً ، ولا يخوض فيما لا يعنيه .

قال أحمد بن حجر الهيتمى : ولا تنافى بين كونه ربعة وبين كونه طويلاً ، لأنه قد يكون مع كونه ربعة أقرب إلى الطول .

وقال ابن المبارك : كان حسن الوجه حسن الثياب ^(١)

وقال عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة : رأيت أبا حنيفة شيخاً يفتى الناس بمسجد الكوفة ، على رأسه قلنسوة سوداء طويلة ^(٢)

(١) الخيرات الحسان فى مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان (٣٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٩٩) .

٢ - ثناء العلماء عليه والرد على من طعن فيه

قال الفضيل بن عياض : كان أبو حنيفة رجلاً فقيهاً ، معروفاً بالفقه ، مشهوراً بالورع ، واسع المال ، معروفاً بالأفضال على من يطيف به ، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار ، حسن الليل ، كثير الصمت ، قليل الكلام ، حتى ترد مسألة في حلال أو حرام ، فكان يحسن أن يدل على الحق ، هارباً من مال السلطان ^(١) .

وزاد ابن الصباح : وكان إذا وردت عليه مسألة فيها حديث صحيح اتبعه ، وإن كان عن الصحابة والتابعين ، وإلا قاس وأحسن القياس ^(٢) .

وعن أبي بكر بن عياش قال : مات عمر بن سعيد أخو سفيان . فأتينا نعرته ، فإذا المجلس غاصاً بأهله ، وفيهم عبد الله بن إدريس ، إذا أقبل أبو حنيفة في جماعة معه ، فلما رآه سفيان تحرك من مجلسه ثم قام فاعتقه وأجلسه في موضعه وقد بين يديه . قال أبو بكر فاعتظت عليه . وقال ابن إدريس : ويحك ألا ترى ؟ فجلسنا حتى تفرق الناس فقلت لعبد الله بن إدريس : لا تقم حتى نعلم ما عنده في هذا . فقلت : يا أبا عبد الله رأيتك اليوم فعلت شيئاً أنكرته وأنكره أصحابنا عليك . قال وما هو ؟ قلت : جاءك أبو حنيفة فقممت إليه وأجلسته في مجلسك ، وصنعت له صنيعاً بليفاً ، وهذا عند أصحابنا منكر .

فقال : وما أنكرت من ذلك ، هذا رجل من العلم بمكان ، فإن لم أقم لعلمه قممت لسنه ، وإن لم أقم لسنه قممت لفقهه ، وإن لم أقم لفقهه قممت لورعه ، فأحجمني فلم يكن عندي جواب ^(٣) .

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٤٠) .

(٢) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٤٠) .

(٣) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٤٠) .

وعن أبي وهب محمد بن مزاحم قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول :
رأيت أعبد الناس ، ورأيت أروع الناس ، ورأيت أعلم الناس ، ورأيت أفقه الناس .
فأما أعبد الناس فعبد العزيز بن أبي رواد ، وأما أروع الناس ، فالفضيل بن
عياض ، وأما أعلم الناس فسفيان الثوري ، وأما أفقه الناس فأبو حنيفة .
ثم قال : ما رأيت في الفقه مثله ^(١) .

وعن يحيى بن معين قال : كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما
يحفظه ، ولا يحدث بما لا يحفظ ^(٢) .

وعن أبي وهب محمد بن مزاحم قال : سمعت عبد الله بن المبارك
يقول : لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس ^(٣) .

وعن الشافعي قال : قيل لمالك : هل رأيت أبا حنيفة ؟ قال : نعم ، رأيت
رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته ^(٤) .

وعن قيس بن الربيع قال : كان أبو حنيفة ورعاً تقياً مفضلاً على
إخوانه ^(٥) .

وعن شريك قال : كان أبو حنيفة طويل الصمت كثير العقل ^(٦) .

وقال يزيد بن هارون : ما رأيت أحداً أحلم من أبي حنيفة ^(٧) .

وعن أبي معاوية الضرير قال : حبُّ أبي حنيفة من السنة ^(٨) .

وقال الشافعي : الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة ^(٩) .

وقال الذهبي : وكان من أذكى بني آدم ، جمع الفقه ، والعبادة ،

(٦) سير أعلام النبلاء (٤٠٠ / ٦)

(٧) سير أعلام النبلاء (٤٠٠ / ٦)

(٨) سير أعلام النبلاء (٤٠٠ / ٦)

(٩) المعبر (١٦٤ / ١)

(١) تاريخ بغداد (٣٤ / ١٣)

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٩٥ / ٦)

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٩٨ / ٦)

(٤) سير أعلام النبلاء (٣٩٩ / ٦)

(٥) سير أعلام النبلاء (٤٠٠ / ٦)

والورع ، والسخاء ، وكان لا يقبل جوائز الدولة ^(١) .

وقال ضرار بن صرد : سئل يزيد بن هارون أيما أفقه الثوري أو أبو حنيفة ؟ فقال : أبو حنيفة أفقه ، وسفيان أحفظ للحديث ^(٢) .

قال في هامش السير : وأما ما يؤثر عن النسائي وابن عدى من تضعيفهم لأبي حنيفة من جهة حفظه فهو مردود لا يعتد به في جنب توثيق أئمة الجرح والتعديل بمن أمثال علي بن المديني ، ويحيى بن معين ، وشعبة ، وإسرائيل بن يونس ، ويحيى بن آدم ، وابن داود الخريبي ، والحسن بن صالح ، وغيرهم ، فهؤلاء كلهم معاصرون لأبي حنيفة ، أو قريبو العهد به ، وهم أعلم الناس به ، وأعلم من النسائي وابن عدى . وأمثالهما من المتأخرين عن أبي حنيفة بكثير كالدرافطني الذي ولد بعد مئتي سنة من وفاة أبي حنيفة ، فقول هؤلاء الأئمة الأقرب والأعلم أخرى بالقبول ، وقول المتأخرين زماناً أجدر بالرمى في حضيض الخمول ، وقد نقل الشيخ ابن حجر المكي في « الخيرات الحسان » ص : ٣٤ قول شعبة ابن الحجاج في أبي حنيفة : « كان والله حسن الفهم ، جيد الحفظ » ، وهذا نص صريح في قوة حفظه صادر عن هو مشهود له بالإمامة وبالتدين والتشدد في نقد الرجال ، وبهذا القول الرشيد يسقط كل ما ادعاه المتعصبون ، والحاقدون ، من متقدم ومتأخر ، من ضعف هذا الإمام العظيم ^(٣) .

وقال السبكي : ضرورة نافعة لا تراها في شيء من كتب الأصول ، فإنك إذا سمعت أن الجرح مقدم على التعديل ، ورأيت الجرح والتعديل وكنت غراً بالأمور أو فداماً مقتصرأ على منقول الأصول حسبت أن العمل على جرحه ،

(١) المعبر (١ / ١٦٤) .

(٢) تذكرة الحفاظ (١ / ١٦٨) .

(٣) هامش سير أعلام النبلاء بتحقيق حسين الأسد وإشراف شبيب الأرنؤوط (٦ / ٣٩٢) .

فإياك ، والحذر كل الحذر ، من هذا الحسبان بل الصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته ، وكثر مادحوه ومزكوه ، وندر جارحوه ، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره ، فإننا لا نلتفت إلى الجرح فيه ، ونعمل فيه بالعدالة ، وإلا فلو فتحنا هذا الباب ، وأخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة ، وإذا ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون ، وهلك فيه الهالكون ^(١) .

(١) قاعدة في الجرح والتعديل (٥٤ - ٥٩) باختصار .

٣ - عبادته رحمه الله

عن أسد بن عمرو : أن أبا حنيفة رحمه الله صلى العشاء والصبح بوضوء أربعين سنة ^(١).

وعن بشر بن الوليد عن القاضي أبي يوسف قال : بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة إذا سمعت رجلاً يقول لآخر : هذا أبو حنيفة لا ينام الليل . فقال أبو حنيفة : والله لا يتحدث عني بما لم أفعل فكان يحيى الليل صلاة وتضرعاً ودعاءً ^(٢).

وعن المثني بن رجاء قال : جعل أبو حنيفة على نفسه إن حلف بالله صادقاً أن يتصدق بدينار ، وكان إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها ^(٣). وقال أبو عاصم النبيل : كان أبو حنيفة يسمى الوتد لكثرة صلاته ^(٤).

وعن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن أبيه : أنه صحب أبا حنيفة ستة أشهر قال : فما رأيته صلى الغداة إلا بوضوء عشاء الآخرة ، وكان يختم كل ليلة عند السحر ^(٥).

وعن القاسم بن معن : أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى : ﴿ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ ﴾ [القمر : ٤٦] ويكي ويتضرع إلى الفجر ^(٦).

وقال الفضل بن دكين : رأيت جماعة من التابعين وغيرهم فما رأيت أحسن صلاة من أبي حنيفة ، ولقد كان قبل الدخول في الصلاة

(١) سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٩٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠٠) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠١) .

(١) سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٩٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٩٩) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠٠) .

يكنى ويدعوه ^(١).

وقالت أم ولد لأبي حنيفة : ما توسد فراشاً بليل منذ عرفته ، وإنما كان نومه بين الظهر والعصر بالصيف ، وأول الليل بمسجده في الشتاء ^(٢) .
وقال ابن أبي رواد : ما رأيت أصبر على الطواف والفتيا بمكة منه ، إنما كان كل الليل والنهار في طلب الآخرة والنجاة ، ولقد شاهدته عشر ليالٍ فما رأيته نام بالليل ولا هداً ساعة من نهار من طواف وصلاة أو تعليم ^(٣) .
وعن سفيان بن عيينة قال : ما قدم مكة رجل في وقتنا أكثر صلاة من أبي حنيفة ^(٤) .

(١) الخيرات الحسان (٥١)

(٢) الخيرات الحسان (٥١ ، ٥٢)

(٣) الخيرات الحسان (٥٢)

(٤) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٥٣)

٤ - ورعه رحمه الله

عن عبد الله بن المبارك قال : قدمت الكوفة فسألت عن أورع أهلها فقالوا : أبو حنيفة ^(١) .

وقال مكى بن إبراهيم : جالست الكوفيين فما رأيت أورع من أبى حنيفة ^(٢) .

وعن على بن حفص البزار قال : كان حفص بن عبد الرحمن شريك أبى حنيفة ، وكان أبو حنيفة يجهز عليه فبعث إليه رفقة بمتاع ، وأعلمه أن فى ثوب كذا وكذا عيباً ، فإذا بعته فبين فباع حفص المتاع ونسى أن يبين ، ولم يعلم ممن باعه ، فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمان المتاع كله ^(٣) .

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٥٨) .

(٢) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٥٨) .

(٣) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٥٨) .

٥ - سماحته وكرمه رحمه الله

عن قيس بن الربيع قال : كان أبو حنيفة رجلاً ورعاً فقيهاً محسوداً كثير الصلة والبر لكل من لجأ إليه ، كثير الإفضال على إخوانه ^(١) .

وعن حفص بن حمزة القرشي قال : كان أبو حنيفة ربما مر به الرجل فيجلس إليه لغير قصد ولا مجالسة ، فإذا قام سأل عنه ، فإن كانت به فاقة وصله ، وإن مرض عاده ، حتى يجره إلى مواسلته ، وكان أكرم الناس مجالسة ^(٢) .

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٦٠) .
(٢) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٦٠ ، ٣٦١) .

٦ - اتباعه للسنة رحمه الله

عن سعيد بن سالم البصرى قال : سمعت أبا حنيفة يقول : لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة قال : أنت من القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ؟ قلت : نعم . قال : فمن أى الأصناف أنت ؟ قلت : ممن لا يسب السلف ، ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحداً بذنب . قال : فقال لى عطاء : عرفت فالزم^(١) .

قال العلامة أحمد بن حجر الهيئى المكي : اعلم أنه يتعين عليك أن لا تفهم من أقوال العلماء عن أبى حنيفة وأصحابه أنهم أصحاب رأى ، أن مرادهم بذلك تنقيصهم ، ولا نسبتهم إلي أنهم يقدمون رأيهم على سنة رسول الله ﷺ ، ولا على قول أصحابه ، لأنه يراء من ذلك .

فقد جاء عن أبى حنيفة من طرق كثيرة ما ملخصه : أنه أولاً يأخذ بما فى القرآن ، فإن لم يجد فبالسنة ، فإن لم يجد فبقول الصحابة^(٢) . فإن اختلفوا أخذ بما كان أقرب إلى القرآن أو السنة من أقوالهم ، ولم يخرج عليهم ، فإن لم يجد لأحد منهم قولاً لم يأخذ بقول أحد من التابعين ، بل يجتهد كما اجتهدوا .

وقال الفضيل بن عياض : إن كان فى المسألة حديث صحيح تبعه ، وإن كان عن الصحابة أو التابعين فكذلك ، وإلا قاس فأحسن القياس .

وقال ابن المبارك رواية عنه : إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن الصحابة اخترنا ولم نخرج عن أقوالهم ، وإذا جاء

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ٢٣١) .

(٢) أو ، إذا اجمعوا ، والله أعلم .

عن التابعين زاحمناهم .

وعنه أيضاً : عجباً للناس يقولون : أفنى بالرأى ، ما أفنى إلا بالأثر .

وعنه أيضاً : ليس لأحد أن يقول برأيه مع كتاب الله تعالى ، ولا مع سنة رسول الله ﷺ ، ولا ما أجمع عليه الصحابة ، وأما ما اختلفوا فيه فنتخير من أقوالهم أقربهم إلى كتاب الله تعالى أو إلى السنة ، ونجتهد ، وما جاوز ذلك فإلجتهاد بالرأى لمن عرف الاختلاف وقاس وعلى هذا كانوا^(١) .

(١) الخيرات الحسان (٤١ ، ٤٢) .

٧ - محنته رحمه الله

عن عبيد الله بن عمرو : أن ابن هبيرة ضرب أبا حنيفة مائة سوط وعشرة أسواط في أن يلى القضاء فأبى ، وكان ابن هبيرة عامل مروان على العراق في زمن بنى أمية ^(١) .

وعن يحيى بن عبد الحميد عن أبيه قال : كان أبو حنيفة يخرج كل يوم - أو قال بين الأيام - فيضرب ليدخل في القضاء فأبى ، ولقد بكى في بعض الأيام فلما أطلق قال لى : كان غم والدتى أشد على من الضرب ^(٢) .

وعن بشر بن الوليد قال : طلب المنصور أبا حنيفة فأراد على القضاء وحلف ليلين فأبى ، وحلف إنى لا أفعل . فقال الربيع الحاجب : ترى أمير المؤمنين يحلف ، وأنت تحلف ؟ قال : أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر منى ، فأمر به إلى السجن ، فمات فيه ببغداد ^(٣) .

وقيل : دفعه أبو جعفر إلى صاحب شرطته حميد الطوسي ، فقال : يا شيخ إن أمير المؤمنين يدفع إلى الرجل فيقول لى : اقتله أو اقطعه أو اضربه ولا أعلم بقصته فماذا أفعل ؟ فقال : هل يأمرك أمير المؤمنين بأمر وقد وجب أو بأمر لم يجب ؟ قال : بل بما قد وجب .. قال : فبادر إلى الواجب ^(٤) .

وعن مغيث بن بديل قال : دعا المنصور أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع ، فقال : أترغب عما نحن فيه ؟ فقال : لا أصلح . قال : كذبت ، قال : فقد حكم أمير المؤمنين على أن لا أصلح إن كنت كاذباً ، وإن كنت صادقاً فقد

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٢٦) .

(٢) تاريخ بغداد (١٣ / ٣٢٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠١) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠٢) .

أخبرتكم أني لا أصلح فحبسه .

وروى نحوها إسماعيل بن أبي أويس عن الربيع الحاجب : وفيها قال أبو حنيفة : والله ما أنا بمأمون الرضى فكيف أكون مأمون الغضب ؟ فلا أصلح لذلك . قال المنصور : كذبت بل تصلح . فقال : كيف يحل أن تولى من يكذب ؟

وقيل : إن أبا حنيفة ولى القضاء ، ففضى قضية واحدة ، وبقي يومين ثم اشتكى ستة أيام وتوفى .

وقال الفقيه أبو عبد الله الصيمرى : لم يقبل العهد بالقضاء فضرب وحبس ، ومات فى السجن ^(١) .

٨ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

قال الحافظ : روى عن عطاء بن أبي رباح ، وعاصم بن أبي النجود ،
وعلقمة بن مرثد ، وحماد بن أبي سليمان ، والحكم بن عتيبة ، وسلمة بن
كهيل ، وأبي جعفر محمد بن علي ، وعلي بن الأقرم ، وزباد بن علاقة ،
وسعيد بن مسروق الثوري ، وعدى بن ثابت الأنصاري ، وعطية بن سعيد
العوفي ، وأبي سفيان السعدي ، وعبد الكريم أبي أمية ، ويحيى بن سعيد
الأنصاري ، وهشام بن عروة في آخرين^(١).

تلامذته :

قال الحافظ : وعنه ابنه حماد ، وإبراهيم بن طهمان ، وحمزة بن حبيب
الزيات ، وزفر بن الهذيل ، وأبو يوسف القاضي ، وأبو يحيى الحماني ، وعيسى
ابن يونس ، ووكيع ، ويزيد بن زريع ، وأسد بن عمرو البجلي ، وحكام بن
يعلى بن سلم الرازي ، وخارجة بن مصعب ، وعبد المجيد ابن أبي رواد ، وعلي
ابن مسهر ، ومحمد بن بشر العبدى ، وعبد الرزاق ، ومحمد بن الحسن
الشييباني ، ومصعب بن المقدام ، ويحيى بن يمان ، وأبو عصمة نوح بن أبي
مريم ، وأبو عبد الرحمن المقرئ ، وأبو عاصم وآخرون^(٢).

(١) تهذيب التهذيب (٤٠١ / ١٠) .

(٢) تهذيب التهذيب (٤٠١ / ١٠) ومن تلامذته أيضاً شيخ المحدثين عبد الله بن المبارك ، وشيخ الزهاد
داود الطائي .

٩ - براعته رحمه الله في الفقه

قال يحيى بن سعد القطان : لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأى أبى حنيفة ^(١).

وقال على بن عاصم : لو وزن علم أبى حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح عليهم ^(٢).

وقال حفص بن غياث : كلام أبى حنيفة في الفقه أدق من الشعر ، لا يعيبه إلا جاهل ^(٣).

وروى عن الأعمش : أنه سئل عن مسألة فقال : إنما يحسن هذا الثعمان بن ثابت الخزاز ، وأظنه بورك له في عمله ^(٤).

وقال جرير : قال لى مغيرة : جالس أبا حنيفة تفقه ، فإن إبراهيم النخعي لو كان حياً لجالسه ^(٥).

وقال ابن المبارك : أبو حنيفة أفقه الناس ^(٥).

وقال الشافعي : الناس في الفقه عيال على أبى حنيفة .

قال الذهبي : الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام ، وهذا أمر لا شك فيه .

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا أَحْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ
وسيرته تحتل أن تفرد في مجلدين ^(٦) رحمه الله

(٤) سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠٣)

(٥) سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠٣)

(٦) سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠٣)

(١) سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠٢)

(٢) سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠٣)

(٣) سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠٣)

١٠ - وفاته رحمه الله

قال الذهبي في العبر : وقد روى أن المنصور سقاه السم فمات شهيداً رحمه الله^(١).

وقال الهيثمي : روى جماعة أنه رفع إليه قدح فيه سم ليشرّب فامتنع وقال : إني لأعلم ما فيه ، ولا أُعِينُ على قتل نفسي ، فطرح ثم صب في فيه قهراً فمات .

وقيل : إذ ذلك كان بحضرة المنصور ، وصح أنه لما أحس بالموت سجد فخرجت نفسه وهو ساجد .

وقيل الامتناع عن القضاء لا يوجب للمنصور أن يقتله هذه القتلة الشنيعة ، وإنما السبب في ذلك ، أن بعض أعداء أبي حنيفة دس إلى المنصور أن أبا حنيفة هو الذي أثار عليه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم الخارج عليه بالبصرة : فخاف خوفاً شديداً ، ولم يقر له قرار ، وأنه قواه بمال كثير فخشي المنصور من ميله إلى إبراهيم لأنه أعنى أبا حنيفة ، كان وجيهاً ذا مال واسع من التجارة ، فطلبه لبغداد ، ولم يجسر على قتله بغير سبب ، فطلب منه القضاء مع علمه بأنه لا يقبله ليتوصل بذلك إلى قتله^(٢).

واتفقوا على أنه رحمه الله عليه مات سنة مائة وخمسين عن سبعين سنة ، قال كثيرون : وكان موته في رجب ، وقيل شعبان ، وقيل : نصف شوال ، ولم يخلف غير ولده حماد^(٣) . فرحمه الله عز وجل رحمة واسعة .

(١) العبر (١ / ١٦٤) .

(٢) الخيرات الحسان (٩٢) .

(٣) الخيرات الحسان بتصرف واختصار (٩٢) .

من أعلام السلف

١٤

عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي

بين يدي الترجمة :

فما زلنا بحمد الله سعداء بصحبه الركب المبارك أعلام السلف ، وعالمنا وعَلَمُنَا في هذه الترجمة إمام مَبَارَكُ من أئمة أتباع التابعين ، ومن علماء الشام الغُرِّ الميامين ، جمع العلم والأدب والعبادة والخشية ، فكان لا يهاب الملوك الجبابرة ، وتهابه الملوك لقوته في الحق ، وعدم مدهانتة للخلق ، فما أحوج الطلاب والعلماء إلى معرفة سيرته ، والانتفاع ببركته .

ونكتفي في هذه المقدمة بما ذكره الحافظ الذهبي في سيره عن العباس بن الوليد قال : فما رأيت أبى يتمجب من شيء في الدنيا تعجبه من الأوزاعي ، فكان يقول : سبحانك تفعل ما تشاء ، كان الأوزاعي يتيماً فقيراً في حجر أمه ، تنقله من بلد إلى بلد ، وقد بلغ حكمك فيه أن بلغته حيث رأيت ، يابنى عجزت الملوك أن تؤدّب أنفسها وأولادها أدب الأوزاعي في نفسه ، ما سمعت منه كلمة قط فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه ، ولا رأيت ضاحكاً قط حتى يقهقه ، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد أقول في نفسي أترى في المجلس قلب لم ييك^(١)

فرحم الله الأوزاعي وسائر أئمة المسلمين ، وجمعنا بهم في عليين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ١١٠) .

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الشامي الأوزاعي .
مولده : قال أبو مسهر وطائفة : ولد سنة ثمان وثمانين .
 وعن ضمرة قال : سمعت الأوزاعي يقول : كنت محتتماً أو شبيهاً بالمحتلم
 في خلافة عمر بن عبد العزيز ^(١) .
 وقال الوليد بن مزيد : مولده بعلبك ، ومنشؤه بالكرك ^(٢) .
 قال الذهبي : كان يسكن عجلة الأوزاع وهي العقبة الصغيرة ظاهر باب
 الفرديس بدمشق ، ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات ^(٣) .
صفته : قال محمد بن عبد الرحمن السلمى : رأيت الأوزاعي فوق
 الربة ، خفيف اللحم ، به سمة ، يخضب بالحناء ^(٤) .

(١) سير أعلام النبلاء (١٠٩ / ٧)

(٢) سير أعلام النبلاء (١١٠ / ٧)

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٠٧ / ٧)

(٤) سير أعلام النبلاء (١١١ / ٧)

٢ - ثناء العلماء عليه

- عن عبد الرحمن بن مهدي قال : الأئمة في الحديث أربعة : الأوزاعي ومالك ، وسفيان الثوري ، وحamad بن زيد ^(١) .
- وعنه قال : ما كان بالشام أحداً أعلم بالنسب من الأوزاعي ^(٢) .
- وعن عثمان بن سعيد الدارمي قال : سألت يحيى بن معين عن الأوزاعي ما حاله في الزهري فقال : ثقة ما أقل ما روى عن الزهري ^(٣) .
- وعن سفيان بن عيينة قال : كان الأوزاعي إمام يعني أهل زمانه ^(٤) .
- وقال محمد بن سعد : وكان ثقة ، مأموناً ، صدوقاً ، فاضلاً ، خيراً ، كثير الحديث ، والعلم والفقہ ، حجة ^(٥) .
- وقال إسماعيل بن عباس سعت الناس في سنة أربعين ومائة يقولون : الأوزاعي اليوم عالم الأمة .
- وعن محمد بن شعيب قال : قلت لأمية بن يزيد أين الأوزاعي من مكحول قال : هو عندنا أرفع من مكحول .
- قال الذهبي : بلا ريب هو أوسع دائرة في العلم من مكحول ^(٦) .
- وقال الخريبي : كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه ^(٧) .
- عن الوليد بن مسلم قال : ما كنت أحرص على السماع من الأوزاعي حتى رأيت رسول الله ﷺ في المنام والأوزاعي إلى جنبه فقلت يا رسول الله :

(٥) طبقات ابن سعد (٧ / ٤٨٨) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٧ / ١١١) .

(٧) سير أعلام النبلاء (٧ / ١١١) .

(١) تهذيب الكمال (١٧ / ٣١٣) .

(١) تهذيب الكمال (١٧ / ٣١٣) .

(١) تهذيب الكمال (١٧ / ٣١٣) .

(١) تهذيب الكمال (١٧ / ٣١٤) .

عمن أحمل العلم ؟ قال : عن هذا ، وأشار إلى الأوزاعي .
قال الذهبي : كان الأوزاعي كبير الشأن ^(١) .

وقال إسحاق بن راهوية : إذا اجتمع الثوري ، والأوزاعي ومالك على أمر فهو سنة .

قال الذهبي : بل السنة سنة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده ، والإجماع هو ما اجتمعت عليه علماء الأمة قديماً وحديثاً ، إجماعاً ظنياً أو سكوتياً ، فمن شذ عن هذا الإجماع من التابعين أو تابعيهم لقول بإجتهاده احتمل له ، فأما من خالف الثلاثة المذكورين من كبار الأئمة فلا يسمى مخالفاً للإجماع ولا للسنة ، وإنما مراد إسحاق أنهم إذا اجتمعوا على مسألة فهو حق غالباً ، كما نقول اليوم : لا يكاد يوجد الحق فيما أئمة الإجتهد الأربعة على خلافة ، مع اعترافنا بأن اتفاقهم على مسألة لا يكون إجماع الأمة ، ونهاب أن نجزم في مسألة اتفقوا عليها بأن الحق في خلافها .

ومن غرائب ما انفرد به الأوزاعي : أنَّ الفخذ ليست في الحمام عورة ، وأنها في المسجد عورة ، وله مسائل كثيرة حسنة يتفرد بها ، وهي موجودة في الكتب الكبار ، وكان له مذهب مستقل مشهور عمل به فقهاء الشام مدة ، وفقهاء الأندلس ثم فنى ^(٢) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ١١٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ١١٦ ، ١١٧) .

٣ - عبادته رحمه الله

قال الوليد بن مسلم : ما رأيت أحداً أشد اجتهاداً من الأوزاعى فى العبادة .

وقال غيره : حيج فما نام على الراحلة . إنما هو فى صلاة فإذا نَعَسَ استند إلى القتب ، وكان من شدة الخشوع كأنه أعمى ^(١) .

وعن الوليد بن مزيد قال : كان الأوزاعى من العبادة على شئ ما سمعنا بأحد قوى عليه ، ما أتى عليه زوال قط إلا وهو قائم يصلى .

وقال مروان الطاطرى : قال الأوزاعى : من أطال قيام الليل هون الله عليه وقوف يوم القيامة ^(٢) .

وقال الوليد بن مسلم : رأيت الأوزاعى يثبت فى مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ويخبرنا عن السلف أن ذلك كان هديهم ، فإذا طلعت الشمس قام بعضهم إلى بعض ، فأفاضوا فى ذكر الله والفقہ فى دينه ^(٣) .

(١) البداية والنهاية (١١٧ / ١٠) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩٩ / ٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١١٤ / ٧) .

٤ - خشيته رحمه الله

عن بشر بن المنذر قال : رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع ^(١) .
وعن أبي مسهر قال : مارئي الأوزاعي باكياً قط ، ولا ضاحكاً حتى تبدو
نواجذه ، وإنما كان يتبسم أحياناً كما روى في الحديث ، وكان يحيى الليل
صلاة وقرآناً وبكاءً .

وأخبرني بعض إخواني من أهل بيروت أن أمه كانت تدخل منزل
الأوزاعي ، وتتفقد موضع مصلاه ، فتجده رطباً من دموعه في الليل ^(٢) .
وقال بعضهم : ما روى الأوزاعي ضاحكاً مقهقهاً قط ، ولقد كان يعظ
الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه ، وما رأناه يبكي في
مجلسه قط ، وكان إذا خلى بكى حتى يرحم ^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٩٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢٠) .

(٣) البداية والنهاية (١٠ / ١١٦) .

٥ - ورعه رحمه الله

عن أبي مسهر قال : حدثنا محمد بن الأوزاعي قال : قال لي أبي لو قبلنا من الناس كلما يعطونا لهنّا عليهم^(١) .

وعن أحمد بن أبي الحواري قال : بلغني أن نصرانياً أهدى إلى الأوزاعي جرةً عمل فقال له : يا أبا عمرو تكتب لي إلى والي بعلبك قال : إن شئت رددت الجرة وكتبت لك وإلا قبلت الجرة ولم أكتب لك . قال : فرد الجرة ، وكتب له فوضع عنه ثلاثين ديناراً^(٢) .

وعن أبي فروة يزيد بن محمد الرهاوي : سمعت أبي يقول : قلت لعيسى ابن يونس : أيهما أفضل الأوزاعي أو سفيان ؟

فقال : وأين أنت من سفيان قلت : يا أبا عمرو ذهبت بك العرقية ، الأوزاعي فقهه وفضله وعلمه فغضب ، وقال أتراني أوتر على الحق شيئاً ، سمعت الأوزاعي يقول : ما أخذنا العطاء حتى شهدنا على علي بالنفاق ، وتبرأنا منه ، وأخذ علينا بذلك الطلاق والعتاق وأيمان البيعة ، قال : فلما عقلت أمري سألت محكول ويحيى بن أبي كثير وعطاء ابن أبي رباح ، وعبيد الله بن عبيد بن عمير فقالوا : ليس عليك شيء ، وإنما أنت مكروه ، فلم تقر عيني حتى فارقت نسائي ، وأعتقت رقيقتي ، وخرجت من مالي ، وكفرت أيماني ، فأخبرني سفيان كان يفعل ذلك^(٣) .

وعن سعيد بن سالم صاحب الأوزاعي قال : قدم أبو مرحوم من مكة على الأوزاعي ، فأهدى له طرائف فقال له : إن شئت قبلت منك ولم تسمع مني حرفاً . وإن شئت فضم هديتك واسمع^(٤) .

(١) حلية الأولياء (٦ / ١٤٣) .

(٢) حلية الأولياء (٦ / ١٤٣) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٣٠ ، ١٣١) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٣٢) .

٦ - إتباعه للسنّة

عن العباس بن الوليد قال : حدثنا أبي قال سمعت الأوزاعي يقول : عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال ، وإن زخرفوه لك بالقول ، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم^(١)

وعن بقية بن الوليد قال : قال لى الأوزاعي : يا فقيه لا تذكر أحداً من أصحاب نبيك إلا بخير ، يابقية العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ ، ومالم يجمع عنهم فليس بعلم^(٢)

وعن بقية والوليد بن يزيد قال : قال الأوزاعي : لا يجتمع حب على وعثمان رضی الله عنهما إلا في قلب مؤمن^(٣)

وعن محمد بن كثير المصيصي قال : سمعت الأوزاعي يقول : كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنّة من صفاته^(٤)

وعن أبي إسحاق الفزاري قال : قال الأوزاعي اصبر نفسك على السنّة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنه يسمعك ما وسعهم ، ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول ولا يستقيم القول إلا بالعمل ، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية وموافقة السنّة ، وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل ، والعمل من الإيمان ، والإيمان من العمل ، وإنما الإيمان اسم جامع كما

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢٠) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢٠) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢٠) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢١) .

يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدق العمل، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه
وصدق بعمله فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم
يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله لم يقبل منه وكان في الآخرة من
الخاسرين ^(١)

وعن الأوزاعي قال : رأيت رب العزة في المنام فقال : أنت الذي تأمر
بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فقلت : بفضلك أي رب ثم قلت : يارب أمتي
على الإسلام ، فقال : وعلى السنة ^(٢)

(١) حلية الأولياء (٦ / ١٤٣ ، ١٤٤) .

(٢) البداية والنهاية (١٠ / ١١٧) .

٧ - صدعه بكلمة الحق

عن أبي خلود عتبة بن حماد القارئ وقال : حدثنا الأوزاعي قال : بعث عبد الله بن عليّ إليّ فاشتد ذلك عليّ ، وقدمت فدخلت ، والناس سماطان فقال : ما تقول في مخرجنا وما نحن فيه قلت : أصلح الله الأمير قد كان بيني وبين داود بن علي مودة . قال : لتخبرني ، فتفكرت ، ثم قلت : لأصدقته واستبسلت للموت . ثم رويت له عن يحيى بن سعيد حديث « الأعمال » وبيده قضيب ينكت به ثم قال : يا عبد الرحمن : ما تقول في قتل أهل هذا البيت ؟ قلت : حدثني محمد بن مروان عن مطرف بن الشخير عن عائشة عن النبي ﷺ قال : « لا يحل قتل المسلم إلا في ثلاث » وساق الحديث . فقال : أخبرني عن الخلافة وصية لنا من رسول الله ﷺ ؟ فقلت لو كانت وصية من رسول الله ﷺ ما ترك علي - (عليه السلام) - أحداً يتقدمه . قال : فما تقول في أموال بني أمية ؟ قلت : إن كانت لهم حلالاً ، فهي عليك حرام ، وإن كانت عليهم حراماً فهي عليك أحرم فأمرني فأخرجت .

قال الذهبي : قد كان عبد الله بن علي ملكاً جباراً سفاكاً للدماء ، صعب المراس ، ومع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بمر الحق كما ترى ، لا كخُلقي من علماء السوء الذين يحسنون للأمرء ما يقتحمون من الظلم والعسف ، ويقلبون لهم الباطل حقاً - قاتلهم الله - أو يسكتون مع القدرة على بيان الحق (١)

وعن أبي الأسوار محمد بن عمر التنوخي قال : كتب المنصور إلى الأوزاعي .

أما بعد : قد جعل أمير المؤمنين في عنقك ما جعل الله لرعيته قبلك في

عنقة ، فاكتب إلّى بما رأيت فيه المصلحة مما أحببت .
فكتب إليه :

أما بعد ... فعليك بتقوى الله ، ونواضع يرفعك الله يوم يضع المتكبرين فى الأرض بغير الحق واعلم أن قرابتك من رسول الله ﷺ لن تزيد حق الله عليك إلا عظماً ولا طاعته إلا وجوباً^(١) .

وعن عبد الحميد بن بكار قال حدثنا ابن أبى العشرين : سمعت أميراً بالساحل يقول : وقد دفنا الأوزاعى ونحن عند القبر - رحمك الله أبا عمرو ، فلقد كنت أخافك أكثر ممن ولانى^(٢) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢٥) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢٦) .

٨ - شيوخه وتلامذته

شيوخه :

قال الحافظ : روى عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، وشداد بن عمار ، وعبد بن أبي لبابة ، وعطاء بن أبي رباح ، وقتادة ، وأبي النجاشي عطاء بن صهيب ، ونافع مولى ابن عمر ، والزهرى ، ومحمد بن إبراهيم التيمي ، ومحمد بن سيرين ، والمطلب بن عبد الله بن حنطب ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، ويحيى بن أبي كثير ، وأبي عبيد المذحجى ، وأبى كثير السحيمى ، وسليمان بن حبيب المحارب ، وحسان بن عطية ، وربيع بن أبي عبد الرحمن ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، وعمرو بن زيات ، والوليد بن هشام المعيطى ، ويزيد بن يزيد بن جابر ، وخلق من أقرانه وغيرهم (١).

تلامذته :

قال الحافظ : روى عنه مالك وشعبة ، والثورى ، وابن المبارك ، وابن أبي الزناد ، وعبد الرازق ، وبقية ، وبشر بن بكر ، ومحمد بن حرب ، وعقل ابن زياد ، ويحيى بن سعيد القطان ، وشعيب بن إسحاق ، وأبى ضمرة المدنى ، وصخرة بن ربيعة ، وإسماعيل بن عبد الله بن سماعة ، وأبو إسحاق الفزارى ، وإسماعيل بن عياش ، وعبد الله بن كثير الدمشقى القارى ، وعبد الله بن نعيم ، وعمرو بن أبى سلمة التنيسى ، ومبشر بن إسماعيل ، ومحمد بن شعيب بن شابور ، ومحمد بن مصعب القرقيساني ، ومخلد بن يزيد الحراني ، والهيثم بن

حميد والوليد بن مسلم ، والوليد بن يزيد العذرى ، ويحيى بن حمزة
 الحضرمى ، ويزيد بن السميت ، ويحيى بن عبد الله بن الضحاك البابلتي وموسى
 ابن أعين الجزرى ، وعيسى بن يونس وعمرو بن عبد الواحد السلمى ، وعبد
 الحميد بن حبيب بن أبي العشرين ، وأبو عاصم النبيل ، ومحمد بن يوسف
 الفريابى ، والمغيرة الخولانى ، وعبيد الله بن موسى العيسى ، ومحمد بن كثير
 المصيصى وجماعة ، وروى عنه من شيوخه الزهرى ، ويحيى بن أبى كثير ،
 وقتادة وغيرهم ^(١)

٨ - درر من أقواله

عن يحيى بن عبد الملك بن أبي عنبية قال : كتب الأوزاعي إلى أخ له :
أما بعد فإنه قد أحيط بك من كل جانب ، واعلم أنه يسار بك في كل يوم
وليلة ، فاحذر الله والمقام بين يديه ، وأن يكون آخر عهدك به والسلام ^(١) .
وعن الأوزاعي قال : إن المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيراً ، وإن المنافق يقول
كثيراً ويعمل قليلاً ^(٢) .

وعن موسى بن أعين قال : قال لي الأوزاعي : يا أبا سعيد كنا نمرح
ونضحك فأما إذا صرنا يقتدى بنا ما أرى يسعنا التبسُّم ^(٣) .
وعن أبي حفص عمرو بن أبي سلمة عن الأوزاعي قال : من أكثر ذكر
الموت كفاه اليسير ، ومن علم أن منطقة من عمله قل كلامه . قال أبو حفص :
سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول : ما جاء الأوزاعي بشيء أعجب إلينا من
هذا ^(٤) .

وعن الوليد بن مزيد قال : سمعت الأوزاعي يقول : إذا أراد الله بقوم شراً
فتح عليهم باب الجدل ومنعهم العمل ^(٥) .
وعن محمد بن شعيب قال : سمعت الأوزاعي يقول : من أخذ بنوادر
العلماء خرج من الإسلام ^(٦) .

وعن الأوزاعي قال : ما ابتدع رجل بدعة إلا سلب الورع ^(٧) .

- | | |
|-----------------------------|---------------------------------|
| (١) حلية الأولياء (٦ / ١٤١) | (٥) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢١) |
| (٢) حلية الأولياء (٦ / ١٤٢) | (٦) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢٥) |
| (٣) حلية الأولياء (٦ / ١٤٣) | (٧) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢٥) |
| (٤) حلية الأولياء (٦ / ١٤٣) | |

١٠ - وفاته رحمه الله

عن محمد بن عبيد الطنافسي قال : كنت عند سفيان الثوري فجاءه رجل فقال : رأيت كأن ريحانه من المغرب رفعت . قال : إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعي ، فكتبوا ذلك فوجد كذلك في ذلك اليوم ^(١) .

وعن أحمد بن عيسى المصري حدثني خيران بن العلاء وكان من خيار أصحاب الأوزاعي قال : دخل الأوزاعي الحمام وكان لصاحب الحمام حاجة ، فأغلق عليه الباب وذهب ثم جاء ففتح فوجد الأوزاعي ميتاً مستقبل القبلة .

وعن أبي مسهر قال : بلغنا موت الأوزاعي ، وأن امرأته أغلقت عليه باب الحمام غير متعمدة فمات ، فأمرها سعيد بن عبد العزيز بعنق رقبة ، ولم يخلف سوى ستة دنائير ، فضلت من عطائه ، وكان قد اكتسب - رحمه الله - في ديوان الساحل .

وقال أبو مسهر وعدة : مات سنة سبع وخمسين ومائة وزاد بعضهم : في

صفر ^(٤)

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢٦) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢٧) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٢٨) .

من أعلام السلف

١٥

أمير المؤمنين في الحديث
شعبة بن الحجاج

بين يدي الترجمة :

مازلنا بحمد الله عز وجل سعداء بصحبة العلماء الأعلام ، والأئمة الكرام ، وهذه حلقة من حلقات هذه السلسلة المباركة سلسلة التراجم التربوية « من أعلام السلف » وشيخنا فيها إمام من أئمة الحديث من التابعين ، ومن العلماء العاملين ، إمام الحديث في أوانه ، والمقدم على سائر أقرانه ، كان حماد بن زيد وناهيك به شرفاً وفضلاً شيخ ابن المبارك إذا حدث عنه قال :

حَدَّثَنَا الضَّخْمُ عَنِ الضَّخَامِ شُعْبَةُ الْخَيْرِ أَبُو بَسْطَامٍ

إنه شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بَسْطَام . وقال بعضهم : وهل العلماء إلا شعبة من شعبة . اشتهر بالزهد والعفاف ، والورع والكفاف ، كان محباً للمساكين ، معظماً لأهل الدين ، مع أنه كان فقيراً من الفقراء ، قَوِّمُوا ثيابه وحماره وسرجه ولجامه ببعضه عشر درهماً ، كان إذا حَكَّ جلده تنأثر منه التراب ، ولكنه كان شديد الغيرة على حديث النبي ﷺ .

قال حماد بن زيد : رأيت شعبة قد لبب أبان بن أبي عياش يقول : استعدى عليك إلى السلطان ، فإنك تكذب على رسول الله ﷺ .

قال : فبصرني فقال : يا أبا إسماعيل . قال : فأتيته فما زلت أطلب إليه حتى خلصته ^(١) .

وكان شديد التحري قال : لو حدثتكم عن ثقة ما حدثتكم إلا عن ثلاثة . وقالوا له مرة حدثنا ولا نتحدثنا إلا عن ثقة فقال : قوموا . فكأنه لم يجد شرطهم . روى عنه مالك بن نجم السنن بواسطة مع أن مالك لا يفعل ذلك إلا

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٢) .

نادراً . قال العلماء : لولا شعبة لذهب حديث أهل العراق ، ولما مات شعبة قال سفيان : مات الحديث .

قال الذهبي : كان أبو بسطام إماماً ثباتاً ، حجة ، ناقداً ، جهيذا ، صالحاً ، زاهداً ، قانعاً بالقوت ، رأساً في العلم والعمل ، منقطع النظرير ، وهو أول من جرح ، وعدل ، أخذ عنه هذا الشأن يحيى بن سعيد القطان وابن مهدي وطائفة ، وكان سفيان الثوري يخضع له ويجله ويقول : شعبة أمير المؤمنين في الحديث ^(١) .

فلا يليق بطلاب العلم الشرعي أن يجهلوا مثل هذه القمم الشامخة والأمثلة النادرة ، التي قلما يسمح الزمان بمثلها ، لقد لمع نجمه في سماء كثرت فيها النجوم ، واشتهر اسمه في أزمنة هي أزمنة العلم والخير والبركة والعلماء العاملين ، في زمن سفيان ، ومالك ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، وحماد بن زيد ، وغيرهم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وهذه فائدة جديدة من فوائد هذه السلسلة المباركة ، وهي تبصير أجيال الصحو بما لم يشتهر عند العوام من العلماء الكرام والأئمة الأعلام ، حتى يتقربوا إلى الله بحبيهم والنسج على منوالهم ، والله عز وجل يرزقنا وإياهم جنة عالية ، قطوفها دانية .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

١ - اسمه ومولده وصفته

- اسمه :** شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي أبو بسطام الواسطي مولى عبدة بن الأغر مولى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة .
- وقال قعنب بن المحرر : مولى الجهاضم من العتيك .
- وقال محمد بن سعد : مولى الأشاقر عتاقة ^(١) .
- مولده :** ولد في سنة ثمانين في دولة عبد الملك بن مروان وقال أبو زيد الهروى : ولد سنة اثنتين وثمانين .
- صفته :** قال حمزة بن زياد الطوسي : سمعت شعبة وكان ألنغ قد يس جلد من العبادة ^(٢) .
- وعن أبي بحر البكراوى قال : ما رأيت أعبد لله من شعبة ، لقد عبد الله حتى حتى جلد على ظهره ، ليس بينهما لحم ^(٣) .
- وقال أبو قطن : كانت ثياب شعبة كالتراب ، وكان كثير الصلاة سخياً ^(٤) .
- وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال : كان شعبة إذا حك جسمه انتثر منه التراب وكان سخياً كثير الصلاة ^(٥) .

(١) تهذيب الكمال للمزى (١٢ / ٤٧٩ ، ٤٨٠) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٠٩) .

(٣) تهذيب الكمال (١٢ / ٤٩٢) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢١١) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢١١) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال أبو عبد الله الحاكم : شعبة إمام الأئمة بالبصرة في معرفة الحديث رأى أنس بن مالك ، وعمر بن سلمة الجرمي ، وسمع من أربعمائة شيخ من التابعين ، قال : وحدث عنه من شيوخه : منصور ، والأعمش ، وأيوب ، وداود ابن أبي هند ، وسعد بن إبراهيم - يعني قاضي المدينة ^(١) .

قال الذهبي : ومن جلالته قد روى مالك الإمام عن رجل عنه ، وهذا قل أن عمله مالك ^(٢) .

عن أبي داود حدثنا شعبة قال : قال لي سفيان الثوري : أنت أمير المؤمنين في الحديث ^(٣) .

وعن أبي النضر قال : كان سليمان بن المغيرة إذا ذكر شعبة قال : سيد المحدثين ، وكان شعبة إذا ذكر سليمان قال : سيد القراء ^(٤) .

وعن الفضيل بن زياد قال : سئل أحمد بن حنبل : شعبة أحب إليك حديثاً أو سفيان ؟ فقال : شعبة أنبل رجالاً وأنسق حديثاً ^(٥) .

وعن سلم بن قتيبة : قدمت البصرة فأتيت الكوفة ، فأتيت سفيان فقال لي : من أين أنت ؟ فقلت : من البصرة . فقال : ما فعل أستاذنا شعبة ^(٦) .

وقال يحيى بن معين : شعبة إمام المتقين ^(٧) .

وقال أبو زيد الأنصاري : وهل العلماء إلا شعبة من شعبة ^(٨) .

(٦) تهذيب الكمال (١٢ / ٤٩١) .

(٧) تاريخ الإسلام (٩ / ٤٢٠) .

(٨) تاريخ الإسلام (٩ / ٤٢١) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٦) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٠٥) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٤) .

(٤) حلية الأولياء (١٥٣ / ٧) .

(٥) تاريخ بغداد (٩ / ٢٦٤) ، (١٢ / ٤٩٠) تهذيب الكمال .

قال ابن معين : كان يحيى بن سعيد إذا سمع الحديث من شعبة لم يبال أن لا يسمعه من غيره ^(١) .

وقال حماد بن زيد : إذا خالفني شعبة في حديث صرت إليه ^(٢) .

وعن حسن بن عيسى قال : سمعت ابن المبارك قال : كنت عن سفيان فأتاه موت شعبة فقال : اليوم مات الحديث ^(٣) .

وقال الشافعي : لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق ^(٤) .

وقال أبو قطن : كتب لى شعبة إلى أبي حنيفة فأتيته فقال : كيف أبو بسطام ؟ قلت : بخير . قال : نعم حشو المصر هو ^(٥) .

قال أحمد بن حنبل : شعبة أثبت من الأعمش في الحكم - أى ابن عتيبة - وشعبة أحسن حديثاً من الثوري وقد روى عن ثلاثين شيخاً كوفياً لم يلقهم سفيان . قال : وكان شعبة أمة وحده في هذا الشأن ^(٦) .

قال أبو نعيم رحمه الله : ومنهم الإمام المشهور ، والعلم المنشور ، في المناقب المذكور ، له التقشف والتعبد ، والتكشف عن الأخبار والتشدد ، أمير المؤمنين في الرواية والتحديث ، وزين المحدثين في القديم والحديث ، أكثر عنايته بتصحيح الآثار ، والتبرى من تحمل الأوزار ، المثبت المحجاج ، أبو بسطام شعبة ابن الحجاج ، كان للفقر عائقاً ، وبضمان الله تعالى واثقاً ^(٧) .

وقال يحيى بن سعيد : لا يعدل شعبة عندي أحد ^(٨) .

(٥) تاريخ الإسلام (٤١٨ / ٩) .

(٦) تاريخ الإسلام (٤١٨ / ٩) .

(٧) حلية الأولياء (١٤٤ / ٧) .

(٨) سير أعلام النبلاء (٢١٣ / ٦) .

(١) تاريخ الإسلام (٤٢٣ / ٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤١٧ / ٩) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٦٦ / ٩) .

(٤) تاريخ الإسلام (٤١٧ / ٩) .

٢ - عبادته وزهده رحمه الله

عن أبي بكر البكراوي قال : ما رأيت أعبد لله من شعبة ، لقد عبد الله حتى جف جلده على عظمه ليس بينهما لحم ^(١) .

وعن عمر بن هارون قال : كان شعبة يصوم الدهر كله لا ترى عليه ، وكان سفيان الثوري يصوم ثلاثة أيام من الشهر ترى عليه ^(٢) .

وعن ابن منيع قال : سمعت أبا قطن قال : ما رأيت شعبة ركع قط إلا ظننت أنه قد نسي ، ولا قعد بين السجدين إلا ظننت أنه قد نسي ^(٣) .

وقال عبد السلام بن مطهر : ما رأيت أحداً أجمع في العبادة من شعبة ^(٤) .

وعن أبي الوليد عن شعبة قال : إذا كان عندي دقيق وقصب ، ما أبالي ما فاتني من الدنيا ^(٥) .

وعن صالح بن سليمان قال : كان شعبة مولى للأزد مولده ومنشؤه بواسط ، وعلمه كوفي ، وكان له ابن يقال له : سعد وكان له أخوان : يشار وحماد ، وكان يعالجان الصرف ، وكان شعبة يقول لأصحاب الحديث : ويلكم الزموا السوق فإنما أنا عيال على أخوي . قال : وما أكل شعبة من كسبه درهماً قط ^(٦) .

وعن قراد أبي نوح قال : رأى عليّ شعبة قميصاً فقال : بكم اشتريت

(١) حلية الأولياء (١٤٤ / ٧) ، وتاريخ بغداد (٢٦٣ / ٩) .

(٢) حلية الأولياء (١٤٥ / ٧) ، وصفة الصفوة (٣٤٩ / ٣) .

(٣) حلية الأولياء (١٤٥ / ٧) ، وصفة الصفوة (٣٤٩ / ٣) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٢١٠ / ٧) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٠٧ / ٧) ، وقوله : « القصب » المعنى .

(٦) سير أعلام النبلاء (٢٠٧ / ٧) .

هذا ؟ فقلت : بشمانية دراهم ، فقال لى : ويحك أما تتقى الله ؟ ألا اشتريت قميصاً بأربعة دراهم ، وتصدقت بأربعة كان خيراً لك ؟ قلت : يا أبا بسطام إنا مع قوم نتجمل لهم ، قال : أيش نتجمل لهم ^(١) .

وعن يحيى بن أيوب قال : حدثنا أبو قطن قال : كان ثياب شعبة لونها لون التراب ، وكان كثير الصلاة كثير الصيام ، سخرى النفس ^(٢) .

وعن عبدان بن عثمان عن أبيه : قومنا حمار شعبة وسرجه ولجامه بضعة عشر درهماً ^(٣) .

وعن عبد العزيز بن داود قال : كان شعبة إذا حَكَ جِلْدَهُ انتثر منه التراب ^(٤) .

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : ما رأيت أعقل من مالك بن أنس ، ولا أشد تقشفاً من شعبة ، ولا أنصح للأمة من عبد الله بن المبارك ^(٥) .

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠٨ / ٧) ، وتهذيب الكمال (١٢ / ٤٩٣) .

(٢) حلية الأولياء (١٤٦ / ٧) .

(٣) حلية الأولياء (١٤٧ / ٧٠) ، وسير أعلام النبلاء (٢٠٨ / ٧) .

(٤) حلية الأولياء (١٤٦ / ٧) .

(٥) تهذيب الكمال (١٢ / ٤٩٣) .

٤ - أدبه وسماحته وحبّه للمساكين

عن أبي داود الطيالسي قال : كنا عند شعبة فجاء سليمان بن المغيرة يبيكي . فقال له شعبة : ما يبكيك يا أبا سعيد ؟ قال : مات حماري ، وذهبت مني الجمعة ، وذهبت حوائجي . قال : فيكم أخذته ؟ قال بثلاثة دنانير . قال : فعندى ثلاثة دنانير . والله ما أملك غيرها ، يا غلام هات تلك السرة ، فإذا فيها ثلاثة دنانير ، فدفعها إليه ، وقال : اشتر بها حماراً ولا تبك^(١) .

وعن حجاج قال : ركب شعبة حماراً له فلقبه سليمان بن المغيرة فشكى إليه فقال له شعبة : والله ما أملك إلا هذا الحمار ، ثم نزل عنه ودفعه إليه^(٢) .
وعن النضر بن شميل قال : ما رأيت أرحم لمساكين من شعبة ، إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه ، حتى يغيب عنه وجهه^(٣) .

وعن مسلم بن إبراهيم قال : كان شعبة إذا وقف في مجلسه سائل لا يحدث حتى يعطى ، فقال له يوماً سائل ، ثم جلس . فقال : ما شأنه ؟ قال : ضمن عبد الرحمن بن مهدي أن يعطيه درهماً^(٤) .

قال يحيى بن القطان : كان شعبة من أرق الناس يعطى السائل ما أمكنه^(٥) .

وعن أبي داود قال : كنا عند شعبة نكتب ما يملئ ، فسأل سائل : فقال شعبة : تصدقوا فلم يتصدق أحد . فقال : تصدقوا فإن أبا إسحاق حدثني عن

(١) حلية الأولياء (١٤٦ / ٧) وسير أعلام النبلاء (٢١١ / ٧) .

(٢) حلية الأولياء (١٤٦ / ٧) .

(٣) حلية الأولياء (١٤٦ / ٧) ، وتهذيب الكمال (١٢ / ٤٩٢) .

(٤) حلية الأولياء (١٤٧ / ٧) ، وتهذيب الكمال (١٢ / ٤٩٢) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٢١١ / ٧) .

عبد الله بن معقل عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا النار ، ولو بشق تمرة » ، قال : فلم يتصدق أحد . فقال : فإن عمرو بن مرة حدثني عن خيثمة عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » ، فلم يتصدق أحد ، فقال : تصدقوا فإن محلاً الضبي حدثني عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « استقروا من النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » ، فلم يتصدق أحد ، فقال : قوموا عني فوالله لا حدثتكم ثلاثة أشهر ، ثم دخل منزله ، فأخرج عجباً فأعطاه السائل فقال : خذ هذا فإنه طعامنا اليوم ^(١) .

وقال مسلم بن إبراهيم : ما دخلت على شعبة في وقت صلاة قط إلا رأيته قائماً يصلي ، وكان أبو الفقراء ، وأمههم ، وسمعته يقول : والله لولا الفقراء ما جلست لكم ^(٢) .

وعن سليمان بن حرب قال : لو نظرت إلى ثياب شعبة لم تكن تساوي عشرة دراهم إزاره وردائه وقميصه ، وكان شيخاً كثير الصدقة ^(٣) .

وعن مسلم بن إبراهيم قال : سمعت شعبة يقول : لولا المساكين ما حدثت فإني أحدث ليعطوا ^(٤) .

وعن عفان قال : لولا حوائج لي ما حدثتكم ، وكان يسأل لنسوة ضعاف ^(٥) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٧ ، ٢٢٨) .

(٢) تهذيب الكمال (١٢ / ٤٩٢) .

(٣) تاريخ بغداد (٩ / ٢٦١ ، ٢٦٢) .

(٤) حلية الأولياء (٧ / ١٥٧) .

(٥) حلية الأولياء (٧ / ١٥٧) .

٥ - احتياطه في الرواية وتشده في التوثيق وذمه للتدليس

عن أبي داود الطيالسي قال : سمعت شعبة بن الحجاج يقول : كل حديث ليس فيه حدثنا وأخبرنا فهو خلٌّ وبَقْلٌ ^(١).

وعن حماد بن سلمة قال : جاء شعبة إلى حميد فسأله عن حديث فحدثه به قال : أسمعت ؟ قال : أحسبه . قال : فقال بيده هكذا - أي لا أريده - فلما قام فذهب قال : قد سمعته من أنس ولكن تشدد علي فأحببت أن أشدد عليك ^(٢).

وعن خضر بن اليسع قال : روى شعبة متقناً في شدة الحر فقل له : إلى أين يا أبا بسطام قال : أَسْتَعْدِي على رجل يكذب على رسول الله ﷺ ^(٣).

وعن حماد بن زيد قال : لقيني شعبة بن الحجاج ومعه مدرة فقلت : يا أبا بسطام أين تريد ؟ قال : إلى أبان بن عياش أدعوه إلى القاضي فإنه يكذب . فقلت له : فإني أخاف عليك عبد القيس قال فكلمته فانصرف . قال حماد : ثم لقيني شعبة بعد ذلك فقال لي : يا أبا إسماعيل إني نظرت في ذلك فلم يسعني السكوت ^(٤).

وعن أبي أسامة قال : وافقنا من شعبة طيب نفس فقلنا له : حدثنا ولا نخدثنا إلا عن ثقة . فقال : قوموا ^(٥).

(١) حلية الأولياء (٧ / ١٤٩) ، سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٠٨) .

(٢) حلية الأولياء (٧ / ١٥٠) .

(٣) حلية الأولياء (٧ / ١٥٠) .

(٤) حلية الأولياء (٧ / ١٥٠) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٠٨) .

- عن يحيى بن سعيد قال : ما رأيت أحداً قط أحسن حديثاً من شعبة ^(١) .
- قال أبو نعيم : سمعت شعبة يقول : لأن أزني أحب إليّ من أن أدلس ^(٢) .
- قال عبد الرحمن من مهادي : قال شعبة : كنت أتفقد فم قتادة ، فإذا قال : سمعت أو حدثنا تحفظته ، ولا تركته ^(٣) .
- قال أبو زرعة : سمعت مقاتلاً - وهو ابن محمد - يقول : سمعت وكيعاً يقول : إني لأرجو أن يرفع الله لشعبة درجات في الجنة بذبه عن رسول الله ﷺ ^(٤) .
- وقال أبو الوليد : قال لي حماد بن زيد : إذا خالفني شعبة في حديث صرت إلى قوله . قلت : كيف يا أبا إسماعيل ؟ قال : إن شعبة كان لا يرضى أن يسمع الحديث عشرين مرة ، وأنا أرضى أن أسمعه مرة ^(٥) .
- قال مكى بن إبراهيم : سئل شعبة عن ابن عون فقال : سمن وعسل قيل : فما تقول في هشام بن حسان ؟ فقال : خل وزيت .
- قيل : فما تقول في أبي بكر الهذلي ؟ قال : دعني لا أقي به ^(٦) .
- وقال أبو الوليد : سألت شعبة عن حديث فقال : والله لا حدثتك به قلت : ولم ؟ قال : لأنني لم أسمعه إلا مرة ^(٧) .
- قال شعيب بن حرب : سمعت شعبة يقول : لأن أقدم فتضرب عنقي

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠٩ / ٧) .
 (٢) سير أعلام النبلاء (٢١٠ / ٧) ، قال ابن الصلاح : محمول على المبالغة والزرع والصحيح في أمر المدلس التفصيل ، فإن صرح بالسماع قبل منه ، وإن لم يصرح لم يقبل ، وفي الصحيحين حديث جماعة من هذا الضرب كالسفيايين والأعمش وقاتدة وهشيم وغيرهم .
 (٣) سير أعلام النبلاء (٢١٥ / ٧) .
 (٤) سير أعلام النبلاء (٢١٩ / ٧) .
 (٥) سير أعلام النبلاء (٢١٩ / ٧) .
 (٦) سير أعلام النبلاء (٢٢٠ / ٧) .
 (٧) سير أعلام النبلاء (٢٢١ / ٧٠) .

أحبُّ إلىَّ من أن أحدث عن أبي هارون العبدى ^(١).

وقال بشر بن عمر الزهرانى : سمعت شعبة يقول : لأن أخرج من السماء أو من فوق هذا القصر أحبُّ إلىَّ من أن أقول : قال الحكم لشيء لم أسمعه منه . قال الذهبي : هذا - والله - والورع ^(٢).

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : قلت لشعبة : من الذين ترك الرواية عنهم ؟ قال : إذا أكثر عن المعروفين من الرواية مالا يعرف ، أو أكثر الغلط ، أو تمادى فى غلط مجتمع عليه ولم يتهم نفسه عند اجتماعهم على خلافه ، أو رجل متهم بالكذب ، وسائر الناس فارو عنهم ^(٣).

وعن بقية قال : سمعت شعبة يقول : إني لأذاكر بالحديث يفوتني فأمرض . وقال مظفر بن مدرك : ذكروا لشعبة حديثاً لم يسمعه فجعل يقول : واحزنه ^(٤).

وقال صالح جزرة : أول من تكلم فى الرجال شعبة ، ثم تبعه القطان ثم أحمد ويحيى ^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢١ / ٧) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٢١ / ٧) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٢٢٢ / ٧) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٢٢٨ / ٧) .
(٥) تهذيب التهذيب (٣٠٢ / ٤) .

٦ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

قال الذهبي : حدث عن أنس بن سيرين ، وإسماعيل بن رجاء ، وسلمة ابن كهيل ، وجامع بن شداد ، وسعيد بن أبي سعيد المقبري ، وجبله بن سحيم ، والحكم بن عتيبة ، وعمرو بن مرة ، وزيد بن الحارث اليماني ، وقتادة ابن دعامة ، ومعاوية بن قره ، وأبي جمره الضبيعي ، وعمرو بن دينار ، ويحيى ابن أبي كثير ، وعبيد بن الحسن ، وعدى بن ثابت ، وطلحة بن مصرف ، والمنهال بن عمرو ، وسعيد ابن أبي بردة ، وسماك بن الوليد ، وأيوب السخيتاني ، ومنصور بن المعتمر ، وخلق كثير سواهم ، ورأى ناجية بن كعب شيخ أبي إسحاق السبيعي ^(١) .

تلامذته :

قال الخطيب البغدادي : روى عنه أيوب السخيتاني ، والأعمش ، ومحمد ابن إسحاق ، وإبراهيم بن سعد ، وسفيان الثوري ، وشريك بن عبد الله ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ومحمد بن جعفر غندر ، وعبد الله بن المبارك ، ويزيد بن زريع ، وخالد بن الحارث ، ومحمد بن أبي عدى ، وابن علي ، وبشر بن المفضل ، ومعاذ بن معاذ ، ووهب بن جرير ، ووكيع ، وأبو داود ، وأبو الوليد الطيالسيان ، ويزيد بن هارون ، وروح بن عباد ، وبهز بن أسد ، وعفان ، وحجاج الأعور ، وآدم بن أبي إياس ، وشبابة بن سوار ، وأبو النضر ، والحسن بن موسى الأشيب ، وعلى ابن الجعد وغيرهم ^(٢) .

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠٣ / ٧) ، وانظر تهذيب الكمال (١٢ / ٤٨٠ إلى ٤٨٦) ، وقال الحافظ الذهبي : ذكر شيخنا أبو الحجاج في تهذيبه لشعبة ثلاث مائة شيخ سواهم .
(٢) تاريخ بغداد (٢٥٥ / ٩) ، وانظر أيضاً تهذيب الكمال (١٢ / ٤٨٦) إلى (٤٨٩) .

٧ - درر من أقواله

قال عفان : سمعت شعبة يقول : من ذهبنا إلى أبيه فأكرمنا ، فجاءنا ابنه أكرمناه ، ومن أتينا فهاطنا أتانا ابنه أهناه ^(١) .

عن يحيى القطان عن شعبة قال : من الناس من عقله معه ، ومن الناس من عقله بفنائه ، ومنهم من لا عقل له ، فأما الذى عقله معه فالذى يصبر ما يخرج منه قبل أن يتكلم ، وأما الذى عقله بفنائه فالذى وذكر كلمة ^(٢)

وعن ابن عيينة قال : سمعت شعبة يقول : من طلب الحديث أفلس ، بعث طست أمدى بسعة دنائير ^(٣) .

وقال سلم بن قتيبة : ربما سمعت شعبة يقول لأصحاب الحديث : يا قوم إنكم كلما تقدمتم فى الحديث تأخرتم فى القرآن ^(٤) .

وعن يزيد بن هارون قال : كان شعبة يقول : لا تكتبوا الحديث إلا عن غنى ، وكان هو فقيراً ، وكان يعزله بنو أخيه ^(٥) .

وعن مؤمل بن إسماعيل : سمعت شعبة يقول : كل حديث ليس فيه «حدثنا» ، فهو مثل الرجل فى فلاة معه بعير بلا خطوم ^(٦) .

قال أبو نوح قراد : سمعت شعبة يقول : إذا رأيت الحجرة فى بيت إنسان فأرحمه ، وإن كان فى كملك شئ فأطعمه ^(٧) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٣)

(٦) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٥)

(٧) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٥)

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٠٩)

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٠)

(٣) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٠)

(٤) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٣)

وعن الأصمعي قال : سمعت شعبة يقول : ما أعلم أحداً فتش الحديث كتفتيشي ، وقفت على أن ثلاثة أرباعه كذب ^(١) .

عن حمزة بن الزيات الطوسي : سمعت شعبة وكأن ألثغ قد يس جلدته من العبادة يقول : لو حدثكم عن ثقة ما حدثكم عن ثلاثة ^(٢) .

وقال يحيى بن سعيد : سمعت شعبة يقول : كل من كتب عنه حديثاً فأنا له عبد ^(٣) .

وقال ابن مهدي : سمعت شعبة يقول : إن هذا العلم يصدكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، وعن صلة الرحم ، فهل أنتم متتهون ^(٤) .

وقال ابن قطن : سمعت شعبة يقول : ما من شيء أخوف عندي من أن يدخلني النار من الحديث ^(٥) .

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢٦ / ٧) وهذا على سبيل المبالغة ، والله أعلم .

(٢) تاريخ الإسلام (٤١٨ / ٩) .

(٣) تاريخ الإسلام (٤١٨ / ٩) .

(٤) تاريخ الإسلام (٤٢١ / ٩) .

(٥) تاريخ الإسلام (٤٢١ / ٩) .

٨ - طرائف وأخبار

عن عمران بن أبيان قال : لما قدم هُثَيْمُ البصرة فقال شعبة : إذا حدثكم عن عيسى بن مريم فصدّقوه واكتبوا عنه . فقال الناس إلى هُثَيْم وتركوا شعبة ، فمر به بعض أصحابه ، فقال : يا أبا بسطام مالك ؟ أين الناس ؟ قال أنا صنعت بنفسى ألقيت بنفسى فى غبار الجص^(١) .

وعن يحيى بن معين قال : قال حجاج الأعور : كتب لى سليمان بن مجالد إلى شعبة فأتيته فكنت أسأله حديث حماد عن إبراهيم فكان يحدثنى ولا يدع أحداً يكتب عنده ، فكنت أسأله ، ثم أقول : البول البول . فقال : هذا والله باطل ، إنما تريد أن تتذكر الأبواب^(٢) .

وروى عن شعبة قال : سميت ابنى سعداً فما سعد ولا أفلح^(٣) .

وعن أشعث أبى الربيع السَّمَان قال : قال لى شعبة : لزم السوق فأفلحت ولزمت أنا الحديث فأفلست^(٤) .

وعن الأصمعى قال : كنا عند شعبة فجعل يسمع إذا حدث صوت الألواح فقال : السماء تمطر ؟ قالوا : لا ، ثم عاد للحديث فسمع مثل ذلك فقال : المطر ؟ قالوا : لا . ثم عاد فسمع مثل ذلك . قال : والله لا أحدث اليوم إلا أعمى ، فمكث ما شاء الله فقام أعور فقال : يا أبا بسطام تخبرنى أنا^(٥) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٢) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٣) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٤) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٥) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٥) .

وعن أبي داود قال : حدثنا شعبة قال : خرجت أنا وهشيم إلى مكة فلما قدمنا الكوفة رأني هشيم مع أبي إسحاق قال : من هذا ؟ قلت شاعر السبيع فلما خرجنا جعلت أقول حدثنا أبو إسحاق قال وأين رأيته ؟ قلت : هو الذي قلت لك شاعر السبيع . فلما قدمنا مكة مررت به وهو قاعد مع الزهري ، فقلت : أبا معاوية : من هذا . قال : شرطى لبنى أمية . فلما قفلنا : جعل يقول حدثنا الزهري فقلت وأين رأيته ؟ قال : الذي رأيته معي . قلت : أرنى الكتاب فأخرجه فخرّقه ^(١) .

وعن أبي عاصم قال : اشترى أخ لشعبة من طعام السلطان ، فخره وشركاؤه فحبس بستة آلاف دينار بحصته ، فخرج شعبة إلى المهدي ليكلّمه فيه ، فلما دخل عليه قال له : يا أمير المؤمنين أنشدني قتادة وسماك بن حرب لأمية بن أبي الصلت بقوله لعبد الله بن جدعان :

أذكر حاجتي أم قد كفاني	حياؤك إن شيمتك الحياء
كريم لا يعطله صباح	عن الخلق الكريم ولا مساء
فأرضك أرض مكرمة بنتها	بنو تيم وأنتم لها سماء

فقال : لا يا أبا بسطام لا تذكرها ، قد عرفناها وقضيناها لك ، ادفعوا إليه أخاه ، لا تلزموه شيئا ^(٢) .

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢٦ / ٧) .

(٢) تاريخ بغداد (٢٥٦ / ٩) .

٩ - وفاته رحمه الله

عن شبابه قال : دخلت على شعبة في يومه الذي مات فيه وهو يسكني فقلت له : ما هذا الجزع يا أبا بسطام . أبشر فإن لك في الإسلام موضعاً . فقال : دعني فلو وددت أني وقاد حمام وأنى لم أعرف الحديث ^(١) .

وعن أبي قطن قال : سمعت شعبة يقول ما شيء أخوف عندي من أن يدخلني النار من الحديث ^(٢) .

قال الذهبي : كل من حاقق نفسه في صحة نيته في طلب العلم يخاف من مثل هذا ، ويود أن ينجو كفافاً ^(٣) .

وقال سعد بن شعبة : أوصى أبي إذا مات أن أغسل كتبه فغسلتها .

قال الذهبي : وهذا فعله غير واحد بالغسل والحرق والدفن ، خوفاً من أن تقع في إنسان وإه يزيد فيها أو يغيرها ^(٤) .

قال أبو بكر منجويه : مولده سنة اثنين وثمانين ومات سنة ستين ومائة في أولها وله يوم مات سبع وسبعون سنة ^(٥) .

(١) حلية الأولياء (١٥٦ / ٧) .
 (٢) حلية الأولياء (١٥٦ / ٧) وهذا من باب الورع وقد قال سفیان الثوري : ما رأيت أحداً أورد في الحديث من شعبة ، يشك في الحديث الجيد فيتركه - (٢٦٥ / ٩) تاريخ بغداد .
 (٣) سير أعلام النبلاء (٢١٣ / ٧) .
 (٤) سير أعلام النبلاء (٢١٣ / ٧) .
 (٥) تهذيب الكمال (١٢ / ٤٦٥) .

من أعلام السلف

١٦

سُفْيَانُ الثَّوْرِي

بين يدي الترجمة :

مازلنا بحمد الله في هذه الجولة المباركة مع العلماء الأعلام والأئمة الكرام ، نسعد بصحبتهم ، ونأخذ من هديهم وتنهل من بركة علمهم وعملهم في سلسلة التراجم التربوية « من أعلام السلف » والعلم الذي نرفعه اليوم ، والعالم الذي نتشرف بترجمته ، عالم زمانه ، والمقتدى به في أوانه ، سيد من سادات العلماء العاملين ، والعباد المجتهدين ، إنه عالم الكوفة وشيخها سفيان بن سعيد الثوري ، من بيت خير وعلم وفضل ، فأبوه من كبار الثقات بالكوفة ، وإخوته من العلماء الأثبات ، فرحمة الله على الجميع ، والدارس لتراجم العلماء يرى حاجة الطلاب إلى دراستها ، والانتفاع ببركتها ، إلا أنها كسائر العلوم المدونة تحتاج إلى تصفية ، فقد يكون فيها من الغلو ، أو العصبية المذهبية ، أو الحكايات الملفقة ، والأخبار المزوقة التي تخالف روح الشرع المتين ، وتنادى على نفسها بالوضع ، فمن ذلك ما أتى في ترجمة هذا الحبر أنه عندما طلبه أبو جعفر لاذ بالبيت وقال - ومعاذ الله أن ينسب ذلك إليه - أكون برئ منك إن دخل أبو جعفر مكة . فمات أبو جعفر قبل أن يدخلها . فأمثال هذه الحكايات إن قصد بها بيان كرامة لسفيان رحمه الله ففيها نسبة سوء الأدب إليه ، وهو هو في الخشية والورع والأدب ، فنحن نقتصر على الأخبار التي تنشط الهمم وتشحذ العزائم على الإجتهد في الطاعة والزهد والورع والخشية ، وإمامنا في هذه الرسالة أستاذ هذه الصنعة ، وقد جمع بين العلم والعمل والشجاعة في الجهر بكلمة الحق .

قال الحافظ أبو بكر الخطيب : كان إماماً من أئمة المسلمين ، وعلماً من أعلام المسلمين ، وعلماً من أعلام الدين ، مجمعاً على أمانته ، بحيث يستغنى عن تركيته ، مع الإتقان ، والحفظ ، والمعرفة ، والضبط ، والورع ،

والزهد ^(١).

وقال ابن مهدي : ما كنت أقدر أن أنظر إلى سفيان استحياءً
وهيبة منه ^(٢).

وكما قال بعض السلف : على قدر محبتك لله عز وجل يحبك الخلق ،
وعلى قدر خشيتك من الله عز وجل يهابك الخلق ، وعلى قدر انشغالك بالله
عز وجل تشغل الخلق بأشغالك .

فهنيئاً للمسلمين هذه السلسلة المباركة « من أعلام السلف » عمل
مُصَفَّى ، تنشر محاسن العلماء الكرام ، والأئمة الأعلام ، فكان القارئ لسيرهم
قد عاين صورهم ، وسعد بصحبتهم وقربهم ، فأسأل الله عز وجل الغنى الكريم
أن ينفع بهذه التراجم النفع التام العميم ، وأن يجعلها ذخراً لنا يوم يقوم الناس
لرب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين
وأصحابه الغر الميامين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) تهذيب الكمال (١١ / ١٦٨ ، ١٦٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٦٧) .

١ - اسمه ومولده وموطنه

اسمه : سفيان بن سعيد بن مسروق بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخه بن إلياس .

مولده : ولد سنة سبع وتسعين إنفاقاً ، ووالده المحدث سعيد بن مسروق الثوري من أصحاب الشعبي وخيثمة بن عبد الرحمن من ثقات الكوفيين ، وعداده في صغر التابعين ، روى له الجماعة الستة في دواوينهم ، وحدث عنه أولاده سفيان الإمام وعمر ومبارك ، وشعبة بن الحجاج ، وآخرون ^(١) .

موطنه : ولد رحمه الله بالكوفة في خلافة سليمان بن عبد الملك وقال أبو نعيم : خرج سفيان من الكوفة سنة خمس وخمسين ومائة ولم يرجع إليها . ولم أقف على شيء من صفته رحمه الله ، فقد كان إعتناء أكثر المترجمين له في بيان أحواله وأقواله ، وثناء العلماء عليه ، ولا شك أنه الأولى بالإهتمام ، والله المستعان .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٩ ، ٢٣٠) .

٢ - ثناء العلماء عليه

وهذا بحر لا يدرك قعره ، ولا يتزف غمره ، ولا نحرم بفضل الملك الوهاب من نقل بعض ما أثر من ذلك في هذا الكتاب .
قال وكيع : كان سفيان بحراً .

وقال الأوزاعي : لم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضى والصحة إلا سفيان .

وقال ابن المبارك : لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان ^(١) .

وقال سفيان بن عيينة : ما رأيت أحداً أفضل من سفيان ، ولا رأى سفيان مثل نفسه ^(٢) .

وعن يحيى بن سعيد وسألوه عن سفيان وشعبة قال : ليس الأمر بالمحابة ، ولو كان الأمر بالمحابة لَقَدَّمْنَا شعبة على سفيان لتقدمه ، سفيان يرجع إلى كتاب ، وشعبة لا يرجع إلى كتاب ، وسفيان أحفظهما ، قد رأيناها يختلفان فوجدنا الأمر كما قال سفيان ^(٣) .

وقال أبو بكر بن عياش : إني لأرى الرجل يصحب سفيان فيعظم ^(٤) .

وعن يحيى بن معين قال : ما خالف أحد سفيان في شيء إلا كان القول قول سفيان ^(٥) .

وقال أحمد بن عبد الله العجلي : أحسن إسناد الكوفة سفيان عن منصور

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (٢٠٤ / ١) .

(٢) حلية الأولياء (٣٥٧ / ٦) .

(٣) حلية الأولياء (٣٦٠ / ٦) .

(٤) حلية الأولياء (٣٥٨ / ٦) .

(٥) تهذيب الكمال (١٦٦ / ١١) .

عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ^(١) .

وقال شعبة وسفيان بن عيينة وأبو عاصم النبيل ، ويحيى بن معين وغير واحد من العلماء : سفيان أمير المؤمنين في الحديث ^(٢) .

وقال يونس بن عبيد : ما رأيت أفضل من سفيان فقال له رجل : يا أبا عبد الله رأيت سعيد بن جبير وإبراهيم وعطاء ومجاهداً تقول هذا ؟ فقال هو : ما رأيت أفضل من سفيان ^(٣) .

وروى وكيع عن شعبة قال : سفيان أحفظ مني . وقال عبد العزيز بن رزمة : قال رجل لشعبة : خالفك سفيان فقال : دمغتني ^(٤) .

وقال ابن مهدي : رأى أبو إسحاق السبيعي سفيان الثوري مقبلاً فقال : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ^(٥) . (مريم : ١٢) .

وقال محمد بن عبد الله بن عمار : سمعت يحيى بن سعيد يقول : سفيان أعلم بحديث الأعمش من الأعمش ^(٦) .

وعن شعيب بن حرب قال : إني لأحسب أنه يجاء غداً بسفيان حجة من الله على خلقه ، يقول لهم : لم تدركوا نبيكم قد رأيتم سفيان ^(٧) .

وقال ابن المبارك : كتبت عن ألف ومائة شيخ ما كتبت عن أفضل من الثوري ^(٨) .

ومع علو شأنه وارتفاع قدره وجمعه بين العلم والعمل لم يكن رحمه الله بالمعصوم ، وقد لخص الحافظ الذهبي مناقبه وما أخذ عليه رحمه الله فقال :

- | | |
|---------------------------------|---|
| (١) تهذيب الكمال (١١ / ١٦٤) . | (٥) تهذيب الكمال (١١ / ٢٣٧) . |
| (٢) تهذيب الكمال (١١ / ١٦٤) . | (٦) سمر أعلام النبلاء (٧ / ٢٣٩) . |
| (٣) تهذيب الكمال (١١ / ١٦٥) . | (٧) سمر أعلام النبلاء (٧ / ٢٣٩) . |
| (٤) تهذيب الكمال (١١ / ٢٣٧) . | (٨) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٢٢٢) . |

قد كان سفيان رأساً في الزهد ، والتأله ، والخوف ، رأساً في الحفظ ، رأساً في معرفة الآثار ، رأساً في الفقه ، لا يخاف في الله لومة لائم ، من أئمة الدين ، واغتفر له غير مسألة اجتهد فيها ، وفيه تشيع يسير كان يثلك بعلى ، وهو على مذهب بلده أيضاً في النبيذ ، ويقال : رجع عن كل ذلك وكان ينكر على الملوك ولا يرى الخروج أصلاً ، وكان يدلّس في روايته ، وربما دلّس عن الضعفاء ، وكان سفيان بن عيينة مدلساً ، لكن ما عرف له تدليس عن
(١) ضعيف

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٤١ ، ٢٤٢) . قال ابن مهدي : يزعمون أن سفيان كان يشرب النبيذ ، أشهد لقد وصف له دواءً فقلت نأنيك بنبيذ ؟ فقال لا أشتنى بعمل وماء - سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٧٥) ، والمراد بالنبيذ ما أسكر كثيره .

٣ - زهده وورعه رحمه الله

المقصود بالزهد خلو القلب من الدنيا وعدم الحرص عليها ، فليس هو
نفذ اليدين منها ، والقلب متعلق بها شديد الشغف بحبها .
قال يحيى بن نصر بن حاجب سمعت ورقاء بن عمر يقول : إن الثوري لم
ير مثل نفسه ^(١) .

قال وكيع : سمعت سفيان يقول : ليس الزهد بأكل الغليظ ولبس الخشن
ولكنه قصر الأمل وارتقاب الموت ^(٢) .

عن عيسى بن يونس قال : مات سفيان الثوري مستخفياً ، قد جعل
قميصه خريطة قد ملأها كتباً ^(٣) .

وعن شعيب بن حرب قال : قال لي الثوري : يا أبا صالح احفظ عني
ثلاثاً : إذا احتجت إلى شئ فلا تسأل ، وإن احتجت إلى ملح فلا تسأل ،
واعلم أن الخبز الذي تأكله بملح عجن ، وإن احتجت إلى ماء فاستعمل
كفيك فإنه يجري مجرى الإناء ^(٤) .

قال أبو قطن : عن شعبة : ساد سفيان الناس بالورع والعلم ^(٥) .

وعن أبي السري قال : قيل لفضيل بن عياض في بعض ما كان يذهب إليه
من الورع : من إمامك في هذا ؟ قال : سفيان الثوري ^(٦) .
أهدى لسفيان ثوباً فردّه فقال له من أهده : لست أنا ممن يسمع الحديث

(١) تهذيب الكمال (١١ / ٦٦) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٤٣) .

(٣) حلية الأولياء (٦ / ٣٦٤) .

(٤) حلية الأولياء (٦ / ٣٨٢) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٦ / ٢٣٨) ، وتهذيب الكمال (١١ / ١٦٧) .

(٦) حلية الأولياء (٧ / ٣) .

حتى ترده على قال : علمت أنك ليس ممن يسمع الحديث ، ولكن أخوك يسمع مني الحديث ، فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره ^(١) .

وعن قتبية بن سعيد قال : لولا سفيان لمات الورع ^(٢) .

وعن عبد العزيز القرشي قال : سمعت سفيان يقول : عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا ، وعليك بالورع يخفف الله عنك حسابك ، ودع ما يريك إلى مالا يريك ، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك ^(٣) .

وعن قبيصة قال : سمعت سفيان يقول : لا تصلح القراءة إلا بالزهد ، واغبط الأحياء بما تغبط به الأموات ، وأحب الناس على قدر أعمالهم ، وذل عند الطاعة ، واستعص عند المعصية ^(٤) .

وعن العمري قال : معاشر القراء كلوا الدنيا فقد مات سفيان الثوري ^(٥) .

وعن حفص بن غياث وذكر الثوري فقال : كان يتعزى بسفيان ، وبمجالس سفيان عن الدنيا ^(٦) .

وعن يحيى بن يمان قال : كان سفيان الثوري يتمثل بهذا البيت :
بَاعُوا جَدِيدًا جَمِيلًا بَاقِيًا أَبَدًا
بِدَارِسِ خَلْقٍ يَا بَشَرُ مَا اتَّجَرُوا ^(٧) .

(٥) حلية الأولياء (٧ / ٥٥)

(٦) حلية الأولياء (٧ / ٥٧)

(٧) حلية الأولياء (٧ / ٥)

(١) حلية الأولياء (٧ / ٣)

(٢) حلية الأولياء (٧ / ٢٠)

(٣) حلية الأولياء (٧ / ٢٠)

(٤) حلية الأولياء (٧ / ٢١)

٤ - عبادته وخشيته

عن علي بن فضيل قال : رأيت سفيان الثوري ساجداً حول البيت ، فطفت سبعة أسابيع قبل أن يرفع رأسه ^(١) .

وعن ابن وهب قال : رأيت الثوري في المسجد الحرام بعد المغرب صلى ، ثم سجد سجدة فلم يرفع رأسه حتى نودي بصلاة العشاء ^(٢) .

قال رجل لسفيان أوصني قال اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها ، وللآخرة بقدر بقائك فيها ^(٣) .

وعن عبد الله بن عبدان أبو محمد البغلاني قال : حدثنا عبد الله أن رجلاً كان يتبع سفيان الثوري : فيجده أبدأ يخرج من لبنة رقعة ينظر فيها فأحب أن يعلم ما فيها ، فوقع في يده الرقعة ، فإذا فيها مكتوب سفيان اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل ^(٤) .

وعن سعيد بن صدقة أبو مهمل قال : أخذ بيدي سفيان الثوري فأخرجني إلى الجبال ، فاعتزلنا ناحية عن طريق الناس ، فبكى ثم قال : يا مهمل إن استطعت أن لا تخالط في زمانك هذا أحداً فافعل ، وليكن همك مرمّة جهازك ، واحذر إتيان هؤلاء الأمراء ، وأرغب إلى الله في حوائجك لديهم ، وافزع إليه فيما ينوبك ، وعليك بالاستغناء عن جميع الناس ، وارفع حوائجك إلى من لا تعظم الحوائج عنده ، فوالله ما أعلم اليوم بالكوفة أحداً أفزع عليه في قرض عشرة دراهم أقرضني ، ثم كتبها عليّ ، حتى يذهب ويجيء ، ويقول جاءني سفيان فاستقرض مني فأقرضته ^(٥) .

(١) حلية الأولياء (٥٧ / ٧) والمقصود بسبعة أسابيع سبعة أشواط .

(٢) حلية الأولياء (٥٧ / ٧) .

(٣) حلية الأولياء (٥٧ / ٧) .

(٤) حلية الأولياء (٥٧ / ٧) .

(٥) حلية الأولياء (٧ / ٧) .

وعن مزاحم بن زفر قال : صلى بنا سفيان الثوري المغرب فقراً حتى بلغ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بكى حتى انقطعت قراءته ، ثم عاد فقراً الحمد لله (١)

وعن عطاء الخفاف قال : ما لقيت سفيان الثوري إلا باكياً فقلت : ما شأنك ؟ قال : أخاف أن أكون في أم الكتاب شقياً (٢)

وعن عبد الرحمن بن رسته قال : سمعت ابن مهدي يقول : بات سفيان عندي فجعل يبكي ، فقيل له . فقال : لذنوبي عندي أهون من ذا - ورفع شيئاً من الأرض - إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت (٣)

وعن يحيى القطان قال : ما رأيت رجلاً أفضل من سفيان ، لولا الحديث كان يصلي ما بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ، فإذا سمع مذاكرة الحديث ترك الصلاة وجاء (٤)

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : كنا نكون عند سفيان الثوري فكأنه قد أوقف للحساب فلا يجترئ أن نكلمه ، فتمرض بذكر الحديث فيذهب ذلك الخشوع فإنما هو حدثنا وحدثنا (٥)

(١) حلية الأولياء (٧ / ١٧) .

(٢) حلية الأولياء (٧ / ٥١) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٥٨) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٦٧) .

(٥) حلية الأولياء (٦ / ٣٧١) .

٥ - اتباعه للسنة رحمه الله

وعن شعيب بن حرب قال : قلت لسفيان الثوري حدث بحديث في السنة ينفعني الله به ، فإذا وقفت بين يديه وسألني عنه قلت : يارب حدثني بهذا سفيان فأبجو أنا وتؤخذ . فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا وإليه يعود ، ومن قال غير هذا فهو كافر ، والإيمان قول وعمل ونية ، ويزيد وينقص ، وتقدمه الشيخين - إلى أن قال : يا شعيب لا ينفعك ما كتبت حتى ترى المسح على الخفين ، وحتى ترى أن إخفاء بسم الله الرحمن الرحيم أفضل من الجهر به ، وحتى تؤمن بالقدر ، وحتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر ، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة ، والصبر تحت لواء السلطان جارٍ أو عدل . فقلت : يا أبا عبد الله الصلاة كلها قال : لا ولكن صلاة الجمعة والعيدین صل خلف من أدركت ، وأما سائر ذلك فأنت مخير لا تصلي إلا خلف من تثق به ، وتعلم أنه من أهل السنة ، فإذا وقفت بين يدي الله وسألك عن هذا فقل يارب حدثني بهذا سفيان بن سعيد ، ثم خل بيني وبين ربي عز وجل .

قال الذهبي : هذا ثابت عن سفيان ^(١) .

(١) تذكرة الحفاظ (١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧) .

٦ - محنته رحمه الله وصدعه بالحق

عن داود عن أبيه قال : كنت مع سفيان الثوري فمررنا بشرطى نائم ، وقد حان وقت الصلاة ، فذهبت أحركة فصاح سفيان : مه . فقلت : يا أبا عبد الله يصلى ، فقال : دعه لا صلى الله عليه ، فما استراح الناس حتى نام هذا ^(١) .

وعن عطاء بن مسلم قال : لما استخلف المهدي بعث إلى سفيان فلما دخل خلع خاتمه فرمى به إليه فقال : يا أبا عبده الله هذا خاتمي فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة ، فأخذ الخاتم بيده وقال : تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين . قال عبيد قلت لعطاء يا أبا مخلد قال له : يا أمير المؤمنين قال نعم . قال أتكلم على أنى آمن ؟ قال : نعم . قال : لا تبعث إلى حتى أتيك ، ولا تعطني شيئاً حتى أسألك . قال فغضب من ذلك وهم به . فقال له كاتبه : أليس قد أمنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى . فلما خرج خف به أصحابه . فقالوا : ما منعك يا أبا عبد الله وقد أمر أن تعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة . قال : فاستصغر عقولهم ، ثم خرج هارباً إلى البصرة ^(٢) .

وروى ابن سعد في الطبقات قال : وطلب سفيان فخرج إلى مكة فكتب المهدي أمير المؤمنين إلى محمد بن إبراهيم - وهو على مكة يطلبه فبعث محمد إلى سفيان فأعلمه ذلك ، وقال إن كنت تريد إتيان القوم فاطهر حتى أبعث بك إليهم ، وإن كنت لا تريد ذلك فتوار . قال فتوارى سفيان ، وطلبه محمد بن إبراهيم ، وأمر منادياً فنادى بمكة من جاء بسفيان فله كذا وكذا ، فلم يزل متوارياً بمكة لا يظهر إلا لأهل العلم ومن لا يخافه . قالوا : فلما خاف سفيان بمكة من الطلب خرج إلى البصرة فقدمها ،

(١) حلية الأولياء (٧ / ٤١) .

(٢) حلية الأولياء (٧ / ٤٠) .

فنزل قرب منزل يحيى بن سعيد القطان ، فقال لبعض أهل الدار : أما قريبكم أحد من أصحاب الحديث ؟ قالوا : بلى يحيى بن سعيد . قال : جئني به . فأتاه به فقال : أنا هنا منذ ستة أيام أو سبعة ، فحوله يحيى إلى جواره ، وفتح بينه وبينه باباً ، وكان يأتيه بمحدثي أهل البصرة يسلمون عليه ويسمعون منه ، فكان فيمن أتاه جرير بن حازم ، والمبارك بن فضالة ، وحماد بن سلمة ، ومرحوم العطار ، وحماد بن زيد ، وغيرهم ، وأتاه عبد الرحمن بن مهدي ولزمه ، فكان يحيى وعبد الرحمن يكتبان عنه تلك الأيام ، وكلما أبا عوانه أن يأتيه فأبى وقال : رجل لا يعرفني كيف آتية ؟ وذلك أن أبا عوانه سلم عليه بمكة ، فلم يرد عليه سفيان السلام ، وكلّم في ذلك فقال : لا أعرفه ، ولما تخوف سفيان أن يشهر بمقامه بالبصرة قرب يحيى بن سعيد قال له : حولني من هذا الموضع . فحوله إلى منزل الهيثم بن منصور الأعرجي من بني سعد بن زيد مناة بني تميم ، فلم يزل فيهم فكلّمه حماد بن زيد في تنحيه عن السلطان وقال : هذا فعل أهل البدع وما تخاف منهم ؟ فأجمع سفيان وحماد على أن يقدموا بغداد^(١) .

(١) باختصار من طبقات ابن سعد (٦ / ٣٧٢ ، ٣٧٣) .

٧ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

قال الحافظ : روى عن أبيه ، وأبي إسحاق الشيباني ، وعبد الملك بن عمير ، وعبد الرحمن بن عابس بن ربيعة ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وسلمة ابن كهيل ، وطارق بن عبد الرحمن ، والأسود بن قيس ، وبيان بن بشر ، وجامع بن أبي راشد ، وحبيب بن أبي ثابت ، وحصين بن عبد الرحمن ، والأعمش ، ومنصور ، ومغيرة ، وحماذ بن أبي سليمان ، وزيد اليامي ، وصالح ابن صالح بن حبي ، وأبي حصين ، وعمرو بن مرة ، وعون بن أبي جحيفة ، وقراس بن يحيى ، وفطر بن خليفة ، ومحارب بن دثار ، وأبي مالك الأشجعي ، وخلق من أهل الكوفة ، وعن زياد بن علاقة ، وعاصم الأحول ، وسليمان التيمي ، وحמיד الطويل ، وأيوب ، ويونس بن عبيد ، وعبد العزيز بن رفيع ، والختار بن قفل ، وإسرائيل بن أبي موسى ، وإبراهيم بن ميسرة ، وحبيب بن الشهيد ، وخالد الحذاء ، وداود بن أبي هند ، وابن عون ، وجماعة من أهل البصرة ، وعن زيد بن أسلم ، وعبد الله بن دينار ، وعمرو بن دينار ، وإسماعيل بن أمية ، وأيوب بن موسى ، وجبل بن سحيم ، وربيعة ، وسعد بن إبراهيم وسمى مولى أبي بكر ، وسهيل بن أبي صالح ، وأبي الزناد ، وعبد الله ابن محمد بن عقيل ، وابن عجلان ، وابن المنكدر ، وأبي الزبير ، ومحمد وموسى بن عقبة ، وهشام بن عروة ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وطوائف من أهل الحجاز وغيرهم (١).

تلامذته :

قال الحافظ : روى عنه خلق لا يحصون منهم جعفر بن برقان ،

(١) تهذيب التهذيب (٤ / ٩٩ ، ١٠٠) .

وخصيف بن عبد الرحمن ، وابن إسحاق ، وغيرهم من شيوخه ، وأبان بن تغلب ، وشعبة ، وزائدة ، والأوزاعي ، ومالك ، وزهير بن معاوية ، ومسعر ، وغيرهم من أقرانه ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى بن سعيد ، وابن المبارك ، وجريز ، وحفص بن غياث ، وأبو أسامة ، وإسحاق الأزرق ، وروح بن عبادة ، وزائدة بن الحباب ، وأبو زبيده عثير بن القاسم ، وعبد الله بن وهب ، وعبد الرازق ، وعبيد الله الأشجعي ، وعيسى بن يونس ، والفضل بن موسى السيناني ، وعبد الله بن نمير ، وعبد الله بن داود الخريبي ، وفضيل بن عياض ، وأبو إسحاق الفزاري ، ومخلد بن يزيد ، ومصعب بن المقدام ، والوليد بن مسلم ، ومعاذ بن معاذ ، ويحيى بن آدم ، ويحيى بن يمان ، ووكيع ، ويزيد بن زريع ، ويزيد بن هارون ، وأبو عامر العقدي ، وأبو أحمد الزبيري ، وأبو نعيم ، وعبيد الله بن موسى ، وأبو حذيفة النهدي ، وأبو عاصم ، وخلاد بن يحيى ، وقبيصة ، والفريابي ، وأحمد بن عبد الله بن يونس ، علي بن الجعد ، وهو آخر من حدث عنه من الثقات ^(١) .

٨ - درر من أقواله رحمه الله

عن عبد الله بن سابق قال : قال سفيان الثوري : النظر إلى وجه الظالم خطيئة ^(١)

وعن يوسف بن أسباط قال : قال سفيان الثوري : من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله ^(٢)

وعن يحيى بن يمان قال : حدثنا سفيان قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام : تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصي ، والتمسوا رضوانه بالتباعد منهم ، قالوا : فمن يجالس ؟ قال : من تذكركم بالله رؤيته ، ويرغبكم في الآخرة عمله ، ويزيد في علمكم منطقه ^(٣)

وعن محمد بن أبي منصور أو غيره قال : عاتب سفيان رجلاً من إخوانه كان هم أن يلتبس بشئ من أمر هؤلاء ، فقال له : يا أبا عبد الله إن عليّ عيلاً : قال : لأن تجعل في عنقك مخلاة فتسأل على الأبواب ، خير من أن تدخل في شئ من أمر هؤلاء ^(٤)

وعن حذيفة المرعشي قال : قال سفيان : لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب إليّ من أن أحتاج إلى الناس ^(٥)

وعن خلف بن تميم قال : سمعت سفيان يقول : من أحب أخذ النساء لم يفلح ^(٦)

وعن عبد الله بن بشر قال : سمعت الثوري يقول : إن الحديث عز من أراد

(٤) حلية الأولياء (٤٩ / ٧)

(٥) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٤١)

(٦) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٥٨)

(١) حلية الأولياء (٤٦ / ٧)

(٢) حلية الأولياء (٤٦ / ٧)

(٣) حلية الأولياء (٤٦ / ٧)

به الدنيا فدنيا ، ومن أراد به الآخرة فأخرة ^(١) .

وعن أبي أسامة قال : سمعت سفيان الثوري يقول : إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة ، فأما التشديد فكل إنسان يحسنه ^(٢) .

وعن الفريابي قال : سمعت سفيان يقول : يعجبني أن يكون صاحب الحديث مكفياً ، فإن الآفات إليه أسرع ، وألسنة الناس إليه أسرع ^(٣) .

وعن زيد بن أبي الزرقاء قال : خرج سفيان ونحن على بابہ نتداوى في النسخ فقال : يا معشر الشباب تعجلوا بركة هذا العلم ، فإنكم لا تدرّون لعلكم لا تبلغون ما تؤملون منه ، ليفد بعضكم بعضاً ^(٤) .

وعن حفص بن عمرو قال : كتب سفيان إلى عباد بن عباد : أما بعد ، فإنك في زمان كان أصحاب النبي ﷺ يتعوذون أن يدركوه ولهم من العلم ما ليس لنا ، ولهم القَدَم ما ليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم وقلة صبر ، وقلة أعوان على الخير ، وفساد من الناس ، وكدر من الدنيا ، فعليك بالأمر الأول والتمسك به ، وعليك بالخمول ، فإن هذا زمن الخمول ، وعليك بالعزلة ، وقلة مخالطة الناس ، فقد كان الناس إذا التقوا ينتفع بعضهم ببعض .

فأما اليوم فقد ذهب ذاك ، والنجاة في تركهم فيما نرى ، وإياك والأمراء أن تدنو منهم ، وتخالطهم في شيء من الأشياء ، وإياك أن تخدع فيقال لك تشفع وتدرأ عن مظلوم ، أو ترد مظلمة فإن ذلك خديعة إبليس ، وإنما اتخذها القراء سلماً ، وكان يقال : اتقوا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاجر ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون ، وما لقيت من المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم فيه ، وإياك أن تكون كمن يحب أن يعمل بقوله ، أو ينشر قوله ، أو

(١) حلية الأولياء (٦ / ٣٦٦) .

(٢) حلية الأولياء (٦ / ٣٦٩) .

(٣) حلية الأولياء (٦ / ٣٦٧) .

(٤) حلية الأولياء (٦ / ٣٧٠) .

يسمع من قوله ، فإذا ترك ذاك منه عرف فيه ، وإياك وجب الرياسة ، فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة ، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة ، فتفقد نفسك واعمل بنية ، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت والسلام^(١) .

وعن أحمد الزبيري قال : كتب رجل من إخوان سفيان الثوري إلى سفيان الثوري أن عظمي فأوجز . فكتب إليه : عافانا الله وإياك من السوء كله ، يا أخى : إن الدنيا غمها لا يفنى وفرحها لا يدوم ، وفكرها لا ينقضى ، فاعمل لنفسك حتى تنجو ، ولا تتوان فتعطب والسلام^(٢) .

(١) حلية الأولياء (٦ / ٣٧٦ ، ٣٧٧) .

(٢) حلية الأولياء (٧ / ٥) .

٩ - ما تمثل به من الشعر رحمه الله

عن عبد الله بن زياد عن محمد بن بشر قال : سمعت سفيان يقول :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ الثُّقَى وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ وَأَنْتَ لَمْ تَرُصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا^(١)

وعن محمد بن عبيد الطنافسي قال : سمعت سفيان يقول :

يَسُرُّ الْفَتَى مَا كَانَ قَدَمٌ مِنْ ثُقَى إِذَا عَرَفَ الدَّاءَ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ^(٢)

وعن مزاحم بن زفر قال : سمعت سفيان الثوري ينشد هذه الأبيات من قول ابن حطان :

أَرَى أَشْقِيَاءَ النَّاسِ لَا يَسْأُمُونَهَا عَلَى أَنَّهُمْ فِيهَا عُرَاءَ وَجُوعُ
أَرَاهَا وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلًا كَانَتْهَا سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تُقَشَعُ^(٣)

وقال رحمه الله :

مَا ضَرَّ مَنْ كَانَتْ الْفِرْدَوْسُ مَسْكَنَةً مَاذَا تَجَرَّعَ مِنْ بُؤْسٍ وَأَقْتَارِ
تَرَاهُ يَمْشِي كَثِيبًا خَائِفًا وَجِلًا إِلَى الْمَسَاجِدِ يَمْشِي بَيْنَ أَطْمَارِ

ثم أقبل على نفسه فقال :

يَا نَفْسُ مَا لَكَ مِنْ صَبْرٍ عَلَى النَّارِ قَدْ حَانَ أَنْ تَقْبَلِي مِنْ بَعْدِ إِدْبَارِ^(٤)

(١) حلية الأولياء (٦ / ٣٧٤) .

(٢) حلية الأولياء (٦ / ٣٧٤) .

(٣) حلية الأولياء (٦ / ٣٧٢) .

(٤) حلية الأولياء (٦ / ٣٧٣) .

وعن زكريا بن عدى قال : كان الثورى يتمثل :

أَرَى الرُّجَالَ بَدُونِ الدِّينِ قَدْ قَنَعُوا وَلَيْسَ فِي عَيْشِهِمْ يَرْضُونَ بِالْدُّونِ
فَاسْتَغْنَى بِالدِّينِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اسْتَغْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ (١)

١٠ - وفاته رحمه الله وما قيل في رثائه

قال ابن سعد رحمه الله : كتب سفيان إلى المهدي أو إلى يعقوب بن داود فبدأ بنفسه ، فقليل له : إنهم يقضبون من هذا فبدأ بهم ، فأتاه جواب كتابه بما يجب من التقريب ، والكرامة ، والسمع منه ، والطاعة ، فكان على الخروج إليهم فحمّ ومرض مرضاً شديداً ، وحضره الموت فجزع ، فقال له مرحوم بن عبد العزيز : يا أبا عبد الله ما هذا الجزع ؟ إنك تقدم على الربّ الذي كنت تعبدّه فسكن وهذا . وقال : انظروا من ها هنا من أصحابنا الكوفيين ، فأرسلوا إلى عبادان فقدم عليه عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر ، والحسن بن عياش ، أخو أبو بكر بن عياش فأوصى إلى عبد الرحمن بن عبد الملك ، وأوصاه أن يصلي عليه ، فأقاما عنده حتى مات ، فأخرج بجنازته على أهل البصرة فجأة وسمعوا بموته ، وشهده الخلق ، وصلى عليه عبد الرحمن بن عبد الملك وكان رجلاً صالحاً رضيّه سفيان لنفسه ، ونزل في حفرة ، ونزل معه خالد بن الحارث وغيرهما ودفنوه ، ثم انصرف عبد الرحمن بن عبد الملك ، والحسن بن عياش إلى الكوفة فأخبرا أهلها بموت سفيان رحمه الله ^(١) .

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : لما أن مات سفيان أخرجناه من الليل من أجل السلطان ، فحملناه بالليل ، فما أنكرنا الليل من النهار . قال وسمعتة يقول في علته وكان به البطن : ذهب التستر ذهب التستر ^(٢) .
قال يحيى القطان : مات في أول سنة إحدى وستين ومائة ^(٣) .

(١) طبقات ابن سعد (٦ / ٣٧٣ ، ٣٧٤) .

(٢) حلية الأولياء (٦ / ٣٧١) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٧٩) .

قال الذهبي : الصحيح موته في شعبان سنة إحدى ، وكذلك أرخه الواقدي ، وهم خليفة فقال : مات سنة اثنين وستين .

وعن ضمرة قال : نظر حماد بن زيد إلى سفيان الثوري مسجى بثوب على السرير فقال : يا سفيان لست أغبطك اليوم بكثرة الحديث ، وإنما أغبطك بعمل صالح قدمت ^(١) .

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : جاءني جرير بن حازم وحماد بن زيد الغد يوم دفنا سفيان فقالا : اخرج بنا فخرجت معهما فبينما نحن نمشي قال جرير بن حازم :

مَنْ كَانَ يَبْكِي عَلَى حَيٍّ لِمَنْزِلَةٍ بَكَى الْغَدَاةَ عَلَى الثُّورَى سَفِيَانَا
قال : ثم سكّت فظننت أنه كَانَ هِيَ أَيْبَانًا يَقُولُهَا فَسَكَتَ فقال عبد الله بن الصباح :

أَبْكِي عَلَيْهِ وَقَدْ وَلَّى وَسُودَّه وَفَضْلُهُ نَاضِرٌ كَالْفُضْنِ رِيَانًا ^(٢)
فرحمه الله عز وجل رحمة واسعة ، وأدخلنا وإياه جنة عالية قطوفها دانية .

(١) حلية الأولياء (٧ / ٣٧١) .

(٢) حلية الأولياء (٦ / ٣٧٢) .

من أعلام السلف

١٧

حمّاد بن سلامة

بين يدي الترجمة :

فمع سلسلة من أعلام السلف و علم من الأعلام ، وإمام من الأئمة الكرام ، إنه أكبر الحمادين سناً وأكثرهم عبادة ، وشدة على أهل البدع ، إنه إمام أهل البصرة حماد بن سلمة رحمه الله ، كفاه شرفاً وفخراً قول ابن المبارك رحمه الله : « دخلت البصرة فما رأيت أحداً أشبه بمسالك الأول من حماد بن سلمة » .

فرحمه الله وأعلى درجته في الجنة وجمعنا به في دار الكرامة ، والله الحمد والمنة على كل نعمة .

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : حماد بن سلمة بن دينار ، الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو سلمة البصري النحوي ، البزاز الخرقى البطائني ، مولى آل ربيعة بن مالك ، وابن أخت حميد الطويل ^(١) .

مولده : قال أبو سلمة التبوذكي : « مات حماد بن سلمة وقد أتى عليه ست و سبعون سنة ، والمشهور أن وفاته سنة سبع و ستين و مائة فيكون ميلاده في إحدى و تسعين » .

صفته : قال البخاري : « سمعت آدم بن أبي إياس يقول : « شهدت حماد بن سلمة و دعوه - يعنى السلطان - فقال : « أحمل لحية حمراء إلى هؤلاء لا والله ما فعلت » ^(٢) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٤٤) .
(٢) تهذيب الكمال (٧ / ٢٦٦) .

٢ - ثناء العلماء عليه

عن يحيى بن معين قال : « حماد بن سلمة ثقة » ^(١) .
و عن حجاج بن المنهال : « حدثنا حدثنا حماد بن سلمة ، و كان من أئمة الدين » ^(٢) .

و عن عبد الرحمن بن مهدي : « حماد بن سلمة صحيح السماع ، حسن اللقي أدرك الناس و لم يتهم بلون من الألوان ، و لم يلتبس بشيء ، أحسن ملكة نفسه ، و لسانه ، لم يطلقه على أحد ، و لا ذكر خلقاً بسوء ، فسلم حتى مات » ^(٣) .

و قال عبد الله بن المبارك : « دخلت البصرة فما رأيت أحداً أشبه بمسالك الأول من حماد بن سلمة » ^(٤) .

و عن موسى بن اسماعيل : « حدثنا حماد بن زيد قال : « ما كنا نأتى أحداً نتعلم شيئاً بنية في ذلك الزمان إلا حماد بن سلمة » ، قال : « و نحن نقول اليوم : ما نأتى أحداً يعلم بنية إلا حماد بن سلمة » ^(٥) .

و قال أحمد : « أعلم الناس بثابت البناني حماد بن سلمة ، و هو أثبتهم في حميد الطويل » ^(٦) .

قال الذهبي : « كان بحرًا من بحور العلم ، و له أوهام في سعة ما روى ، و هو صدوق حجة ، و ليس هو في الإتيان كحماد بن زيد ، و تحايد البخاري إخراج حديثه إلا حديثاً خرج في الدقاق فقال : « قال لي أبو الوليد : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبي و لم ينحط حديثه عن رتبة

(٤) تهذيب الكمال (٧ / ٢٦٤) .

(٥) تهذيب الكمال (٧ / ٢٦٥) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٤٦) .

(١) تهذيب الكمال (٧ / ٢٦٢) .

(٢) تهذيب الكمال (٧ / ٢٦٣) .

(٣) تهذيب الكمال (٧ / ٢٦٤) .

الحسن ، و مسلم روى له فى الأصول عن ثابت و حميد لكونه خبيراً بهما^(١) .

ورد الحافظ ابن حبان على الإمام البخارى فى تجنب حديثه فقال فى صحيحه : « لم يتصف من جانب حديثه واحتج بأبى بكر بن عياش و بابن أخى الزهرى ، و عبد الرحمن بن دينار ، فإن كان تركه إياه لما كان يخطئ فغيره من أقرانه مثل الثورى و شعبة و دونهما كانوا يخطئون ، فإن زعم أن خطأه قد كثر من تغير حفظه فكذلك أبو بكر ، و لم يكن مثل حماد بالبصرة ، و لم يكن يثلبه إلا معتزلى أو جهمى ، لما كان يظهر من السنن الصحيحة ، و أتى يبلغ أبو بكر بن عياش مبلغ حماد بن سلمة فى إتقانه ، أم فى جمعه ، أم فى علمه ، أم فى ضبطه^(٢) » .

وقال الذهبى : قال أحمد بن حنبل رحمه الله : إذا رأيت من يغمزه فاتهمه فإنه كان شديداً على أهل البدع . إلا أنه لما طعن فى السن ساء حفظه ، فلذلك لم يحتج به البخارى ، أما مسلم فاجتهد فيه و أخرج من حديثه عن ثابت ، مما سمع منه قبل تغيره ، و أما عن غير ثابت فأخرج نحو اثني عشر حديثاً فى الشواهد ، دون الاحتجاج ، فالاحتياط أن لا يحتج به فيما يخالف الثقات ، و هذا الحديث من جملتها^(٣) .

و قال عبد الله بن معاوية الجمحى : « حدثنا الحمادان ، و فضل ابن سلمة على ابن زيد كفضل الدينار على الدرهم - يعنى الذى اسم جده دينار أفضل من حماد بن زيد الذى اسم جده درهم » .

قال الذهبى : « هذا محمول على جلالته و دينه ، و أما الإتيان فمسلم إلى ابن زيد هو نظير مالك فى الثبوت^(٤) » .

(٣) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٢) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٤٦) .

(٢) نقلاً عن سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٠) . (٤) نقلاً عن سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٠) .

٣ - عبادته ورحمة الله

* قال أبو نعيم في ترجمة له : « ومنهم المجتهد في العبادة المعداد في الإمامة أبو سلمة حماد بن سلمة ، كان لخطير الأعمال مصطنعاً ، ويسير الأقوات مقتنعاً »^(١) .

* وعن عبد الرحمن بن المهدي قال : « لو قيل لحماذ بن سلمة أنك تموت غداً ، ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً »^(٢) .

* وعن عفان بن مسلم قال : « قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة ، ولكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير وقراءة القرآن والعمل لله من حماد بن سلمة »^(٣) .

* وعن موسى بن اسماعيل قال : « لو قلت لكم إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكاً لصدقت ، كان مشغولاً إما أن يحدث ، أو يقرأ ، أو يسبح ، أو يصلي ، قد قسم النهار على ذلك »^(٤) .

* وقال أحمد بن عبد الله العجلي : « حدثني أبي قال : « كان حماد بن سلمة لا يحدث حتى يقرأ مائة آية نظراً في المصحف »^(٥) .

* وعن حماد بن سلمة قال : « أخذ إياس بن معاوية بيدي وأنا غلام فقال : « لا تموتن حتى تقص ، أما إني قد قلت هذا لخالك - يعني حميد الطويل - فما مات حماد حتى قص » .

قال أبو خالد : قلت لحماذ : « أنت قصصت ؟ » قال : « نعم » .

قال الذهبي : « القاص هو الواعظ »^(٦) .

(١) حلية الأولياء (٦ / ٢٤٩) . (٤) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٤٨) .
(٢) حلية الأولياء (٦ / ٢٥٠) . (٥) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٤٨) .
(٣) حلية الأولياء (٦ / ٢٥٠) . (٦) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٢) .

٤ - ورعه رحمه الله

* عن موسى بن إسماعيل قال : « سمعت حماد بن سلمة يقول لرجل :
« إن دعاك الأمير أن تقرأ عليه قل هو الله أحد فلا تأته » ^(١) .

* وعن محمد بن الحجاج قال : « كان رجل يسمع معنا عند حماد بن سلمة فركب إلى الصين ، فلما رجع أهدى إلى حماد بن سلمة هدية ، فقال له حماد : « إني إن قبلتها لم أحدثك بحديث ، وإن لم أقبلها حدثتك » قال : « لا تقبلها وحدثني » ^(٢) .

* وعن حماد بن سلمة قال : « ما كان من شأني أن أحدث أبداً حتى رأيت - يعني أيوب السخيتاني - في منامي فقال لي : « حدث فإن الناس يقبلون » ^(٣) .

* وقال سوار بن عبد الله العنبري : حدثنا أبي قال : « كنت أتى حماد بن سلمة في سوقه فإذا ربح في ثوب حبة أو حبتين شد جودته ولم يبع شيئاً ، فكنت أظن ذلك يقوته » ^(٤) .

(١) حلية الأولياء (٦ / ٢٤٩) .

(٢) حلية الأولياء (٦ / ٢٥٠) .

(٣) حلية الأولياء (٦ / ٢٥٠) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٤٨) .

٥ - اتباعه للشيعة

عن أحمد بن حنبل قال : إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام ، فإنه كان شديداً على المبتدعة ^(١) .

وتقدم قول ابن حبان : ولم يكن مثل حماد بالبصرة ، ولم يكن يثلبه إلا معتزلي أو جهمي ؛ ولما كان يظهر من السنن الصحيحة ^(٢) .

وقال حنبل بن إسحاق : قلت لأبي عبد الله : وهيب وحماد بن زيد وحماد ابن سلمة ، قال : وهيب وهيب كأنه يوثقه ، وحماد بن سلمة لا أعلم أحداً أروى في الرد أهل البدع منه ، وحماد بن زيد حسبك به ^(٣) .

وقال عبد الله بن المبارك : دخلت البصرة فما رأيت أحداً أشبه بمسالك الأول من حماد بن سلمة ^(٤) .

وروى عبد العزيز بن المغيرة عن حماد بن سلمة أنه حدثهم بحديث نزول الرب عز وجل فقال : من رأيتموه ينكر هذا فاتهموه ^(٥) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٠) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٠) .

(٣) تهذيب الكمال (٧ / ٢٥٩) .

(٤) تهذيب الكمال (٧ / ٢٦٤) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥١) .

٦ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

روى عن ثابت البناني ، وقتادة ، وخاله حميد الطويل ، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، وأنس بن سيرين ، وثمامة بن عبد الله بن أنس ، ومحمد بن زياد القرشي ، وأبي الزبير المكي ، وعبد الملك بن عمير ، وعبد العزيز بن صهيب ، وأبي عمران الجوني ، وعمرو بن دينار ، وهشام ابن زيد بن أنس ، وهشام بن عروة ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وأيوب السختياني ، وخالد الحذاء ، وداود بن أبي هند ، وسليمان التيمي ، وسماك بن حرب ، وخلق كثير من التابعين فمن بعدهم^(١)

تلامذته :

قال الحافظ : وعنه ابن جريج ، والثوري ، وشعبة وهم أكبر منه وابن المبارك ، وابن مهدي ، والقطان ، وأبو داود ، وأبو الوليد الطيالسي ، وأبو سلمة التبوذكي ، وأدم بن أبي إياس والأشيب ، وأسود بن عامر شاذان ، وبشر بن السري ، وبهز بن أسد وسليمان بن حرب ، وأبو نصر التمار ، وهدي بن خالد ، وشيبان بن فروخ ، وعبيد الله العيشي وآخرون^(٢) .

(١) تهذيب التهذيب (١١ / ٣) .

(٢) تهذيب التهذيب (١١ / ٣) .

٧ - درر من أقواله

قال إسحاق بن الطَّبَّاع : سمعت حماد بن سلمة يقول : من طلب الحديث
لغير الله تعالى مكر به ^(١) .

عن محمد بن اسماعيل البخاري قال : سمعت بعض أصحابنا يقول : عاد
حماد بن سلمة سفيان الثوري فقال سفيان : يا أبا سلمة : أترى الله يغفر لمثلي
فقال حماد : والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي لاخترت
محاسبة الله ، وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي ^(٢) .

وعن أبي سلمة المنقري : سمعت حماد بن سلمة يقول : إن الرجل ليثقل
حتى يخف ^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٤٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٤٩) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٠) .

٨ - وفاته رحمه الله

قال أبو الحسن المدائني : مات حماد بن سلمة يوم الثلاثاء في ذي الحجة سنة سبع وستين ومائة ، وصلى عليه إسحاق بن سليمان ^(١)
وقال يونس بن محمد المؤدب : مات حماد بن سلمة في الصلاة في المسجد ^(٢)

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٣) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٤٨) .

من أعلام السلف

١٨

الليث بن سعد

بين يدي الترجمة :

فمازلنا مع أعلام السلف الكرام ، ومعنا في هذه الترجمة المباركة الإمام الحافظ شيخ الإسلام عالم الديار المصرية ، أبو الحارث الفهمي الليث بن سعد . قال أبو نعيم : ومنهم السرى السخى الملى الوفى لعلمه عقول ولما له بذول ، أبو الحارث الليث بن سعد كان يعلم الأحكام ملياً ، وينذل الأموال سخياً .

وهو من أئمة اتباع التابعين من أقران مالك وسفيان والأوزاعي ، حفظ الله عز وجل بهم الإسلام ، وارتفعت بهم أعلام السنة ونكست أعلام البدع ، فرحم الله الجميع .

وقد كان الليث إماماً فى الحديث والفقه والسخاء فرحمه الله رحمة واسعة وأدخله جنة عالية قطوفها دانية .

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : ليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المصري مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر ، وقيل مولى بن ثابت بن ظاغن جد عبد الرحمن بن خالد بن مسافر وأهل بيته يقولون : نحن من الفرس من أهل أصبهان . قال أبو سعيد بن يونس : وليس لما قالوه من ذلك عندنا صحة .
وروى عن الليث أنه قال مثل ذلك ، والمشهور أنه فهمي ، وفهم من قيس عيلان ^(١) .

مولده : ولد بقرقشدة قرية على نحو أربعة فراسخ من مصر في سنة أربع وتسعين ، وقيل : ثلاث وتسعين ذكره سعيد بن أبي مریم ، والأول أصح ؛ لأن يحيى يقول : سمعت الليث يقول : ولدت في شعبان سنة أربع . قال الليث : حججت سنة ثلاث عشرة ومائة ^(٢) .

صفته : عن أبي عمرو أحمد بن محمد الحيري : سمعت محمد بن معاوية يقول وسليمان بن حرب إلى جنبه - خرج الليث بن سعد يوماً فقوموا ثيابه ودابته وخاتمه وما عليه ثمانية عشر ألف درهم إلى عشرين ألفاً . فقال : سليمان : لكن خرج علينا شعبة يوماً فقوموا حماره وسرجه ولجامه ثمانية عشر درهماً إلى عشرين درهماً ^(٣) .

(١) تهذيب الكمال (٢٤ / ٢٥٥ ، ٢٥٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء بتصرف (٨ / ١٣٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٥٧) .

٢ - ثناء العلماء عليه

عن شرحبيل بن جميل بن يزيد مولى شرحبيل بن حسنة قال : أدركت الناس أيام هشام ، وكان الليث بن سعد حدث السن ، وكان بمصر عبيد الله بن جعفر ، وجعفر بن ربيعة ، والحارث بن يزيد ، ويزيد بن أبي حبيب ، وابن هبيرة وغيرهم من أهل مصر ، ومن يقدم علينا من فقهاء المدينة ، وإنهم ليعرفون لليث فضله وورعه وحسن إسلامه على حدائمه (١) .
وقال ابن بكير : ورأيت من رأيت فلم أر مثل الليث (٢) .

وعن أبي الوليد عبد الملك بن يحيى بن بكير قال : سمعت أبي يقول : ما رأيت أحداً أكمل من الليث بن سعد ، كان فقيه البدن ، عري اللسان ، يحسن القرآن ، والنحو ، ويحفظ الشعر والحديث ، حسن المذاكرة ، وما زال يذكر خصالاً جميلة ، ويقعد بيده حتى عدّ عشرة لم أر مثله (٣) .

وعن هارون بن سعيد قال : سمعت ابن وهب يقول : كل ما كان في كتب مالك : وأخبرني من أرضى من أهل العلم فهو الليث بن سعد (٤) .
وعن الربيع بن سليمان قال : قال ابن وهب : لولا مالك والليث لضلّ الناس (٥) .

وقال الفضل بن زياد : قال أحمد : ليث كثير العلم صحيح الحديث (٦) .

وعن أحمد بن سعد الزهري قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول :

(٤) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٤٧) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٥٤) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٥٤) .

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ٥) .

(٢) تاريخ بغداد (١٣ / ٥) .

(٣) تاريخ بغداد (١٣ / ٦) .

الليث ثقة ثبت ^(١).

وقال عثمان الدرامي : سمعت يحيى بن معين يقول : الليث أحب إلي من يحيى بن أيوب ، ويحيى ثقة ، قلت : فكيف حديثه عن نافع فقال : صالح ثقة ^(٢).

وعن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب سمعت الشافعي يقول : الليث أقر من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به ^(٣) . وقال محمد بن سعد : وكان ثقة ، كثير الحديث ، صحيحه ، وكان قد اشتغل بالفتوى في زمانه بمصر ، وكان سريراً من الرجال ، نبلاً ، سخياً له ضيافة ^(٤).

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : أصح الناس حديثاً عن سعيد المقبري ليث بن سعد ، يفصل ما روى عن أبي هريرة وما روى عن أبيه عن أبي هريرة ^(٥).

وقال علي بن المديني : الليث بن سعد ثبت ^(٦).

وقال العجلي : مصري فهمي ثقة ^(٧).

- (١) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٥٤) .
- (٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٥٥) .
- (٣) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٥٦) .
- (٤) طبقات ابن سعد (٧ / ٥١٧) .
- (٥) تهذيب الكمال (٢٤ / ٢٦١) .
- (٦) تهذيب الكمال (٢٤ / ٢٦٤) .
- (٧) تهذيب الكمال (٢٤ / ٢٦٤) .

٣ - سخاؤه وكرمه رحمه الله

عن حرملة بن يحيى قال : سمعت ابن وهب يقول : كتب مالك إلى الليث إنني أريد أن أدخل ابنتي على زوجها فأحب أن تبعث لى بشيء من عصفر قال : ابن وهب فبعث إليه الليث بثلاثين جمل عصفر ، فصيغ منه لابنته وباع منه بخمسائة دينار^(١) .

عن أسد بن موسى قال : كان عبد الله بن علي يطلب بنى أمية فيقتلهم فلما دخلت مصر دخلتها في هيئة رثة ، فدخلت على الليث بن سعد فلما فرغت من مجلسه خرجت ، فتبعني خادم له في دهليزه فقال : اجلس حتى أخرج إليك ، فجلست فلما خرج إلى وأنا وحدي دفع إلى صرة فيها مائة دينار ، فقال : يقول لك مولاي أصلح بهذه النفقة بعض أمرك ، ولم من شعك وكان في حوزتي هيمان فيه ألف دينار ، فأخرجت الهيمان فقلت : أنا عنها في غنى استأذن لى على الشيخ ، فاستأذن لى فدخلت فأخبرته بنسبي ، واعتذرت إليه من ردها ، وأخبرته بما مضى . فقال : هذه صلة وليست بصدقة . فقلت : أكره أن أعود نفسي عادة وأنا في غنى . فقال : ادفعها إلى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقاً لها ، فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها على جماعة^(٢) .

وعن يحيى بن بكير قال : سمعت أبي يقول : وصل الليث بن سعد ثلاثة أنفس بثلاثة آلاف دينار ، احترقت دار ابن لهيعة فبعث إليه بألف دينار ، وحج فأهدى إليه مالك بن أنس رطب على طبق فرد إليه في الطبق ألف دينار ،

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ٧) .

(٢) حلية الأولياء (٧ / ٣٢١ ، ٣٢٢) .

ووصل منصور بن عمار القاضي بألف دينار ، وقال : لا تسمع بهذا ابني فتتهون عليه ^(١) .

وقال قتيبة : كان الليث يركب في جميع الصلوات إلى الجامع ، ويتصدق كل يوم على ثلاثمائة مسكين ^(٢) .

وعن عبد الله بن صالح قال : صحبت الليث عشرين سنة لا يتغذى ولا يتعشى إلا مع الناس ، وكان لا يأكل إلا بلحم إلا أن يمرض ^(٣) .

قال قتيبة : وجاءت إمراة إلى الليث فقالت : يا أبا الحارث إن ابنا لي غليل واشتهى عسلاً فقال : يا غلام : أعطها مرطاً من عسلي ، والمرط عشرون ومائة رطل ^(٤) .

(١) حلية الأولياء (٧ / ٣٢٢) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٥٨) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٥٠) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٤٩) .

٤ - إتياعه للسنة

عن حرمة بن يحيى قال : سمعت الشافعي يقول : الليث بن سعد أتبع للأثر من مالك بن أنس ^(١) .

وعن عثمان بن صالح قال : كان أهل مصر ينتقصون عثمان حتى نشأ فيهم الليث بن سعد فحدثهم بفضائل عثمان فكفوا عن ذلك ، وكان أهل حمص ينتقصون عليا حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائله ، فكفوا عن ذلك ^(٢) .

عن سعيد بن أبي مريم : سمعت ليث بن سعد يقول : بلغت الثمانين وما نازعت صاحب هوى قط .

قال الذهبي : كانت الأهواء ، والبدع خاملة في زمن الليث ومالك والأوزاعي ، والسنن ظاهرة عزيزة ، فأما في زمن أحمد بن حنبل وإسحاق وأبي عبيد فظهرت البدعة ، وامتنح أئمة الأثر ، ورفَعَ أهل الأهواء رؤوسهم بدخول الدولة معهم ، فاحتاج العلماء إلى مجادلتهم بالكتاب والسنة ثم كثر ذلك واحتج عليهم العلماء أيضاً بالعقول ، فطال الجدل واشتد النزاع وتولدت الشبه ، نسأل الله العافية ^(٣) .

وعن أبي بكر الفقيه الخلال : أخبرني أحمد بن محمد بن واصل المقرئ حدثنا الهيثم بن خارجة أخبرنا الوليد بن مسلم قال : سألت مالك والثوري والليث والأوزاعي عن الأخبار التي في الصفات فقالوا : أمروها كما جاءت ^(٤) .

(١) حلية الأولياء (٣١٩ / ٧) . (٢) تاريخ بغداد (٧ / ١٣) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤٤ / ٨) . (٤) سير أعلام النبلاء (١٦٢ / ٨) .

٥ - عرض ولاية مصر على الليث

عن أبي بكير قال الليث : قال لي أبو جعفر ، تلى لي مصر قلت : لا
ياأمير المؤمنين إني أضعف عن ذلك إني رجل من الموالي فقال : ما بك
ضعف ، ولكن ضعفت نيتك في العمل عن ذلك لي ^(١) .

وعن يحيى بن بكير قال : قال الليث : قال لي المنصور : تلى لي مصر ؟
فاستعفيت قال : أما إذا أبيت فدلني على رجل أقلده مصر . قلت : عثمان بن
الحكم الجذامي ، رجل له صلاح وله عشيرة . قال : فبلغ عثمان ذلك فعاهد
الله لا يكلم الليث ^(٢) .

قال الذهبي : كان الليث رحمه الله فقيه مصر ، ومحدثها ومحتشمها ،
ورئيسها ، ومن يفتخر بوجوده الإقليم ، بحيث إن متولى مصر وقاضيه وناظرها
من تحت أوامره ، ويرجعون إلى رأيه ومشورته ، ولقد أراد المنصور أن ينوب له
على الإقليم فاستعفى من ذلك ^(٣) .

(١) تاريخ بغداد (١٣ / ٥) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٥٦) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٤٣) .

٦ - درر من أقواله

عن الليث قال : بلغت الثمانين وما نازعت صاحب هوى قط ^(١).

وعن يحيى بن بكير قال : أخبرني مع سمع الليث يقول : كتبت من علم ابن شهاب علماً كثيراً ، وطلبت ركوب البريد إليه الرصافة فخفت أن لا يكون ذلك لله فتركته ، ودخلت على نافع فسألني فقلت : أنا بصرى ، فقال : ممن ؟ قلت : من قيس ؟ قال : ابن كم ؟ قلت : ابن عشرين سنة . قال : أما لحيتك فلحية ابن أربعين ^(٢).

وعن حفص بن سلمة قال : تكلم الليث بن سعد في مسألة فقال له رجل : يا أبا الحارث في كتابك غير هذا قال : في كتاب - أو في كتبنا - ما إذا مر بنا هذبناه بعقولنا وألستنا ^(٣).

وعن عبد الله بن صالح قال : سمعت الليث بن سعد يقول : لما قدمت على هارون الرشيد قال لي : ياليت ما صلاح بلدكم قلت : يا أمير المؤمنين صلاح بلدنا بإجراء النيل ، وإصلاح أميرها ، ومن رأس العين يأتي الكدر ، فإذا صفأ رأس العين صفت السواقي ، فقال : صدقت يا أبا الحارث ^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٤٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٤٥) .

(٣) حلية الأولياء (٧ / ٣١٩) .

(٤) حلية الأولياء (٧ / ٣٢٢) .

١٢ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

قال الحافظ : روى عن نافع ، وابن أبي ملكية ، ويزيد بن أبي حبيب ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وأخيه عبد ربه بن سعيد ، وابن عجلان ، والزهرى ، وهشام بن عروة ، وعطاء بن أبي رباح ، وبكير بن الأشج ، والحرث بن يعقوب ، وأبى عقيل زهرة بن معبد ، وسعيد المقبرى ، وأبى الزناد ابن رباح ، ويزيد بن الهاد ، وأبى الزبير المكي ، وإبراهيم بن أبي عتبة ، وأيوب ابن موسى ، وإبراهيم بن نشيط ، وجعفر بن ربيعة ، وعبيد الله بن أبي جعفر ، وأبى قبيل ، وحكيم بن عبيد الله بن قيس ، وحنين بن أبي حكيم ، والحسن ابن ثوبان ، وخالد بن يزيد المصرى ، وخالد بن أبي عمران ، وخير بن نعيم ، وأبى شجاع سعيد بن يزيد ، ويحيى بن عبد الرحمن بن غنيم ومعاوية بن صالح ، وصفوان بن سليم ، ويحيى بن أيوب ، وعقيل ، ويونس بن يزيد ، ويزيد بن محمد القرشى ، وعميرة بن أبى ناجية ، وعبد العزيز الماجشون وجماعة من أقرانه ومن هو أصغر منه ^(١) .

تلامذته :

قال الحافظ : روى عنه شعيب ، ومحمد بن عجلان وهشام بن سعد وهما من شيوخه ، وابن لهيعة ، وهشيم بن بشير ، وقيس بن الربيع ، وعطاف بن خالد ، وهم من أقرانها ، وابن المبارك ، وابن وهب ، ومروان بن محمد ، وأبو النضر ، وأبو الوليد بن مسلم ، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد ، ويونس بن محمد المؤدب ، ويحيى بن إسحاق السيلحيني ، وعلى بن نصر الجهضمي

(١) تهذيب التهذيب (٨ / ٤١٢ ، ٤١٣) .

الكبير ، وأبو سلمة الخزاعي ، والحسن بن سوار ، وهجين بن المشي ، وعبد الله بن نافع الصائغ ، وقراد أبو نوح ، وعبد الله بن عبد الحكم ، وبشر بن السري ، وشبابة بن سوار ، وعبد الله ابن يحيى البرلسي ، وحجاج بن محمد ، وزيد بن يحيى بن عبيد ، وأشهب بن عبد العزيز ، وداود ابن منصور ، وسعيد ابن سليمان ، وآدم بن أبي إياس ، وسعيد بن أبي مريم ، وسعيد بن شرحبيل ، وسعيد بن كثير بن عفير ، وكاتبه أبو صالح عبد الله بن صالح ، وعبد الله بن يوسف التنيسي ، وعبد الله بن يزيد المقرئ ، وعلي بن عياش الحمصي ، وعمرو بن خالد الحراني ، وعمرو بن الربيع بن طارق ، وأبو الوليد الطيالسي ، ويحيى بن عبد الله بن بكير ، والقاسم بن كثير الاسكندراني ، وأحمد بن عبد الله بن يونس ، وقتيبة بن سعيد ، ومحمد بن ربح بن المهاجر ، ومحمد بن الحارث بن راشد المصري ، وأبو الجهم العلاء بن موسى ، وعيسى بن حماد بن زغبة ، وهو آخر من حدث عنه الثقات ، وآخرون^(١) .

٨ - وفاته رحمه الله

قال يحيى بن بكير وسعيد بن أبي مريم : ومات الليث للنصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة .

قال يحيى : يوم الجمعة وصلى عليه موسى بن عيسى .

قال خالد بن عبد السلام الصدفي : شهدت جنازة الليث بن سعد مع والدي فما رأيت جنازة قط أعظم منها ، رأيت الناس كلهم عليهم الحزن ، وهم يعزى بعضهم بعضاً ويكفون فقلت : يا أبت ، كأن كل واحد من الناس صاحب هذه الجنازة فقال : يا بني لا ترى مثله أبداً ^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ١٦١ ، ١٦٢) .

من أعلام السلف

١٩

حمّادُ بن زيّدٍ

بين يدي الترجمة :

فمع سلسلة « من أعلام السلف » ومع إمام من أئمة المسلمين في زمن كبار التابعين زمن مالك ، وسفيان ، والليث ، والأوزاعي ، إنه إمام أهل البصرة ، وراويّة أيوب السختياني ، حماد بن زيد رحمه الله ، إنه شيخ ابن المبارك وابن مهدي والقطان ، كان حديثه أربعة آلاف حديث يحفظها عن ظهر قلب ، لا يخطئ في حرف واحد ، فارق الدنيا وليس له فيها نظير ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وسائر الأئمة الكرام والعلماء الأعلام ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

٢ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي ، أبو إسماعيل البصري الأزرق ، مولى آل جرير بن حازم ، وكان جده درهم من سبي سجستان ^(١)

مولده : قال الذهبي : مولده في سنة ثمان وتسعين ^(٢)

وعن حماد بن زيد قال : زعمت أُمِّي أنني ولدت في عمل عمر بن عبد العزيز ، قال : وقالت عمتي : في آخر عمل سليمان بن عبد الملك ^(٣)

صفته : قال أبو حاتم بن حبان : كان ضريراً يحفظ حديثه كله ، قال الذهبي : إنما أضرباً آخره ^(٤)

وعن عفان بن مسلم قال : كان حماد بن زيد يلبس قلنسوة بيضاء طويلة لطيفة ^(٥)

(١) تهذيب الكمال (٧ / ٢٣٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٦١) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧ / ٢٨٦) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٩) .

(٥) طبقات ابن سعد (٧ / ٢٨٦) .

٢ - ثناء العلماء عليه

قال الحافظ أبو نعيم : ومنهم الإمام الرشيد الآخذ بالأصل الوكيد ،
التمسك بالمنهج الحميد ، نزل من العلوم بالحل الرفيع ، وتوصل إلى الأصول
بالوسيط المنيع ، اقتبس الآثار عن الأخيار ، وأخذ الأعمال عن الأبرار ، أكبر
فوائده في الأقضية والأحكام ، وأبلغ مواعظه في مراعاة الأبنية والأعلام أبو
إسماعيل حماد بن زيد ^(١) .

وعن علي بن الحسن بن شقيق قال : قال عبد الله بن المبارك :

أَيُّهَا الطَّالِبُ عِلْمًا	إِنِّي حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ
فَاطْلُبِ الْعِلْمَ بِحِلْمٍ	ثُمَّ قَبِضْهُ بِقَبْضٍ
لَا كَثْرٍ وَكَجَنِّهِمْ	وَكَمَمَرُوا بِنِ عَبِيدٍ ^(٢)

وعن خالد بن خدّاش قال : حماد بن زيد من عقلاء الناس وذوى
الألباب ^(٣) . ، وعن عاصم قال : مات حماد بن زيد يوم مات ، ولا أعلم له
فى الإسلام نظيراً فى هيبته ودلّه ، أظنه قال : وسمته ^(٤) .

قال عبد الرحمن بن مهدى : أئمة الناس فى زمانهم أربعة : سفيان الثورى
بالكوفة ومالك بالحجاز ، والأوزاعى بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة .

وقال آخر هو أجل أصحاب أيوب السختياني وأثبتهم ^(٥) .

وقال أحمد بن حنبل : حماد بن زيد من أئمة المسلمين من أهل الدين

(١) حلية الأولياء (٦ / ٢٥٧) .

(٢) حلية الأولياء (٦ / ٢٥٨) .

(٣) حلية الأولياء (٦ / ٢٥٩) .

(٤) حلية الأولياء (٦ / ٢٥٨) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٨) .

هو أحب إليّ من حماد بن سلمة^(١).

وقال عبد الرحمن بن مهدي : ما رأيت أعلم من حماد بن زيد ومالك بن أنس وسفيان الثوري وما رأيت أحداً أفقه منه - يعني حماد بن زيد -^(٢)

وعن إبراهيم بن سعيد الجوهري : سمعت أبا أسامة يقول : كنت إذا رأيت حماد بن زيد قلت : أدبه كسرى ، وفقهه عمر رضي الله عنه^(٣)

وقال محمد بن سعد : حماد بن زيد يكنى أبا إسماعيل ، وكان عثمانيًا وكان ثقة ثبتاً حجةً كثير الحديث^(٤)

وعن يحيى قال : حماد بن زيد أثبت بن عبد الوارث وابن عليّة ، وعبد الوهاب الثقفي ، وابن عينة^(٥)

وعن عبيد الله بن الحسن قال : إنما هما الحمادان ، فإذا طلبتم العلم فاطلبوه من الحمادين^(٦)

وعن عبد الرحمن بن مهدي : ما رأيت بالبصرة أفقه من حماد بن زيد^(٧)

(٥) سير أعلام النبلاء ٤٦٤ / ٧

(٦) الجرح والتعديل ١٧٩ / ١

(٧) الجرح والتعديل ١٨١ / ١

(١) سير أعلام النبلاء ٤٥٨ / ٧

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٥٩ / ٧

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٦١ / ٧

(٤) طبقات ابن سعد ٢٨٦ / ٧

٣ - تثبته وحفظه رحمه الله

عن محمد بن المنهال الضرير قال : سمعت يزيد من زريع وسئل ماتقول
في حماد بن زيد وحماد بن سلمة أيهما أثبت في الحديث .
قال : حماد بن زيد ، وكان الآخر رجلاً صالحاً^(١) .

وعن يحيى بن معين قال : ليس أحد في أيوب أثبت من حماد بن
زيد^(٢) .

وعن عبد الرحمن قال سئل أبو زرعة عن حماد بن زيد وحماد بن سلمة
فقال : حماد بن زيد أثبت من حماد بن سلمة بكثير ، أصح حديثاً وأتقن^(٣) .
وقال مُصَفَّى : أخبرنا بقية قال : ما رأيت بالعراق مثل حماد بن زيد قال :
الذهبي : ومن خاصية حماد بن زيد أنه لا يدلس أبداً قال خالد بن خدّاش :
سمعتة يقول : المدلس متشبع بما لم يعط .

قال الذهبي : والمدلس داخل في عموم قوله : ﴿ وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا
لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ [آل عمران : ١١٨] ودخل في قوله عليه الصلاة والسلام :
« من غشنا فليس منا » لأنه يوهم السامعين أن حديثه متصل وفيه انقطاع ،
وهذا إذا دلس عن ثقة ، أما إذا دلس خبره عن ضعيف يوهم أنه صحيح فهذا
قد خان الله ورسوله ، وقد قال عبد الوارث بن سعيد : التدليس ذل^(٤) .

وعن يحيى بن يحيى النيسابوري قال : ما رأيت أحفظ من حماد بن
زيد^(٥) .

(١) الجرح والتعديل (١ / ١٨١) .
(٢) الجرح والتعديل (١ / ١٨١) .
(٣) الجرح والتعديل (١ / ١٨٢) .
(٤) تاريخ الإسلام (١١ / ٩٧) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٨) .

وقال أحمد بن عبد الله المجلي : حماد بن زيد ثقة ، وحديثه أربعة آلاف حديث ، وكان يحفظها ، ولم يكن له كتاب ^(١) .

وقال عبد الرحمن بن خراش الحافظ : لم يخطئ حماد بن زيد في حديث قط ^(٢) .

وعن مقاتل بن محمد قال : سمعت وكيعا - وقيل له حماد بن زيد كان أحفظ أو حماد بن سلمة فقال : حماد بن زيد ، ما كنا نشبه حماد بن زيد إلا بمسعر ^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٨) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٨ ، ٤٥٩) .
(٣) الجرح والتعديل (١ / ١٧٨) .

٤ - اتباعه للسنة رحمه الله

عن عبد الرحمن بن مهدي قال : لم أر أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد ^(١) .

وعن يحيى بن المغيرة قال : قرأت كتاب حماد بن زيد إلى جرير : بلغني أنك تقول في الإيمان بالزيادة ، وأهل الكوفة يقولون بغير ذلك ، أثبت علي ذلك ثبتك الله ^(٢) .

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : إذا رأيت بصرياً يحب حماد بن زيد فهو صاحب سنة ^(٣) .

قال الذهبي : لا أعلم بين العلماء نزاعاً في أن حماد بن زيد من أئمة السلف : ومن أتقن الحفاظ وأعدلهم ، وأعدمهم غلطا ، على سعة ما روى رحمه الله ^(٤) .

وعن سليمان بن حرب : سمعت حماد بن زيد يقول : إنما يدورون علي أن يقولوا : ليس في السماء إله - يعني الجهمية ^(٥) .

وعن أبي النعمان عارم قال : قال حماد بن زيد القرآن كلام الله أنزله جبريل من عند رب العالمين ^(٦) .

وعن فطر بن حماد بن واقد قال : سألت حماد بن زيد فقلت : يا أبا إسماعيل إمام لنا يقول القرآن مخلوق أصلى خلفه ؟ قال لا ولا كرامة ^(٧) .

وعن خالد بن خدّاش قال : سمعت حماد بن زيد يقول : لمن قلت إن علياً أفضل من عثمان لقد قلت : إن أصحاب رسول الله ﷺ فقد خانوا ^(٨) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٦١) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٦١) .

(٧) حلية الأولياء (٦ / ٢٥٨) .

(٨) حلية الأولياء (٦ / ٢٥٩) .

(١) الجرح والتعديل (١ / ١٧٧) .

(٢) الجرح والتعديل (١ / ١٧٧) .

(٣) الجرح والتعديل (١ / ١٨٣) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٦١) .

٥ - اشتراك الحمادين في كثير من المشايخ والتلاميذ

وكيفية التفريق بينهما

قال الحافظ الذهبي ما ملخصه :

اشتراك الحمادان في الرواية عن كثير من المشايخ ، وروى عنهما جميعاً جماعة من المحدثين فربما روى الرجل منهم عن حماد لم ينسبه فلا يعرف أى الحمادين هو إلا بقرينة ، فإن عرى السند من القرائن - وذلك قليل - لم نقطع بأنه ابن زيد ولا أنه ابن سلمه ، بل نتردد أو نقدره ابن سلمه ونقول هذا الحديث على شرط مسلم ، إذ مسلم قد احتج بها جميعاً^(١) .

ثم ذكر رحمه الله جملة من شيوخهما معاً وتلامذتها ثم قال : والحفاظ المختصون بالإكثار وبالرواية عن حماد بن سلمة : بهز بن أسد ، وحبان بن هلال ، والحسن الأشيب ، وعمر بن عاصم ، والمختصون بحماد بن زيد الذين مالحقوا ابن سلمة فهم أكثر وأوضح كعلی بن المديني ، وأحمد بن عبده ، وأحمد بن المقدام ، وبشر بن معاذ العقدي ، وخالد بن خدّاش ، وخلف بن هشام ، وزكريا بن عدی ، وسعيد بن منصور وأبى الربيع الزهراني ، والقواريري ، وعمرو بن عوف ، وقتيبة بن سعيد ، ومحمد بن أبي بكر المقدمي ، ولؤين ، ومحمد بن عيسى الطَّبَّاع ومحمد بن عبيد بن حساب ، ومسدد ، ويحيى بن حبيب ، ويحيى بن يحيى التميمي ، وعدة من أقرانهم .

فإذا رأيت الرجل من هؤلاء الطبقة قد روى عن حماد وأبهمه علمت أنه ابن زيد ، وأن هذا لم يدرك حماد بن سلمة وكذا إذا روى رجل من لقيهما

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٦٤) .

فقال : حدثنا حماد وسكت نظرت في شيخ حماد من هو ، فإن رأيته من شيوخهما ترددت ، وإن رأيته من شيوخ أحدهما على الإختصاص والتفرد عرفته من شيوخه المختصين به ، ثم عادة عفان لا يروى عن حماد زيد إلا وينسبه وربما روى عن حماد بن سلمة فلا ينسبه ، وكذلك يفعل حجاج بن منهال وهدي بن خالد فأما سليمان بن حرب فعلى العكس من ذلك وكذلك عارم يفعل فإذا قالوا حدثنا حماد فهو ابن زيد ومتى قال موسى التبوذكي : حدثنا حماد هو ابن سلمة فهو راويته والله أعلم^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٦٥ ، ٤٦٦) .

٦ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله

شيوخه :

قال الحافظ : روى عن ثابت البناني ، وأنس بن سيرين وعبد العزيز بن صهيب ، وعاصم الأحول ، ومحمد بن زياد القرشي ، وأبي جمرة الضبعي ، والجعد أبي عثمان ، وأبي حازم سلمة بن دينار ، وشعيب ابن الخباب ، وصالح بن كيسان ، وعبد الحميد صاحب الزيادي ، وأبي عمران الجوني ، وعمرو بن دينار ، وهشام بن عروة ، وعبيد الله بن عمر وغيرهم من التابعين فمن بعدهم ^(١) .

تلامذته :

قال الحافظ : وعنه ابن المبارك ، وابن مهدي ، وابن وهب والقطان ، وابن عيينة ، وهو من أقرانه ، والثوري وهو أكبر منه ، وإبراهيم بن أبي عبلة وهو في عداد شيوخه ، ومسلم بن إبراهيم ، وعارم ، ومسدد ، ومؤمل بن إسماعيل ، وأبو أسامة ، وسليمان بن حرب ، وعفان ، وعمرو بن عوف ، وعلي بن المديني ، وقتيبة ، ومحمد بن زنبور المكي ، وأبو الأشعث أحمد بن المقدم المجلي ، وخلق كثير آخرهم الهيثم بن سهل التستري مع ضعفه ^(٢) .

(١) تهذيب التهذيب (٩ / ٣) .

(٢) تهذيب التهذيب (٩ / ٣) .

٧ - درر من أقواله

عن سليمان بن حرب قال : سمعت حماد بن زيد يقول في قوله : ﴿ لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات : ٢] قال : أرى رفع الصوت عليه بعد موته ، كرفع الصوت عليه في حياته إذا قرئ حديثه ، وجب عليك أن تنصت له كما تنصت للقرآن ^(١) .

وقال محمد بن وزير الواسطي : سمعت يزيد بن هارون يقول : قلت لحامد بن زيد : هل ذكر الله أصحاب الحديث في القرآن ؟ قال : بلى الله تعالى يقول : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾ ^(٢) (التوبة : ١٢٢) .
وعن أيوب العطار : سمعت بشر بن الحارث يقول : حدثنا حماد بن زيد ثم قال : استغفر الله إن لذكر الإسناد في القلب خيلاء ^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٦٠) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٦٠) وتمام الآية ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ .

(٣) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٦١) .

٨ - وفاته رحمه الله

قال الذهبي : مات في سنة تسع وسبعين ومائة وفاقا في شهر رمضان .
وقال أبو حفص الفلاس : مات يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان .
وقال عارم : مات لعشر ليال خلون من رمضان يوم الجمعة ، وقال أبو داود :
مات قبل مالك بشهرين وأيام .
قال الذهبي : هذا وهم بل مات قبله ستة أشهر ، فرحمها الله فلقد كانا
ركنَي الدين وما خلفهما مثلهما ^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٦١ ، ٤٦٢) .

من أعلام السلف

٢٠

مالك بن أنس

إمام دار الهجرة

بين يدي الترجمة :

مازلنا نسعد بحمد الله مع سلسلة التراجم التربوية « من أعلام السلف » وإمامنا وقودتها فيها هو إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله ، نجم السنن ، ووارث العلوم النبوية ، والسنن المصطفوية في مدينة رسول الله ﷺ .

قال الإمام الذهبي : قد كان هذا الإمام من الكبراء والسعداء ، والسادة العلماء ، ذا حشمة وتجمل وعبيد ، ودار فاخرة ، ونعمة ظاهرة ، ورفعة في الدنيا والآخرة ، كان يقبل الهدايا ، ويأكل طيباً ويعمل صالحاً ، وما أحسن قول ابن المبارك فيه :

صَمَوْتُ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ وَفَتَّاقُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِّمِ
وَعَى مَا وَعَى الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ وَسَيِطَّتْ لَهُ الْآدَابُ بِاللَّحْمِ وَالْدِّمِ^(١)

وقال أبو مصعب : كانوا يزدحمون على باب مالك حتى يقتتلوا من الزحام ، وكنا نكون عنده فلا يكلم ذا ذا ، ولا يلتفت ذا إلى ذا ، والناس قابلون برؤوسهم هكذا ، وكانت السلاطين تهابه ، وهم قابلون منه ومستمعون ، وكان يقول : لا ونعم ، ولا يقال له من أين قلت هذا^(٢) .
وقال بعضهم واصفاً مالكا رحمه الله :

يَدْعُ الْحَوَابَ وَلَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِرُ الْأَذْقَانِ
نُورُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ الثَّقَى فَهُوَ الْمَهِيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

(١) وسير أعلام النبلاء (٨ / ١٣٣) . وقوله : « وسيطت » أى مزجت .

(٢) تاريخ الإسلام (١١ / ٣٢٢) .

والدارس لترجمة الإمام يقف على شيء من أسباب هذه الهيبة وهذا القبول ، وقد أشرنا إلى شيء من ذلك في غضون الترجمة ، فمن ذلك أنه كان كثير التعظيم لحديث النبي ﷺ ، فإذا أراد أن يحدث اغتسل وتطيب وسرح لحيته وجلس على منصبة ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ ، ومن أعز دين الله أعزه الله ، ومن نصر دين الله نصره الله ، قال تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ [الحج : ٤٠] ومن ذلك قوة حجته في نصر السنة ، وشدته على أهل الأهواء والبدعة ، ومن ذلك احتياظه في الرواية نصرة للشريعة فلا يروى إلا عن ثقة ، ولا يروى إلا عمن عرف بالرواية ، وأنه من أهل الحديث ، وهو الذي قال : لا يؤخذ العلم عن أربعة : سفيه يعلن السفه ، وإن كان أروى الناس ، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه ، ومن يكذب في حديث الناس وإن كنت لا أتهمه في الحديث ، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به ^(١) .

قال ابن حاتم : كان مالك رحمه الله أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة ، وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث ، ولم يكن يروى إلا ما صح ، ولا يحدث إلا عن ثقة ، مع الفقه والدين والفضل والنسك ^(٢) .

بقي أن تعرف أن أصلح الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر .

وأصح الكتب المصنفة في زمانه موطأ مالك ، كما أشار الشافعي رحمه الله وذلك قبل تصنيف الصحيحين ، والله عز وجل يغفر لنا وله ويدخلنا وإياه جنة عالية قطوفها دانية .

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٦٧ ، ٦٨) .

(٢) الثقات لابن أبي حاتم (٧ / ٤٥٩) .

١ - اسمه ومولده وصفته

اسمه : مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أصبح الأصحى الحميري أبو عبد الله المدني ، إمام دار الهجرة ، وعدادهم في بنى تيم بن مرة من قريش حلفاء عثمان بن عبيد الله التيمي ، أخى طلحة بن عبيد الله ^(١) .

مولده : قال الذهبي : مولد مالك على الأصح في سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ ونشأ في صون ورفاهية وتجمل ^(٢) .

صفته : عن مطرف بن عبد الله قال : كان مالك بن أنس طويلاً عظيم الهامة ، أصلع ، أبيض الرأس واللحية ، شديد البياض إلى الشقرة ^(٣) .

وعن عيسى بن عمر المدني قال : ما رأيت بياضاً قط ولا حمرة أحسن من وجه مالك ، ولا أشد بياض ثوب من مالك ^(٤) .

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : ما رأيت أهيأ من مالك ، ولا أتم عقلاً ، ولا أشد تقوى ^(٥) .

(١) تهذيب الكمال (٢٧ / ٩٣) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٩) .

(٣) صفة الصفوة (٢ / ١٧٧) ، وتاريخ الإسلام (١١ / ٣١٩) .

(٤) تاريخ الإسلام (١١ / ٣١٩) وسير أعلام النبلاء (٨٠ / ٦٢) .

(٥) تاريخ الإسلام (١١ / ٣٢٣) .

٢ - ابتداء طلبه للعلم وثناء العلماء عليه

قال الذهبي : وطلب مالك العلم وهو ابن بضعة عشرة سنة ، وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة ، وحدث عنه جماعة وهو حتى شاب طرى ، وقصده طلبه العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك ، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد ، وإلى أن مات ^(١)

عن عبد الله بن المبارك قال : ما رأيت رجلاً ارتفع مثل مالك بن أنس ليس له كثير صلاة ولا صيام ، إلا أن تكون له سريرة ^(٢)
قال عبد الله بن أحمد : قلت لأبي من أثبت أصحاب الزهري ؟ قال : مالك أثبت في كل شيء ^(٣)

وقال الشافعي : إذا ذكر العلماء فمالك النجم ^(٤)

وعن ابن عينة قال : مالك عالم أهل الحجاز وهو حجة زمانه ^(٥)

قال الذهبي : كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله ﷺ وصاحبه زيد ابن ثابت ، وعائشة ، ثم ابن عمر ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم الزهري ، ثم عبيد الله بن عمر ، ثم مالك ^(٦)

وقال كذلك : لم يكن بالمدينة عالم بعد التابعين يشبه مالكا في العلم والفقه والجلالة والحفظ ، فقد كان بها بعد الصحابة مثل سعيد بن المسيب ، والفقهاء السبعة ، والقاسم ، وسالم ، وعكرمة ، ونافع ، وطبقتهم ، ثم زيد بن أسلم ، وابن شهاب ، وأبي الزناد ، ويحيى بن سعيد ، وصفوان بن سليم ،

(٤) حلية الأولياء (٦ / ٣١٨)

(٥) سير أعلام النبلاء (٨ / ٥٧)

(٦) سير أعلام النبلاء (٨ / ٥٧)

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٥٠)

(٢) حلية الأولياء (٦ / ٣٢٠)

(٣) تاريخ الإسلام (١١ / ٣٢٠)

وربيعة بن أبي عبد الرحمن وطبقتهم ، فلما تفانوا اشتهر ذكر مالك بها ، وابن أبي ذئب ، وعبد العزيز بن الماجشون ، وفليح بن سليمان ، والداراوردى ، وأقرانهم ، فكان مالك هو المقدم فيهم على الإطلاق ، والذي تضرب إليه آباط الإبل من الآفاق ^(١) .

قال ابن مهدي : أئمة الناس في زمانهم أربعة : الشورى ، ومالك ، والأوزاعي ، وحمام بن زيد . وقال : ما رأيت أحداً أعقل من مالك ^(٢) .

قال الواقدي : كان مالك يجلس في منزله على ضجاع ونمارق مطروحة يمنة ويسرة في سائر البيت لمن يأتي وكان مجلسه مجلس وقار وحلم وكان مهيباً نبيلاً ، ليس في مجلسه شيء من المراء واللفظ ، وكان الغرباء يسألونه عن الحديث بعد الحديث وربما أذن لبعضهم فقرأ عليهم ، وكان له كاتب يقال له : حبيب قد نسخ كتبه ويقرأ للجماعة فإذا أخطأ فتح عليه مالك ، وكان ذلك قليلاً ^(٣) .

عن بَقِيَّةَ قال : ما بقى على وجه الأرض أعلمُ بسنة ماضية منك يا مالك ^(٤) .

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٥٨) ، وقد اشتهر في تراجم الإمام مالك ما رواه أبو هريرة يبلغ به النبي ﷺ : « ليس من الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة » والحديث رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي وحسنه الترمذي وصححه الحاكم والبيهقي وأعله الإمام أحمد بالوقف ، وفيه أيضاً عن ابن جريج وأبي الزبير ، ثم القطيع بأن المقصود به الإمام مالك لا يمكن القطع به ، وقد قال بعضهم سعيد بن المسيب ، ورجح بعضهم بأنه العمري .

(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ٧٦) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٨ / ٧٩) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٨ / ٩٤) .

٢ - عزة نفسه وتوقيره لحديث النبي ﷺ

عن ابن أبي أويس قال : كان مالك إذا أراد أن يحدث تواضعاً وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في الجلوس بوقار ، وهيبة ، ثم حدث . فقيل له في ذلك فقال : أحب أن أعظم حديث النبي ﷺ ، ولا أحدثُ به إلا على طهارة متمكناً وكان يكره أن يحدث في الطريق وهو قائم أو مستعجل فقال : أحب أن يفهم ما أحدثُ به عن رسول الله ﷺ ^(١)

وعن معن بن عيسى قال : كنا مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب ، فإذا رفع أحد صوته في مجلسه زجره ، قال : قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ ^(٢)

وعن عمر بن الحخير الرعيني قال : قدم المهدي المدينة فبعث إلى مالك فأتاه فقال لهارون وموسى اسمعا منه . فبعثا إليه فلم يجبهما فأعلموا المهدي فكلّمه فقال : يا أمير المؤمنين : العلم يؤتَى أهله فقال : صدق مالك ، صيرا إليه ، فلما صارا إليه قال له مؤدبهما : اقرأ علينا قال : إن أهل المدينة يقرأون على العالم كما يقرأ الصبيان على المعلم ، فإن أخطأوا أفتاهم ، فرجعوا إلى المهدي فبعث إلى مالك فكلّمه ، فقال : سمعت ابن شهاب يقول : جمعنا هذا العلم في الروضة من رجال وهم يا أمير المؤمنين : سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة ، وعروة ، والقاسم ، وسالم ، وخارجة بن زيد ، وسليمان بن يسار ، وناقع ، وعبد

(١) صفة الصفوة (٢ / ١٧٨) وحلية الأولياء (٦ / ٣٨٨) .

(٢) تهذيب الكمال (١١ / ١١١) .

الرحمن بن هرمز ، ومن بعدهم أبو الزناد ، وربيعة ، ويحيى بن سعيد وابن شهاب .

وكل هؤلاء يقرأ عليهم ولا يقرأون . فقال : في هؤلاء قدوة صيروا إليه فاقروا عليه ففعلوا ^(١) .

وعن ابن القاسم قال : قيل لمالك لِمَ لَمْ تأخذ عن عمرو بن دينار ؟ قال : أتيت فوجدته يأخذون عنه قياماً ، فأجلت حديث رسول الله ﷺ أن آخذه قائماً ^(٢) .

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٦٣ ، ٦٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ٦٧) .

٤ - احتياطه في الرواية وتحريه في نقد الرجال

عن منصور بن سلمة الخزاعي قال : كنت عند مالك فقال له رجل :
يا أبا عبد الله أقمت على بابك سبعين يوماً وقد كتبت ستين حديثاً .
فقال : ستون حديثاً ، وكأنه يستكثره .

فقال له الرجل : إنما رُبَّمَا كتبنا بالكوفة في المجلس ستين حديثاً . قال :
وكيف بالعراق دار الضرب ، يضرب بالليل وينفق بالنهار ^(١) .

وعن محمد بن إسحاق الثقفي السراج قال : سألت محمد بن إسماعيل
البخاري عن أصح الأسانيد فقال : مالك عن نافع عن ابن عمر ^(٢) .

وعن سفيان بن عيينة قال : ما كان أشد انتقاد مالك للرجال ، وأعلمه
بشأنهم ^(٣) .

قال الذهبي : وقد كان مالك إماماً في نقد الرجال حافظاً مجوداً
متقناً ^(٤) .

قال بشر بن عمر الزهراني : سألت مالكا عن رجل فقال : هل رأيته في
كتبي ؟ قلت : لا . قال : لو كان ثقة لرأيته في كتبي ^(٥) .

قال الذهبي : فهذا القول يعطيك بأنه لا يروى إلا عن من هو عنده ثقة ، ولا
يلزم من ذلك أن يروى عن كل الثقات ، ثم لا يلزم مما قال أن كل من روى
عنه وهو عنده ثقة ، أن يكون ثقة عند باقي الحفاظ ، فقد يخفى عليه من حال

(١) تاريخ الإسلام (١١ / ٣٢٧) ، وسير أعلام النبلاء (٨ / ١١٤) .

(٢) تهذيب الكمال (٢٧ / ١١٠) ، وسير أعلام النبلاء (٨ / ١١٤) .

(٣) تهذيب الكمال (٢٧ / ١١١) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٨ / ٧١) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٨ / ٧٢) .

شيخه ما يظهر لغيره ، إلا أنه بكل حال كثير التحرى فى نقد الرجال ^(١) .

وعن عثمان بن كنانة عن مالك قال : ربما جلس إلينا الشيخ فيحدث جل نهاره ما نأخذ عنه حديثاً واحداً ، وما بنا أن نتهمه ولكن لم يكن من أهل الحديث ^(٢) .

وعن ابن عيينة قال : ما نحن عند مالك إنما كنا تتبع آثار مالك وننظر الشيخ إن كان كتب عنه مالك كتبنا عنه ^(٣) .

وعنه قال : كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحاً ، ولا يحدث إلا عن ثقة ، ما أرى المدينة إلا مستخرب بعد موته - يعنى من العلم ^(٤) .

قال الشافعى : قال محمد بن الحسن : أقمت عند مالك ثلاث سنين وكسراً ، وسمعت من لفظه من أكثر من سبع مئة حديث ، فكان محمد إذا حدث عن مالك امتلاً منزله ، وإذا حدث عن غيره من الكوفيين لم يجئه إلا اليسير ^(٥) .

وعن محمد بن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول : إذا جاء الحديث عن مالك فاشدد يدك به ^(٦) .

وعنه عن الشافعى قال : كان مالك إذا شك فى الحديث طرحه كله ^(٧) .

وعن حبيب بن زريق قال : قلت لمالك بن أنس لم لم تكتب عن صالح مولى التوأمة ، وحزام بن عثمان ، وعمر مولى غفرة ؟ قال : أدركت سبعين تابعياً فى هذا المسجد ، ما أخذت العلم إلا عن الثقات المأمونين ^(٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧٢ / ٨) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧٣ / ٨) .

(١) سير أعلام النبلاء (٧٢ / ٨) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٧٣ / ٨) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٧٥ / ٨) .

(٦) حلية الأولياء (٣٢٢ / ٧) والأولى الاقتصار على الصحابة رضى الله عنهم فى الترضى والترحم على العلماء .

(٧) حلية الأولياء (٣٢٢ / ٦) .

(٨) حلية الأولياء (٣٢٣ / ٦) .

٥ - تورعه عن الفتوى

عن مالك قال : جُنَّةُ العالم : « لا أدري » فإن أغفلها أصيبت مقاتله ^(١)

وعن الهيثم بن جميل قال : سمعت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسألة ، فأجاب في اثنين وثلاثين منها بـ « لا أدري » ^(٢)

وعن خالد بن خذاش قال : قدمت على مالك بأربعين مسألة فما أجابني منها إلا في خمس مسائل ^(٣)

وعن مالك أنه سمع عبد الله بن يزيد بن هرمز يقول : ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول : « لا أدري » حتى يكون ذلك أصلاً يفرعون إليه ^(٤)

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : رأيت رجلاً جاء إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أياماً ما يجيبه فقال : يا أبا عبد الله إنني أريد الخروج قال : فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه وقال : ماشاء الله يا هذا إنني إنما أتكلم فيما أحسب فيه الخير ^(٥)

وعنه قال : سألت رجلاً مالكا عن مسألة فقال : لا أحسنها ، فقال الرجل : إنني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها . فقال له مالك : إذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرهم أنني قد قلت لك إنني لا أحسنها ^(٦)

وعن سعيد بن سليمان قال : قلما سمعت مالكا يفتي بشيء إلا تلا هذه

(١) سير أعلام النبلاء (٧٧ / ٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٧٧ / ٨) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٧٧ / ٨) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧٧ / ٨) .

(٥) حلية الأولياء (٦ / ٣٢٣) .

(٦) حلية الأولياء (٦ / ٣٢٣) .

الآية ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِقِينَ﴾ ^(١) [الجاثية : ٣٢] .

وعن عمرو بن يزيد - شيخ من أهل مصر - صديق لمالك بن أنس قال : قلت لمالك : يا أبا عبد الله يأتيك ناس من بلدان شتى قد انضوا مطاياهم ، وأنفقوا نفقاتهم ، يسألونك عما جعل الله عندك من العلم تقول : لا أدرى . فقال : يا عبد الله يأتيني الشامي من شامه ، والعراقي من عراقه ، والمصري من مصره ، فيسألونني عن الشيء لعلني أن يبدو لي فيه غير ما أجيب به فأين أجدهم ؟ قال عمرو فأخبرت الليث بن سعد بقول مالك ^(٢) .

(١) حلية الأولياء (٦ / ٣٢٣) .

(٢) حلية الأولياء (٦ / ٣٢٤) .

٦ - نصره للسنة وشدته على أهل البدع

عن مطرف بن عبد الله قال : سمعت مالكا يقول : سَنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنتاً ، الأخذ بها اتباع لكتاب الله ، واستكمال بطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ، ولا تبديلها ، ولا النظر في شيء خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأضلاه جهنم وساءت مصيراً ^(١)

وعن يحيى بن خلف الطرطوسي - وكان من ثقات المسلمين - قال : كنت عند مالك فدخل عليه رجل فقال : يا أبا عبد الله ما تقول فيمن يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال مالك : زنديق ، اقتلوه . فقال : يا أبا عبد الله إنما أحكى كلاماً سمعته قال : إنما سمعته منك وعظم هذا القول ^(٢)

وحدث أبو ثور عن الشافعي قال : كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال : أما إني على بينة من ديني ، وأما أنت فشاك اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه ^(٣)

وقال القاضي عياض : قال أبو طالب المكي : كان مالك رحمه الله أبعد الناس من مذاهب المتكلمين ، وأشد نقداً للعراقيين ثم قال القاضي عياض :

(١) حلية الأولياء (٦ / ٣٢٤) وسير أعلام النبلاء (٨ / ٩٨) .
(٢) حلية الأولياء (٦ / ٣٢٥) وسير أعلام النبلاء (٨ / ٩٩) .
(٣) حلية الأولياء (٦ / ٣٢٤) وسير أعلام النبلاء (٨ / ٩٩) .

قال سفيان بن عيينة : سأل رجل مالكا فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [سورة طه الآية ٥] كيف استوى ؟ فسكت مالك حتى علاه الرُّخْضاء ثم قال : الاستواء منه معلوم ، والكيف منه غير معقول ، والسؤال عن هذا بدعة ، والإيمان به واجب ، وإنى لأظنك ضالاً أخرجوه . فناداه الرجل : يا أبا عبد الله ، والله لقد سألت عنها أهل البصرة والكوفة والعراق فلم أجد أحداً وفقَ لما وفقْتَ له ^(١) .

عن سعيد بن عبد الجبار قال : سمعت مالكا يقول : رأى فيهم أن يستأبوا فإن تابوا وإلا قتلوا - يعنى القدرية ^(٢) .

وعن عثمان بن صالح وأحمد بن سعيد الدرامي قالا : حدثنا عثمان قال : جاء رجل إلى مالك وسأله عن مسألة فقال له : قال رسول الله ﷺ كذا . فقال الرجل : أرايت ؟ قال مالك : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور : ٦٣] ^(٣) .

وعن أبي حفص قال : سمعت مالك بن أنس قال : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] قوم يقولون إلى ثوابه . قال مالك : كذبوا فأين هم عن قول الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ﴾ [المطففين : ١٥] ^(٤) .

وكان يقول : لست أرى لأحدٍ يسب أصحاب رسول الله ﷺ فى القسئ سهماً ^(٥) .

(١) سير أعلام النبلاء (١٠٧ / ٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠٠ / ٨) .

(٣) حلية الأولياء (٢٢٦ / ٦) .

(٤) حلية الأولياء (٢٢٦ / ٦) .

(٥) حلية الأولياء (٢٢٤ / ٦) .

وعن عبد الله بن عمر بن الزَّمَّاح قال : دخلت على مالك فقلت : يا أبا عبد الله ، ما في الصلاة من فريضة ؟ وما فيها من سنة ؟ أو قال نافلة : فقال : مالك : كلام الزنادقة أخرجوه ^(١)

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ١١٤) .

٧ - محنته رحمه الله

قال محمد بن جرير : كان مالك قد ضرب بالسياط ، واختلف في سبب ذلك فحدثني العباس بن الوليد حدثنا ابن ذكوان عن مروان الطاطري أن أبا جعفر نهى مالكاً عن الحديث « ليس علي مستكره طلاق » ثم دس إليه من يسأله على رؤوس الناس ، فضربه بالسياط ^(١) .

وعن الفضل بن زياد القطان قال : سألت أحمد بن حنبل من ضرب مالك ابن أنس ؟ قال : ضربه بعض الولاة ، لا أدري من هو ، إنما ضربه في طلاق المكره ، كان لا يجيزه فضربه لذلك ^(٢) .

وعن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن راشد قال : سمعت أبا داود يقول : ضرب جعفر بن سليمان مالك بن أنس في طلاق المكره ، وحكى له بعض أصحاب ابن وهب أن مالكاً لما ضرب حلق ، وحمل على بعير ، فقليل له ناد على نفسه قال : فقال : ألا من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي ، وأنا أقول : طلاق المكره ليس بشيء . قال فبلغ جعفر بن سليمان أنه ينادي على نفسه بذلك فقال : أدركوه أنزلوه ^(٣) .

وروى ابن سعد عن الواقدي قال : لما دعى مالك وشورَ وسمع منه وقبل قوله حسد ، وبغوه بكل شيء ، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة سعوا به إليه ، وكثروا عليه عنده ، وقالوا : لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء ، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت بن الأحنف في طلاق المكره أنه لا يجوز عنده قال :

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٧٩ ، ٨٠) .

(٢) حلية الأولياء (٦ / ٣١٦) .

(٣) حلية الأولياء (٦ / ٣١٦) .

ففضب جعفر فدعا بمالك فاحتج عليه بما رفع إليه عنه ، فأمر بتجريدته وضربه بالسياط ، وجبذت يده حتى انخلعت من كتفه ، وارتكب منه أمر عظيم ، فوالله ما زال مالك بعد في رفعة وعلو^(١) .

قال الذهبي رحمه الله : هذا ثمرة المحنة المحموده أنها ترفع العبد عند المؤمنين ، وبكل حال هي بما كسبت أيدينا ويعفو الله عن كثير ، و (من يريد الله به خيراً يصب منه)^(٢) . وقال النبي ﷺ : ﴿ كل قضاء المؤمن خيراً له ﴾^(٣) . وقال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ [محمد : ٣١] وأنزل تعالى في وقعة أحد قوله : ﴿ أَو لَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْيَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا قُلْتُمْ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران ١٦٥] وقال : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] فالؤمن إذا امتحن صبر واتعظ واستغفر ، ولم يتشاغل بدم من انتقم منه ، فالله حكم مقسط ، ثم يحمد الله على سلامة دينه ، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له^(٤) .

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٨٠ ، ٨١) .

(٢) رواه البخاري (١٠ / ١٠٣) المرضي ، ومالك في الموطأ (٢ / ٩٤١) المعين .

(٣) رواه مسلم (١٨ / ١٢٥) الزهد ، وأحمد (٦ / ١٦) ، والدرامي (٢ / ٣١٨) الرقاق ،

وانظر طرق الحديث في الصحيحة رقم (١٤٧) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٨ / ٨١) .

٨ - من أقواله رحمه الله

عن ابن وهب أنه سمع مالكا يقول : إن الرجل إذا ذهب يمدح نفسه ذهب بهأوه^(١) .

وعن حرملة عن ابن وهب : سمعت مالكا وقال له رجل : طلب العلم فريضة ؟ قال : طلب العلم حسن لمن رزق خيره ، وهو قسم من الله تعالى .
وقال : لا يكون إماماً من حدث بكل ما سمع .

وقال : إن حقاً على طالب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية ، وأن يكون متبعاً لأثر من مضى قبله^(٢) .

وقال القروى : سمعت مالكا يقول : إذا لم يكن للإنسان في نفسه خير ، لم يكن للناس فيه خير^(٣) .

وعن ابن وهب عن مالك قال : بلغنى أنه ما زهد أحد في الدنيا واتقى إلا نطق بالحكمة^(٤) .

قال الذهبي : قال الحافظ ابن عبد البر في « التمهيد » هذا كتبت من حفظي وغاب عني أصلى : إن عبد الله العمرى العابد كتب إلى مالك يحضه على الإنفراد والعمل ، فكتب إليه مالك : إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، قرب رجل فتح له في الصلاة ، ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الصدقة ، ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الجهاد ، فنشر العلم من أفضل أعمال البر ، وقد رضيت بما فتح لى فيه . وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر^(٥) .

وعن خالد بن نزار قال : سمعت مالك بن أنس يقول لفتى من قریش : يا ابن أخى تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم .

(١) تاريخ الإسلام (٣٢٨ / ١١) . (٤) سير أعلام النبلاء (١٠٩ / ٨) .

(١) تاريخ الإسلام (٣٢٨ / ١١) . (٥) سير أعلام النبلاء (١١٤ / ٨) .

(٣) حلية الأولياء (٣٢١ / ٦) .

٩ - شيوخه وتلامذته رحمه الله

قال النورى : قال الإمام أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين الدولقى فى كتابه « الرسالة المصنفة فى بيان سبل السنة المشرفة » أخذ مالك عن تسعمائة شيخ ، منهم ثلثمائة من التابعين ، وستمائة من تابعيهم ، ممن اختاره وارتضى دينه وفقهه وقيامه بحق الرواية ، وشروطها ، وخلصت الثقة به ، وترك الرواية عن أهل دين وصلاح لا يعرفون الرواية ^(١)

قال الذهبى : وأول طلبه للعلم فى حدود سنة عشرين ومائة ، وفيها توفي الحسن البصرى ، فأخذ عن نافع ولازمه ، وعن سعيد المقبرى ، ونعيم المجر ، وهب بن كيسان ، والزهرى ، وابن المنكدر ، وعامر بن عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن دينار ، وزيد بن أسلم ، وصفوان بن سليم ، وإسحاق بن أبى طلحة ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، ويحيى بن سعيد ، وأيوب السختياني ، وأبى الزناد ، وربيعة بن أبى عبد الرحمن ، وخلق سواهم من علماء المدينة ، فقل ما روى عن غير أهل بلده .

وروى عنه من شيوخه : الزهرى ، وربيعة ، ويحيى بن سعيد ، وغيرهم ، ومن أقرانه : الأوزاعى ، والثورى ، والليث ، وخلق ، وابن المبارك ، ويحيى بن سعيد القطان ، ومحمد بن الحسن ، وابن وهب ، ومعن بن عيسى ، والشافعى ، وعبد الرحمن بن مهدى ، وأبو مسهر ، وأبو عاصم ، وعبد الله بن يوسف التيسى ، والقعنبي ، وسعيد بن منصور ، ويحيى بن يحيى ، ويحيى بن يحيى القرطبى ، ويحيى بن بكير ، والنفيلى ، ومصعب الزبيدى ، وأبو مصعب الزهرى ، وقتيبة بن سعيد ، وهشام بن عمار ، وسويد بن سعيد ، وعتبة بن عبد الله المروزى ، وإسماعيل بن موسى السدى ، وخلاتق آخرهم أحمد بن إسماعيل السهمى ^(٢)

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ٧٨ ، ٧٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (١١ / ٣١٨ ، ٣١٩) .

١٠ - موطأ الإمام مالك ومكانته

قال القاضي أبو بكر بن العربي : الموطأ هو الأصل الأول واللباب وكتاب البخارى هو الأصل الثانى فى هذا الباب ، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذى .

وقد صنف الإمام مالك الموطأ وتوخى فيه القوى من أحاديث أهل الحجاز ، ومزجه بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

وقد وضع مالك الموطأ على نحو عشرة آلاف حديث ، فلم يزل ينظر فيه ، فى كل سنة ، ويسقط منه حتىبقى هذا .

وقد أخرج ابن عبد البر عن عمر بن عبد الواحد صاحب الأوزاعى ، قال عرضنا على مالك الموطأ فى أربعين يوماً فقال : كتاب ألفته فى أربعين سنة أخذتموه فى أربعين يوماً ما أقل ما تفقهون فيه .

وقال مالك : عرضت كتابى هذا على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة فكلهم واطأنى عليه فسميته « الموطأ » .

وقال الجلال السيوطى : وما من مرسل فى الموطأ إلا وله عاضد أو عواضد . فالصواب أن الموطأ صحيح كله لا يستثنى منه شئ . أ. هـ .

وقد صنف ابن عبد البر كتاباً فى وصل ما فى الموطأ من المرسل والمنقطع والمعضل قال : مافيه من قوله : « بلغنى » ومن قوله « عن الثقة » عنده مالم يسنده أحد وستون حديثاً ، كلها مستندة من غير طريق مالك ، إلا أربعة لا تعرف .

قال الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى فى كتابه « دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك » عند قوله :

وقد رأيتُ بعضَ مُتَقِنِي السُّنَنِ مَنْ حَازَ فِي كُلِّ الْعُلُومِ خَيْرَ فَنٍ
عَزَا إِلَى نَجْلِ الصَّلَاحِ أَنْ وَصَلَ أَرْبَعَةَ الْأَخْبَارِ فَالْكُلُّ اتَّصَلَ
فَقَدْ وَصَلَ ابْنُ الصَّلَاحِ الْأَرْبَعَةَ فِي تَأْلِيفٍ مُسْتَقِلٍّ .

قال الأستاذ : محمد فؤاد عبد الباقي :

والعجب من ابن الصلاح رحمه الله كيف يطلع على إتصال جميع
أحاديث الموطأ حتى إنه وصل الأربعة التي اعترضت ابن عبد البر بعدم الوقوف
على طرق اتصالها ، ومع هذا لم يزل مقدماً للصحيحين عليه في الصحة ، مع
أن الموطأ هو أصلها ، وقد انتهجا منهجاً في سائر صنيعه ، وأخرجنا أحاديثه من
طريقه .

وغاية أمرهما أن ما فيهما من الأحاديث أزيد مما فيه .
قال أحمد شاكر رحمه الله :

ولكنه لم يذكر الأسانيد التي قال الفلاني إن ابن الصلاح وصل بها هذه
الأحاديث فلا يستطيع أهل العلم بالحديث أن يحكموا باتصالها ، إلا إذا
وجدت أسانيداً ، وفحصت حتى يتبين إن كانت متصلة أو لا ، وصحيحة أو
لا ^(١)

(١) باختصار من مقدمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي لموطأ الإمام مالك ، (١ / د ، هـ) ط . عيسى
البياني الحلبي .

١١ - وفاته رحمه الله

قال القعنبي : سمعتهم يقولون : عُمَرُ مالِك تسع وثمانون سنة ، ومات سنة تسع وسبعين ومائة .

وقال إسماعيل بن أبي أويس : مرض مالك فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت : قالوا : تشهد ثم قال : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ [الروم : ٤] .

وتوفي صبيحة أربع عشرة من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ، فصلى عليه الأمير عبد الله بن محمد بن إبراهيم .

وغسله ابن أبي زبير ، وابن كنانة ، وابنه يحيى ، وكتبه حبيب يصبان عليهما الماء ، ونزل في قبره جماعة ، وأوصى أن يكفن في ثياب بيض ، وأن يصلى عليه في موضع الجناز ، فصلى عليه الأمير المذكور ، قال : وكان نائباً لأبيه محمد على المدينة ، ثم مشى أمام جنازته ، وحمل نعشه ، وبلغ كفته خمسة دنانير .

ويقال : إنه في الليلة التي مات فيها رأى رجلٌ من الأنصار قائلاً ينشد :
لَقَدْ أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ زُعْزُعَ رُكْنِهِ غَدَاةَ ثَوَى الْهَادِي لَدَى مُلْحَدِ الْقَبْرِ
إِمَامُ الْهَدَى مَازَلَ لِلْعَلَمِ صَائِنَا عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ فِي آخِرِ الدَّهْرِ
قال ابن القاسم : مات مالك عن مئة عَمَامَةٍ فضلاً عن سواها .

وقال ابن أبي أويس : بيع ما في منزل خالي من بسط ومنصات ومخاد وغير ذلك بما ينيف على خمسمائة دينار ^(١) .

(١) باختصار من سير أعلام النبلاء (٨ / ١٣٠ إلى ١٣٣) .

الفهارس

فهرس الموضوعات الجزء الأول

رقم الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
١٣	١ - مسروق بن الأجدع
١٥	بين يلى الترجمة
١٦	١ - اسمه ومولده
١٧	٢ - ثناء العلماء عليه
١٩	٣ - عبادته
٢٠	٤ - موقفه من الفتنة
٢١	٥ - ورعه وزهده
٢٢	٦ - شيوخه وتلامذته
٢٣	٧ - من أقواله وأفعاله
٢٤	٨ - وفاته رحمه الله
٢٥	٢ - سيد التابعين سعيد بن المسيب
٢٧	بين يلى الترجمة
٢٩	١ - اسمه وكنيته ومولده وصفته
٣١	٢ - ثناء العلماء عليه
٣٢	٣ - عبادته
٣٤	٤ - علمه

- ٣٦ ٥ - علمه بالتعبير
- ٣٨ ٦ - عزة نفسه وصدعه بالحق
- ٤٠ ٧ - تزويجه ابنته
- ٤٢ ٨ - محتله
- ٤٣ ٩ - شيوخه وتلامذته
- ٤٤ ١٠ - درر من أقواله
- ٤٥ ١١ - مرضه ووفاته
- ٤٧ ٣ - عروة بن الزبير
- ٤٩ بين يدي الترجمة
- ٥٠ ١ - اسمه ومولده وصفته
- ٥١ ٢ - ثناء العلماء عليه
- ٥٢ ٣ - حرصه على طلب العلم
- ٥٣ ٤ - عيادته
- ٥٤ ٥ - فراره من مخالطة الناس وبناء قصره
- ٥٥ ٦ - قدومه على عبد الملك بعد مقتل أخيه
- ٥٦ ٧ - زواجه من سودة بنت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
- ٥٧ ٨ - صبره رحمه الله
- ٩٥ ٩ - شيوخه وتلامذته
- ٦١ ١٠ - درر من أقواله
- ٦٢ ١١ - وفاته رحمه الله
- ٦٣ ٤ - سعيد بن جبير
- ٦٥ بين يدي الترجمة
- ٦٦ ١ - اسمه ومولده وصفته

- ٦٧ ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ٦٨ ٣ - عبادته .
- ٧٠ ٤ - توكله وخشيته .
- ٧١ ٥ - محنته رحمه الله .
- ٧٤ ٦ - علمه بالتفسير .
- ٧٥ ٧ - شيوخه وتلامذته .
- ٧٦ ٨ - درر من أقواله .
- ٧٧ ٩ - وفاته .
- ٧٩ ٥ - عمر بن عبد العزيز :
- ٨١ بين يدي الترجمة
- ٨٤ ١ - اسمه ومولده وصفته
- ٨٦ ٢ - ابتداء طلبه للعلم واستخلافه رحمه الله
- ٨٩ ٣ - ثناء العلماء عليه ومحبة الخلق له .
- ٩١ ٤ - خشيته وبكاؤه رحمه الله
- ٩٣ ٥ - زهد
- ٩٤ ٦ - ورعه
- ٩٦ ٧ - تواضعه رحمه الله
- ٩٧ ٨ - اتباعه للسنة
- ٩٨ ٩ - شيوخه وتلامذته
- ٩٩ ١٠ - درر من أقواله
- ١٠٢ ١١ - ما تمثل به من الشعر أو قاله
- ١٠٤ ١٢ - وفاته رحمه الله وما قيل في رثائه .

٦ - عامر الشعبي :

- ١٠٧
 ١٠٩ بين يدي الترجمة .
 ١١٠ ١ - اسمه ومولده .
 ١١١ ٢ - ثناء العلماء عليه .
 ١١٢ ٣ - قوة حفظه ونباهة خاطره وسعة علمه .
 ١١٣ ٤ - تورعه عن الفتوى وذمه للرأى .
 ١١٥ ٥ - قصة خروجه مع القراء على الحجاج واعتذاره إليه .
 ١١٨ ٦ - ملح من أخباره وطرائف من آثاره .
 ١٢٠ ٧ - شيوخه وتلامذته .
 ١٢٢ ٨ - من أقواله .
 ١٢٤ ٩ - وفاته رحمه الله .

٧ - طاووس بن كيسان :

- ١٢٧ بين يدي الترجمة .
 ١٢٨ ١ - اسمه ومولده وصفته .
 ١٢٩ ٢ - ثناء العلماء عليه .
 ١٣١ ٣ - ورعه وزهده وخشيته .
 ١١٣ ٤ - عبادته .
 ١٣٤ ٥ - شيوخه وتلامذته .
 ١٣٥ ٦ - درر من أقواله .
 ١٣٨ ٧ - وفاته رحمه الله .

٨ - الحسن البصري :

- ١٣٩ بين يدي الترجمة .
 ١٤١ ١ - اسمه ومولده وصفته .
 ١٤٢ ١ - اسمه ومولده وصفته .

- ١٤٢ ٢ - ثناء العلماء عليه
- ١٤٥ ٣ - عبادته وخوفه وحزنه .
- ١٦٤ ٤ - علمه .
- ١٤٨ ٥ - الحسن البصري وفتنة ابن الأشعث .
- ١٥٠ ٦ - شيوخه وتلامذته .
- ١٥١ ٧ - درر من أقواله .
- ١٥٣ ٨ - وفاته رحمه الله .
- ١٥٥ ٩ - محمد بن سيرين :
- ١٥٧ بين يدي الترجمة
- ١٥٨ ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ١٥٩ ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ١٦١ ٣ - ورعه .
- ١٦٣ ٤ - عبادته وبره بأمه .
- ١٦٤ ٥ - تورعه عن الفتوى .
- ١٦٥ ٦ - شدته على أشهر أهل البدع والحكام الجائرين .
- ١٦٦ ٧ - براعته في تعبير الرؤيا .
- ١٦٨ ٨ - شيوخه وتلامذته رحمهم الله .
- ١٦٩ ٩ - درر من أقواله .
- ١٧٠ ١٠ - وفاته رحمه الله .
- ١٧١ ١٠ - الإمام الزهري :
- ١٧٣ بين يدي الترجمة
- ١٧٤ ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ١٧٥ ٢ - ثناء العلماء عليه .

- ١٧٧ ٣ - أسباب تفوقه العلمي
- ١٨٠ ٤ - سخاؤه وكرمه
- ١٨١ ٥ - قصة دخوله على بنى أمية وعدم مداهنته فى الحق
- ١٨٣ ٦ - شيوخه وتلامذته
- ١٨٥ ٧ - درر من أقواله
- ١٨٧ ٨ - وفاته رحمه الله
- ١٨٨ ١١ - أيوب السختياني :
- ١٩١ بين يدى الترجمة
- ١٩٢ ١ - اسمه ومولده وصفته
- ١٩٣ ٢ - ثناء العلماء عليه
- ١٩٥ ٣ - عبادته وخشيته
- ١٩٦ ٤ - زهده وورعه
- ١٩٧ ٥ - أدبه وفراره من الشهرة
- ١٩٨ ٦ - اتباعه للسنة وذمة للبدع وأهلها
- ١٩٩ ٧ - شيوخه وتلامذته
- ٢٠٠ ٨ - درر من أقواله
- ٢١٠ ٩ - وفاته رحمه الله
- ٢٠٣ ١٢ - الأعمش سليمان بن مهران :
- ٢٠٥ بين يدى الترجمة
- ٢٠٦ ١ - اسمه ومولده وصفته
- ٢٠٧ ٢ - ثناء العلماء عليه
- ٢١٠ ٣ - الأعمش والتدليس
- ٢١١ ٤ - عبادته رحمه الله

- ٢١٢ ٥ - شيوخه وتلامذته .
- ٢١٣ ٦ - ملح من أخباره .
- ٢١٤ ٧ - درر من أقواله .
- ٢١٥ ٨ - وفاته رحمه الله .
- ٢١٧ ١٣ - أبو حنيفة النعمان بن ثابت :
- ٢١٩ بين يدي الترجمة .
- ٢٢٢ ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ٢٢٣ ٢ - ثناء العلماء عليه والرد على من طعن فيه .
- ٢٢٧ ٣ - عبادته رحمه الله .
- ٢٢٩ ٤ - ورعه .
- ٢٣٠ ٥ - سماحته وكرمه .
- ٢٣١ ٦ - اتباعه للسنة .
- ٢٣٣ ٧ - محنته .
- ٢٣٦ ٨ - شيوخه وتلامذته .
- ٢٣٧ ٩ - براعته في الفقه .
- ٢٣٧ ١٠ - وفاته رحمه الله .
- ٢٣٩ ١٤ - الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو :
- ٢٤١ بين يدي الترجمة .
- ٢٤٢ ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ٢٤٣ ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ٢٤٥ ٣ - عبادته .
- ٢٤٦ ٤ - خشيته .
- ٢٤٧ ٥ - ورعه .

- ٢٤٨ ٦ - اتباعه للسنة .
- ٢٥٠ ٧ - صدعه بكلمة الحق .
- ٢٥٢ ٨ - شيوخه وتلامذته .
- ٢٥٤ ٩ - درر من أقواله .
- ٢٥٥ ١٠ - وفاته .
- ٢٥٧ ١٥ - **شعبة بن الحجاج :**
- ٢٥٩ بين يدي الترجمة .
- ٢٦١ ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ٢٦٢ ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ٢٦٤ ٣ - عبادته وزهده .
- ٢٦٦ ٤ - أدبه وسماحته وحبه للمساكين .
- ٢٦٨ ٥ - احتياظه في الرواية وتشدده في التوثيق وذمة للتدليس .
- ٢٧١ ٦ - شيوخه وتلامذته .
- ٢٧٢ ٧ - درر من أقواله .
- ٢٧٤ ٨ - طرائف وأخبار .
- ٢٧٦ ٩ - وفاته رحمه الله .
- ٢٧٧ ١٦ - **سيفان الثوري :**
- ٢٧٩ بين يدي الترجمة .
- ٢٨١ ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ٢٨٢ ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ٢٨٥ ٣ - زهده وورعه .
- ٢٨٧ ٤ - عبادته وخشيته .
- ٢٨٩ ٥ - اتباعه للسنة .

- ٢٩٠ ٦ - محتته وصدعه بالحق
- ٢٩٢ ٧ - شيوخه وتلامذته
- ٢٩٤ ٨ - درر من أقواله
- ٢٩٧ ٩ - ما تمثل به من الشعر
- ٢٩٩ ١٠ - وفاته رحمه الله وما قيل فى رثائه
- ٣٠١ ١٧ - حماد بن سلمة :
- ٣٠٣ بين يدى الترجمة
- ٣٠٤ ١ - اسمه ومولده وصفته
- ٣٠٥ ٢ - ثناء العلماء عليه
- ٣٠٧ ٣ - عبادته
- ٣٠٨ ٤ - ورعه
- ٣٠٩ ٥ - اتباعه للسنة
- ٣١٠ ٦ - شيوخه وتلامذته
- ٣١١ ٧ - درر من أقواله
- ٣١٢ ٨ - وفاته
- ٣١٣ ١٨ - الليث بن سعد :
- ٣١٥ بين يدى الترجمة
- ٣١٦ ١ - اسمه ومولده وصفته
- ٣١٧ ٢ - ثناء العلماء عليه
- ٣١٩ ٣ - سخاؤه وكرمه
- ٣١٢ ٤ - اتباعه للسنة
- ٣٢٢ ٥ - عرض ولاية مصر على الليث
- ٣٢٣ ٦ - درر من أقواله

- ٣٢٤ ٧ - شيوخه وتلامذته .
- ٣٢٦ ٨ - وفاته .
- ٣٢٧ ١٩ - حماد بن زيد :
- ٣٢٩ بين يدي الترجمة .
- ٣٣٠ ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ٣١٣ ٢ - ثناء العلماء عليه .
- ٣٣٣ ٣ - تثبته وحفظه .
- ٣٣٥ ٤ - اتباعه للسنة .
- ٥ - اشتراك الحمادين في كثير من المشايخ
- ٣٣٦ وكيفية التفريق بينهما .
- ٣٣٨ ٦ - شيوخه وتلامذته .
- ٣٣٩ ٧ - درر من أقواله .
- ٣٤٠ ٨ - وفاته .
- ٣٤١ ٢٠ - إمام دار الهجرة مالك بن أنس :
- ٣٤٣ بين يدي الترجمة .
- ٣٤٥ ١ - اسمه ومولده وصفته .
- ٣٤٦ ٢ - ابتداء طلبه للعلم وثناء العلماء عليه .
- ٣٤٨ ٣ - عزة نفسه وتوقيره لحديث النبي ﷺ .
- ٣٥٠ ٤ - احتياطه في الرواية .
- ٣٥٢ ٥ - تورعه عن الفتوى .
- ٣٥٤ ٦ - نصره للسنة وشدته على أهل البدع .
- ٣٧٥ ٧ - مختمه .
- ٣٥٩ ٨ - من أقواله .

- ٣٦٠ ٩ - شيوخه وتلامذته .
- ٣٦١ ١٠ - موطأ مالك ومكانته .
- ٣٦٣ ١١ - وفاته رحمه الله .
- ٣٦٤ الفهرست .

من أعلام السلف

سلسلة تراجم تربوية جُمعت بطريقة خاصة، وذلك بالاهتمام بسير العلماء الأعلام، الذين جمعوا بين العلم والعمل، وامتألت قلوب المسلمين بحبهم، وشغلت ألسنتهم بالثناء عليهم، والمقصود بيان زهدهم، وورعهم، وخشيتهم لربهم عز وجل، وهمتهم في طلب العلم النافع، والعمل الصالح، حتي ينسج شباب الصحوة الإسلامية علي منوال الكرام، ويتبوأوا منازل الخير والإنعام، والله يتقبل منا سائر الطاعات ويغفر لنا المعاصي والعثرات.

الناشر

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ٥٤٥٧٦٩